

أسوة:
الفقادة
والمقاومة

أسوة في فقهات و مقاومات



الإمام الخميني وأثره

بمناجاة القائد آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم

المؤتمر الدولي لتكريم شخصية سماحة آية الله المجاهد الشيخ عيسى أحمد قاسم (دام عزه)

همايش بين المللي نكوداشت حضرت آيت الله شيخ عيسى احمد قاسم (دام عزه)

جائزة المصطفى العالمية : 4 |
چهارمین دوره ی جایزه ی جهانی المصطفى

دائرة الفقهاء للقائم
مخطوطات وآثار آية الله العظمى

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

٥	الفهرس.....
١٥	مقدمة التحقيق.....
١٧	عملنا في هذا الكتاب.....
١٩	المقدمة.....
٢١	لو تزامم بقاء الإسلام مع بقاء الإنسان أيهما يقدم؟.....
٢٥	المدخل.....
٢٥	ضرورة القيادة.....
٢٥	مقدمة.....
٢٦	دعوة انفصال الأمة عن علماء الدين.....
٢٨	مبرر دعوة الانفصال.....
٢٨	مناقشة مبرر دعوة الانفصال.....
٢٩	تجربتا القيادة الدينية السياسية (الشعبية والرسمية).....
٣٠	أمثلة حية قريبة للقيادة الدينية السياسية.....
٣١	أنماط القيادة.....
٣٢	التفاف الأمة بالفقهاء يعزز النمط الأول من القيادة.....
٣٣	الفرق بين قيادة الفقهاء وغيرهم.....
٣٤	عناصر قرارات القيادة العلمائية.....
٣٧	رأي الشعب ورأي القيادة.....

- نماذج لتعاطي الشعب ونخبه مع قياداته..... ٤٠
- الأئمة والفقهاء: وحدة هدف وتعدد موقف..... ٤١
- موقف الشباب من خيارات القيادة..... ٤٤
- حق القيادة الصالحة على الأمة..... ٤٥
- آية ذوبان القيادة في الأمة..... ٤٥
- طرق تشخيص القيادة..... ٤٧
- دور الأمة تجاه القيادة الذائبة فيها..... ٤٧
- تعبيرات ذوبان القيادة والأمة..... ٤٩

الفصل الأول: لمحة تاريخية لمواقف سماحة الشيخ من

الثورة والإمام الخميني رحمه الله من قبل الثورة إلى رحيله رحمه الله

- رأي سماحة الشيخ في الثورة الإسلامية الإيرانية قبل انتصارها..... ٥٣
- موقفه رحمه الله من الثورة بعد انتصارها..... ٥٤
- رحيل الإمام الخميني رحمه الله..... ٧٢

الفصل الثاني: الثورة

- بحوث تمهيدية..... ٧٧
- معنى الثورة..... ٧٧
- أنواع الحركات والثورات..... ٧٧
- أشكال الثورات..... ٧٨
- مناشئ الثورات..... ٨٠
- أهداف الثورات ومتطلباتها..... ٨٣
- الثورات الرسالية تستهدف ماذا؟..... ٨٤
- ثورة الجياع تتطلب ماذا؟..... ٨٤



شروط الثورات.....	٨٤
الشرط الأول:- التمسك بالثواب والتخطيط.....	٨٤
الشرط الثاني:- وجود المقتضي وتحقق الشرط.....	٨٥
وجود المقتضي.....	٨٥
ارتفاع المانع.....	٨٥
الشرط هو تجاوز حاجز الخوف.....	٨٦
ولّى زمن الحكومات الجائرة وجاء زمن الشعوب الواعدة.....	٨٧
ما هي خيارات الحكومات الآن؟.....	٨٩
متى تكون القيادة إسلامية؟.....	٩٣
وزن القيادة بثقل القضية.....	٩٤
خسائر الثورات.....	٩٥
ضريبة التحرك السياسي:.....	٩٥
١- الخسائر مسؤولية من؟ وما هو سبب ازدياد كلفتها؟.....	٩٦
٢- هل احتمال الخسائر يعني التوقف عن طلب الإصلاح؟.....	٩٦
٣- هل هناك سبيل لتقليل الخسائر؟.....	٩٧
كلُّ ما زادت التضحيات ارتفع سقف المطالب:.....	٩٩
مقومات الثورات.....	٩٩
ضوابط الثورات.....	١٠١
ماذا يحكم التحرك والثورة؟.....	١٠١
دور النخبة والأمة في قيام الثورات.....	١٠٣
الشهادة في سبيل الله هي الطريق لتحقيق النصر.....	١٠٤
١- في بيانات الإمام الحسين عليه السلام.....	١٠٤

- ٢- بيانات السيد الإمام عليه السلام ١٠٦
- أسباب نجاح الثورات (البحرين نموذجاً) ١١١
- ازدواجية معايير التعاطي بين الثورات المعاصرة (ظلم ثورة
البحرين نموذجاً) ١١٣
- أهداف الثورات الحقّة ١١٤
- الهدف الأول:- تحطيم الحكم الطاغوتي ١١٤
- الهدف الثاني:- الحكم بما أنزل الله تعالى ١١٦
- متى تكون الثورة إسلاميةً بحق؟ ١٢٠

الفصل الثالث: القائد الخميني قدس سره في كلمات سماحة

الشيخ عليه السلام

- مقدمة ١٢٥
- ماذا قدّم الإمام عليه السلام للدين وشعبه وأمته؟ ١٢٦
- في عين من عظم السيد الإمام عليه السلام؟ ١٢٨
- أكبر انتصار الإمام عليه السلام ١٢٩
- مميزات شخصية الإمام الخميني قدس سره ١٣٠
- ١- شخصية يتجلّى فيها الإسلام ١٣٠
- ٢- إنه عليه السلام صورة من علي عليه السلام ١٣١
- ٣- إنه عليه السلام كان أمة كإبراهيم عليه السلام ١٣٢
- ٤- إنه عليه السلام الرجل الحديدي ١٣٤
- ٥- من أشمخ عمالقة الأمة بعد المعصومين عليهم السلام ١٣٥
- ٦- شخصية نادرة تتحدّى بها العالم ١٣٥
- ٧- إنه عليه السلام رجل رحمة ١٣٦



- ٨- قدوة من عطاء الإسلام..... ١٣٨
- أسرار الإمام الخميني رحمته الله..... ١٣٨
- ١- أسرار عظمتة رحمته الله..... ١٣٨
- ٢- سرّ سموه رحمته الله..... ١٤١
- ٣- سرّ انتصاره رحمته الله..... ١٤٢
- مواصفات قيادة الإمام الخميني رحمته الله..... ١٤٣
- ١- قيادةً صالحهً..... ١٤٣
- ٢- قيادةً قرآنيهً..... ١٤٣
- ٣- قيادةً عملاقهً..... ١٤٤
- ٤- قيادةً حجّةً للإسلام والمسلمين..... ١٤٤
- ٥- قيادةً ذاتيةً في الأمة..... ١٤٥
- ٦- قيادةً تاريخيةً..... ١٤٦
- ٧- قيادةً شموليةً: «القضية الفلسطينية نموذجاً»..... ١٤٦
- ٨- قيادةً ثابتهً: «يوم القدس نموذجاً»..... ١٤٨
- ٩- قيادةً وحدويةً مبتكرة..... ١٥٠
- علاقة الأمة بالإمام الخميني رحمته الله..... ١٥٣
١. الوفاء..... ١٥٣
٢. العشق..... ١٥٣
٣. الذوبان..... ١٥٤
- الإمام الخميني رحمته الله وأعداؤه..... ١٥٥
- ١- كيف يرى مناوؤا الإمام شخصه، ولماذا؟..... ١٥٥
- ٢- ماذا فعل الإمام رحمته الله في العالم؟..... ١٥٥

- ٣- من هم الذين عادوه؟ ١٥٧
- هل رحل الإمام الخميني قذافي؟ ١٥٧
- ١- رحيل ثائر وبقاء ثورة ١٥٧
- ٢- برهان عظمة ١٥٩
- القيادة بعد رحيل الإمام الخميني قذافي ١٦٠
- ١- القائد الوفي ١٦٠
- ٢- القائد الطود ١٦١
- ٣- القائد الأبى ١٦٢
- القيادة الخمينية قيس من القيادة الحسينية ١٦٢
- أ- الحاكمية للمبدأ الحق سبحانه ١٦٣
- ب- الحاكمية لمن يمثل الحق تمثيلاً كاملاً وهو المعصوم عليه السلام ١٦٣
- ج- المبدئية القياسية للفقهاء في غياب المعصوم عليه السلام ١٦٤
- تجليات المبدئية في القيادة الربانية ١٦٤
- أ - التحمل العلمي للمبدأ ١٦٥
- ١- معرفة الإمام الحسين عليه السلام بالدين ١٦٥
- ٢- معرفة السيد الخميني قذافي بالدين ١٦٥
- ب - الاندكاك في المبدأ ١٦٦
- ١- الاندكاك في المبدأ عند الإمام الحسين عليه السلام ١٦٨
- ٢- الاندكاك في المبدأ عند السيد الإمام قذافي ١٧١
- ج - الذوبان حباً في المبدأ ١٧٤
- د - التحلي بأخلاقية المبدأ ١٧٨
- هـ - الشدة في ذات الله ١٨١



و - التسليم والرضا ١٨٥

الفصل الرابع: ثورة إيران الإسلامية في فكر سماحة

الشيخ عليه السلام

مقدمة	١٩٧
ثورة شعاع من ثورة أم	١٩٨
لماذا الثورة الإسلامية؟	١٩٩
الإسلام والإنسان في قراءة الإمام الخميني قدس سره	٢٠٢
مستلزمات الثورة	٢٠٤
أولاً: الإعداد	٢٠٤
كيف كان إعداد الإمام لمعركته وثورته؟	٢٠٤
ثانياً: البذل في سبيل تحقيق النصر	٢٠٥
ثالثاً: مراعاة الإنسانية وضوابط الدين الحنيف	٢٠٦
ماذا حقق الإمام الخميني من نصر أولاً؟	٢٠٧
رابعاً: تحمّل المجاهير لمسؤوليتها	٢٠٩
خامساً: بناء إنسان الدولة	٢٠٩
إنسان الدولة أهم من دولة بلا إنسان	٢٠٩
مثال قيادة النبي صلى الله عليه وآله ونخبة الصحابة	٢١٠
نتائج إنسان الدولة، ودولة بلا إنسان	٢١١
السيد الإمام: بنى الإنسان قبل الدولة	٢١٢
طبيعة ثورة الإمام الخميني قدس سره	٢١٢
ثورة السيد الإمام قدس سره من أي نوع؟	٢١٢
بماذا تميّزت الثورة الإسلامية في إيران عن بقية الثورات؟	٢١٣

- ١- أصالة القضية..... ٢١٤
- ٢- عظمة المثال..... ٢١٥
- دور النخبة والأمة الإيرانية في الثورة الإسلامية..... ٢١٧
- النخبة..... ٢١٧
- الأمة..... ٢١٩
- كلمات السيد الإمام تدلُّ في مكانة شعبه..... ٢٢٣
- بماذا برهن الإمام الخميني بثورته؟..... ٢٢٥
- ماذا كلّفنا: الثورة الإسلامية والدولة الإسلامية؟..... ٢٢٥
- ماذا أعطنا (الثورة والدولة)؟..... ٢٢٦
- أيهما أكبر ما كلّفنا أو ما أعطنا؟ البذل أم الكسب؟..... ٢٣٠
- أين صارت الأمة بعد الثورة الإسلامية؟..... ٢٣٢
- إذا.. ما العمل عندما كبرت المسؤولية والتحديات؟..... ٢٣٤
- ثورة الإسلام الأول تجددت بالثورة الإسلامية..... ٢٣٤
- اختلاف تحديات الإسلام بعد الثورة الإسلامية..... ٢٣٦
- عظيمة أنتجت ما هو عظيم..... ٢٣٧
- الحفاظ على الثورة الإسلامية مسؤولية كلّ مسلم..... ٢٤٠

الفصل الخامس: ولاية الفقيه في رؤية الفقيه

المقاوم رحمته الله

- تمهيد..... ٢٤٥
- الفكر السياسي الشيعي والأنظمة الوراثية..... ٢٤٧
- الشيعية والولاء للوطن..... ٢٥٠
١. هل الشيعية من طبيعةٍ أخرى غير الناس؟..... ٢٥٠



٢. وما هو الولاء للوطن؟..... ٢٥١
٣. دعونا نقف وقفة تسأل عن العلاقة بين الولاء للوطن والدين؟..... ٢٥٢
٤. الشيعة في البحرين..... ٢٥٤
٥. ماذا يراد من الشيعة حتى يكونوا مواطنين صادقين ولتصدق وطنيتهم؟..... ٢٥٥
٦. [تصريح الرئيس المصري]..... ٢٥٥
٧. [كلمة أخرى إيجابية]..... ٢٥٧
٨. [تعليق أخير]..... ٢٥٧
- لماذا الاعتراض على ولاية الفقيه؟..... ٢٥٨
- منشأ الحديث عن ولاية الفقيه خارج واقعها السياسي..... ٢٦١
- ما هي حكومة الفقيه وولايته؟..... ٢٦٢
- تساؤلات عقلانية حول مسألة ولاية الفقيه..... ٢٦٥
- هل نحن مخيرون بين الإسلام وغيره؟..... ٢٦٦
- هل هناك تخير في اختيار السلطة؟..... ٢٦٧
- أصل عدم ولاية أحد على أحد..... ٢٦٩
- ولاية الفقيه علمية أولاً..... ٢٧٠
- أصل ولاية الفقيه ليس فيه خلاف..... ٢٧٢
- أدلة ولاية الفقيه..... ٢٧٢
١. الدليل اللفظي..... ٢٧٢
٢. الدليل العقلي..... ٢٧٣
- شرط فعلية ولاية الفقيه..... ٢٧٤
- حدود بسط الولاية الفعلية..... ٢٧٨
- ولاية الفقيه بريئة من التآمر..... ٢٨٣

العلاقة بين ولاية الفقيه وإرادة التوسع.....	٢٨٤
نتائج عملية.....	٢٨٥
ولاية غير الفقيه.....	٢٨٦
هل سعي دعاة ولاية غير الفقيه يفلح؟.....	٢٨٩
نتائج التجربة الإسلامية لولاية الفقيه.....	٢٩٠
عداوة الطاغوتية شهادة تزكية عملية.....	٢٩١

ملحق: تحليلات سياسية لأحداث المنطقة وإيران

أمريكا وإيران.....	٢٩٥
موقف الأمة حكومات وشعوباً من التهديد الظالم لإيران؟.....	٢٩٨
الهجوم على إيران لعب بالنار.....	٢٩٩
تحليل فوز أحمددي نجاد.....	٣٠٠
دروس من حدث الانتخابات الرئاسية في إيران.....	٣٠١
أعداء الإسلام لا يريدون الخير لإيران الإسلام.....	٣٠٦
ماذا يريدون لهذه الأمة؟.....	٣٠٨
ينتصر الإسلام ولو بالديمقراطية:.....	٣٠٩
المهدد إيران أو بلد من بلدان الإسلام؟.....	٣١٢
التمرين العسكري المشترك.....	٣١٥
لا مرحبا بك بوش.....	٣١٨
ولم جاء بوش؟.....	٣١٨
الخوف الإسرائيلي والأمريكي.....	٣٢٠
معركة الكرامة لحزب الله.....	٣٢٢
إنجازات حزب الله في حربه مع الصهاينة.....	٣٢٤

مقدمة التحقيق

لعلك تجد كتباً ودراسات كثيرة حول الثورة مفهوماً ونظريات في المنشأ والدواعي وعوامل النجاح والإخفاق، لكنك نادراً ما تجدها من مفكرٍ إسلاميٍّ كتبها وفقاً لرؤية كونية وايدلوجية امتزجت مع نظرة اجتماعية موضوعية وسياسية شاملة.

وليس من المتاح والممكن لأيٍّ أحد في هذا المجال أن يسبر أغوار بحرٍ لِمَجِّ حارت فيه دراسات الغرب قبل الشرق؛ إذ للعظمة أسرار يصعب كشفها، وادراك كنهها؛ تظهرت اليوم كقوة حضارية أبهرت العالم بمكنوناتها؛ فصار لا بد للاقتراب من فهم أسرار عظمة شخصية القائد الخميني قَدْ بَدَأَ -العالم العارف الفقيه الفيلسوف- وأسرار ثورته الحضارية؛ أن نجلس بين يدي شخصية قريبة الأفق منها.

ولقد اسدل هذا الكتاب الستارَ عن عمقٍ فكريٍّ فريد من نوعه لسماحة القائد المجاهد آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم رَحِمَهُ اللهُ فِي دراسة نشوء الثورات وشروط نجاحها وعناصر المحافظة على مكتسباتها، وإنَّ دراسة الثورات والقراءة السياسية للأحداث تحتاج إلى وعي خاص وحنكة متميزة وحكمة بالغة؛ لأنَّ للسياسة عالمها الخاص ودهاليزها.

ثم ينثني البحث فيه إلى تسليط الضوء على أعظم ثورة عرفها التاريخ لغير قادة السماء المعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الثورة الإسلامية بقيادة

الإمام الخميني قدس ليقراها في جوانبها وأبعادها المختلفة، خصوصاً ما يرتبط بالمضمون الثوري الممزوج بالوعي الإسلامي الأصيل على المستوى العقائدي والفقهية والأخلاقي، وما تميّز به من «حماسة وعرفان» مقترنين.

فمنذ انتصار الثورة الإسلامية وإلى يومنا هذا - ما يزيد على ثلاثين عاماً - لا يمر عام تقريباً إلا وتجد لسماحته دراسةً أو تحليلاً^(١) لشخصية الإمام الربانية وثورته الإسلامية المباركة ودولتها وقادتها، تنبيك كل صفة وكل كلمة صادرة منه عن بُعد من أبعاد تلك الشخصية الإلهية وثورتها المظفرة.

لذا فإنك ستقف -أيها القارئ الكريم- من خلال سطور هذا الكتاب وما وراءها حين تبهر مع سماحة الشيخ في لجج بحر القائد الخميني قدس ستقف على أبعاد البناء في الثورة الخمينية: من بناء الإنسان بما يحقق له إنسانيته الحقيقية إلى بناء الحضارة التي تأخذ أصولها وفروعها من أصول الإسلام وفروعه وهذا هو البعد الحضاري لتجلي الإسلام فيها.

المجدير بالذكر إنه لو جمعت كل الكتابات وكل الخطابات والمحاضرات التي ألقاها سماحة الشيخ مكتوبة لكونت لنا موسوعة

(١) في كل عام يكون له عدة خطابات أو لقاءات إما في ذكرى عشرة الفجر وانتصار الثورة أو في ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس أو غيرها.



من عدة مجلدات، وقد بذل بعض الأخوة جزاهم الله خيراً جهداً كبيراً مشكوراً ومقدراً في هذا المجال إلا أن بعضها بقي رهن الأقراص والأشرطة المسجلة، وحيث لا يسقط الميسور بالمعسور وما لا يدرك كله لا يترك كله، جاء هذا الكتاب.

وأحمد الله تعالى أن وفقني لجمع ما تمكنت من شتات هذا الموضوع وتنظيمه وتبويبه وفهرسته ليسهل على القراء الوقوف على إفادات سماحة الشيخ وعمق تحليلاته.

عملنا في هذا الكتاب

اقتصرنا في هذا الكتاب على عرض كلام سماحة الشيخ - كما هو - قدر الإمكان مع شيء من التنسيق، لنضعها بين يدي الباحثين والقراء ممن يروم الدراسة والتحليل وقراءة الأبعاد المختلفة حول حقيقة الثورة وشخصية الإمام عليه السلام من نص كلمات سماحة الشيخ.

١. جمعنا كل الخطب والمحاضرات والمقالات «المكتوبة» لسماحة

الشيخ حول موضوع الكتاب وما يمت له بصلة.

٢. فرزنا الخطب فرزاً موضوعياً.

٣. بوبنا الخطب في مقدمة ومدخل وفصول خمسة وملحق.

٤. وضعنا عناوين عامة وجانبية لكثير من الخطب ضمن

الفصول بما نراه مناسباً.

٥. فرقنا الموضوعات والأفكار بحسب المضامين بين العناوين

المختلفة.

٦. قمنا -في مواضع كثيرة- بتقسيم الفقرات بوضع الأرقام والنقاط.

٧. لم نتقيد بالتسلسل الزمني لإلقاء الخطب فقمنا بالتقديم والتأخير بين الخطب زماناً بما يناسب المنهجية المنطقية والموضوعية.

٨. قمنا -بعض الأحيان- بالتقديم والتأخير في الخطبة الواحدة أو المقال الواحد.

٩. بطبيعة خصوصية الموضوع احتجنا -أحياناً- لاقطاع مواضع الحاجة فقط -بحسب نظرنا- من بعض الخطب.

١٠. اضطررنا لحذف بعض أدوات العطف وعلامات الترقيم بما ينسجم مع موقع الكلام.

المقدمة^(١)

طريق الصعود إلى الله، والتأهل إلى مرضاته، والتأدب بأدبه طريق واحد لم يترك الله ﷻ للعباد أمره، بل نصّ عليه نصّاً، ورفض ما سواه رفضاً قاطعاً، فلا غير الإسلام، ولا بديل عنه، ولا شيء يضاف إليه.

وليس إلاّ الإسلام الذي يعترف بحاكمية الله ويردّ الأمر كله إليه، ويواجه من يعطي لنفسه حق الحاكمية من دون الله.

هذا هو الإسلام الذي كانت من أجله عاشوراء مواجهةً للإسلام الأموي اليزيدي المزيف، وكانت من أجله الثورة الإسلامية في إيران رداً على الإسلام الشاهنشاهي الأميركي المكذوب.

إنه التمييز الواضح للإسلام اللافتة التخديرية الاستغلالية الذي يعلو سوطاً على ظهور المحرومين المقهورين، ويسوق تبريراً لتسلط الظلمة الجبارين. هذا التمييز الذي حرصت نصوص الثورتين على تركيزه وعياً وشعوراً وموقفاً عملياً في نفوس أبناء الأمة وجهائيرها العريضة، التمييز الذي أعطى قيمة خاصة لكل قطرة دم تقدّست بهذا

(١) بقلم سماحة الشيخ، (مستلة من كتاب ثورة أمّ ثورة شعاع، ط ١، دار المحجة البيضاء سنة ٢٠١٤م).

الوعي من دم شهيد أو جريح^(١).

ولا تزاحم مطلقاً بين الإسلام -بقائه وعزه وظهوره- وبين إنسانية الإنسان؛ فليس أكثر من أن يتطلب عز الإسلام تضحية الإنسان، وهو هنا إنما يضحى ببدنه تقدماً لإنسانيته التي لا تجد ذاتها إلا في الإسلام.

وليس من لحظة يشهد فيها الإنسان حضوراً إنسانياً غنياً، وغزارة وتدفقاً وفاعلية لهذا الوجود، ونضجاً وقفزة في مستواه كل لحظة إقدامه على الشهادة في سبيل الله واعياً مختاراً مطمئناً مخلصاً؛ إذ لا شك أنها:

أولاً: اللحظة التي يصغر فيها عند الشهيد كل شيء من دون الله، ولا يكون كذلك إلا بأن يكون الله قد فتح عليه باباً من اللطف والهدى، وأسكن قلبه الطمأنينة، بما أراه من جماله وجلاله وصادق وعده، مما يريحه ويرضيه ويرتفع بشعوره عن الدنيا وما فيها.

ثانياً: وهي لحظة ترى إنسانية الإنسان فيها ذاتها صدقاً ظلاً لقدرة التقدير ولطفه الكبير، وهل لإنسانية الإنسان غنى ونضج وبلوغ غير أن نرى هذه الرؤية فتزایل الدنيا وتطيب وتطهر، وتستريح وتستقر، وتثق ويغمرها اطمئنان وفير؟!

(١) ثورة أم وثورة شعاع: ٢٥.

ثالثاً: وهذا الاتصال الحي المثري من الفاني بالباقي، ومن الذليل بالعزیز، ومن الفقير بالغني، يضاف إلى أنه يمثل القفزة الهائلة والنضج النهائي لإنسانية الشهيد إنه يبقى منذ لحظة الشهادة الاتصال الحي الثابت الدائم الذي لا غياب له ولا فتور.

لو تزامم بقاء الإسلام مع بقاء الإنسان أيهما يُقدم؟

هذا وقد يحصل التزاحم بين مصلحة البقاء والعز للإسلام، وبين البقاء عدداً من سنوات في الحياة الدنيا لبعض من مجتمع أو أمة؛ وهو تزامم بين إنسانية الإنسان وعزه وكرامته وبقائه الخالد الراغد من جهة، وبين أن يبقى بجسده قليلاً أو كثيراً من سني الذل والهوان والخسة في الفانين من جهة أخرى؛ وهو تزامم لا يتردد فيه الإسلام - بشهادة نصوصه الداعية إلى الجهاد، وتاريخه في الصراع المير مع الكفر كله - لا يتردد أن يقدم عز الإيمان وإنسانية الإنسان وحياة السُعداء الخالدين على حياة الذل والانسحاق في الأشقياء الفانين.

نعم هذه هي العلاقة: الإسلام من أجل الإنسان يربيه ويزكيه ويقوم مسيرته ويصح أوضاعه ويبلغ به غايته، والإنسان يتحمل أمانة الإسلام حتى الموت في سبيله، وهذا موت جسد فيه أشد حياة للروح وأكبر طفرة في الوجود، وأخصر طريق للغاية^(١).

(١) ثورة أم وثورة شعاع: ٣٨.

المدخل

ضرورة القيادة

- الدعوة لانفصال الناس عن العلماء
- يغيظ المنافقين الولاء للعلماء
- ما الفرق بين قيادة الفقهاء وغيرهم؟
- حق القيادة الصالحة على الأمة

المدخل ضرورة القيادة

مقدمة

الأمة -أي أمة- تُعتبر القيادة الصالحة من ركائز وجودها الحضاري، ولن تكون لأمة نهضة ما لم تكن هناك فكرة موحدة تلتقي عندها أفئدة أبناء الأمة وعليها كذلك، وما لم يكن هناك قيادة صالحة تلتف بها جموع الأمة وتعطيها ولاءها، وإلا فكان الجمع الغفير أشتاتاً ومزقاً لا يمكن أن يكون مجتمعاً حضارياً متقدماً^(١).

تربية المجتمع المسلم تربية دقيقة أمينة شاملة لا بد فيها من الاهتمام بالمقومات الرئيسة للدين، وأبعاده المختلفة ومنها البعد السياسي، وتوفير رؤية سياسية إسلامية بمعنى أنها مطابقة للمذهب السياسي في الإسلام، وأن يحمل المجتمع الهم السياسي والحيوية السياسية الموظفة لصالح الإسلام.

فلا تصدق التربية الإسلامية الشاملة للمجتمع في غياب الرؤية السياسية الإسلامية، والوعي والهم السياسي الذي يخدم الإسلام وعدالته العملية والهوية الإسلامية للمجتمع. فالإسلام على هذا الفرض موجود ولكن بصورة عملية ناقصة .

(١) خطاب في الثمانينات، تسجيل صوتي.

أما انفصال التربية السياسية عن الإسلام رؤية ومفاهيم ووعياً وهماً وأهدافاً وأساليب فهو لا يقدم للمجتمع صورة ناقصة عن الإسلام فحسب، وإنما يتمانع مع وجود الإسلام، ويضاده، ويدخل معه في مواجهة، وينتهي إلى نقض مصالحه.

إذا كانت هناك تربية سياسية على غير الخط الإسلامي، واستخدمت في الوقت نفسه عنوان الإسلام، وحملت شعار الإسلام كان الخطر أكبر، وإذا استخدم هذا الفصل عنوان الإسلام، ورفع شعاره، وأقنع أبناءه به كان ذلك افتراءً على الإسلام، وخيانة له، وإضراراً بالغاً به نظرية وتطبيقاً^(١).

دعوة انفصال الأمة عن علماء الدين

يريد المناوئون لأمتنا، المعادون للإسلام من الخارج والداخل إسلاماً بلا فقهاء أفذاذ أمناء صالحين أتقياء ترجع إليهم الأمة في فهم الدين وفقه الشريعة، وتأخذ برأيهم في مسيرتها. وليس هذا فحسب، بل يريدون للأمة مراجع فاقدين للعلم والدين، أو للدين وحده، وهذا هو المفضل فيما يقصدون إليه، فإن العالم بلا دين أضرب على الإسلام والأمة ممن دونه، وهو أقدر على التغيير بالناس، وأملك لأدوات الهدم والتضليل باسم الإسلام.

(١) خطبة الجمعة (٣٢٣) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ - ٢ مايو ٢٠٠٨م.



وإذا وُجد مراجع لهم من العلم والتقوى ما لا يمكن للأمة أن تتغافله، واستحال على الأعداء أن ينكروه، وأن يسقطوا حملته، فليكن هؤلاء -فيما يخطط له أهل المكر بالأمة والدين- مراجع في المسائل العبادية الفردية البعيدة عن المساس بمصلحة الاستئثار والاستغلال والاستعباد التي يحرص المستكبرون وذيوهم على التمتع بها.

وهذا الفصل بين الأمة وفقهائها المخلصين، وعلمائها العاملين، والتحجيم لدور هذه النخبة القيادية -ومحل الوصية المؤكدة من رسل السماء، وأئمة الدين- هدف خبيث ثابت عند المستكبرين العالميين وأذناهم، وله الأهمية الكبرى فيما يخططون.

وعلى الأمة أن تعي ذلك وتعمل على إحباطه، الانشداد إلى من أمر الله سبحانه بالاطمئنان إليهم، وأخذ الدين منهم، ومتابعتهم ومسايرتهم، والتخندق معهم في خندق الإسلام المنتصر بإذن الله^(١).

إن انشداد جماهير الأمة وشبابها وشاباتنا وناشئتها بالخصوص لفقهائها وعلمائها الواعين الصادقين المخلصين -وهم الحماة الحقيقيون لدينها واستقلالها ومصالحها- لأشدّ إيلاًماً لجبهة المستكبرين في

(١) هتاف جموع المصلين بـ(معكم معكم يا علماء).

الأرض والمفسدين فيها من كل أمر آخر^(١).

مبرر دعوة الانفصال

قد ذكروا لهذه الدعوة مبررات، منها: إن بقاء المرجعية الدينية للفقهاء والعلماء يؤدي إلى قيادتهم السياسية، وهي قيادة مربكة، وقاصرة، ورجعية، ومعطلة لطاقت الأمة، وتصادم روح الانفتاح، والعصرنة، والتقدم^(٢).

مناقشة مبرر دعوة الانفصال

ويجري مناقشة هذا التبرير:

- مرة مع استبعاد البعد السياسي من هذه القيادة.
- ومرة مع إدخاله.

١- مع فرض الاستبعاد وقصر هذه القيادة على رعاية الشأن الديني البحت للأمة، والتصدي للإجابة على الأسئلة من هذا النوع، وتبيين مسائل الدين، ومواجهة الشبهات، والحفاظ والتنمية للحوزات العلمية فإن الدعوة لإسقاط هذه القيادة إما أن تكون مع تعطيل هذا الجانب نهائياً، أو مع إسناد هذه المهمة إلى شريحة أخرى غير دينية، أو دينية بعيدة عن جو العلماء وفهمهم وثقافتهم.

(١) خطبة الجمعة (٣٢٣) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ ٢ مايو ٢٠٠٨م.

(٢) خطبة الجمعة (٤٣١) ٢٦ ذو الحجة ١٤٣١هـ ٣ ديسمبر ٢٠١٠م.



وهذا الطَّرح يعني إلغاء الدين من وجود الأمة، والقضاء على ما تبقى منه، ولا يتقدّم به إلا من كان هدفه ذلك، وإلا فكيف تُسند رعاية الدين إلى البعيدين عنه؟! وكيف تُتلقّى أجوبة مسائله، وآراؤه من غير حملته وعلمائه؟!

٢- وإذا كانت قيادة العلماء التي يُراد تجنب المجتمع إياها - حذراً من أخطارها العظيمة - لما تشمله من بُعد سياسي فإن المرجعية الدينية لم يلازمها دائماً وفي كل تاريخها ما تحذره السياسة الدنيوية منها من سحب البساط من تحت قدمها، ولا تحمل هذا الاهتمام عملياً في كثير من تجاربها^(١).

تجربتا القيادة الدينية السياسية (الشعبية والرسمية)

والقيادة الدينية ذات البعد السياسي لها تجربتان في هذا المقطع الزمني الخاص:

■ تجربة على مستوى القيادة الشعبية المسهمة في الوضع السياسي.

■ وأخرى على مستوى القيادة من خلال الموقع الرسمي وإدارة شؤون الدولة.

وكلُّ منهما جسّد مثلاً رائعاً في مجال القيادة ولم يحدث على يده

(١) المصدر نفسه.

إلا الانتصار للأمة والعدل والأمن والاستقلال والتقدم العلمي الشامل. إن تجربة الدولة الدينية قدّمت كلّ ذلك، وانفتحت على كلّ طيب من طيبات الدنيا، وإيجابيٍّ من إيجابيات الحضارات، وصالحٍ من صالح الإنسان، وأحدثت نقلة كريمة في حياة الأمة.

أمثلة حيّة قريبة للقيادة الدينية السياسية

وتجسّدت تجربة القيادة من خلال الموقع الشعبي في مثل... السيد محمد باقر الصدر، والسيد الخميني الذي تمثّلت فيه القيادة الدينية في كلّ من الموقعين، والسيد موسى الصدر، والسيد فضل الله والسيد نصر الله، وكلّ هذه القيادات لم تتأخر بالأمة علماً ولا عملاً بل أعطتها التقدم والنباهة واليقظة، وأثارت فيها روح العزّة والكرامة، وساهمت في إصلاح الأوضاع، وأثارت الطريق، ودعت إلى كلّ تقدّم نافع.

وقد حقّقت قيادة السيد حسن نصر الله نصراً كبيراً للأمة على إسرائيل التي ركّعت كثيراً من الأنظمة الرسمية الدنيوية.

وقد جرّبت البحرين القيادة الدينية في ظلّ شيخنا الجُمريّ الذي ما كان يستهدف إلاّ الإصلاح، وكلّ دعواته إنما كانت للعدل والمساواة والإخوة الإسلامية والإنسانية والتقدّم الكريم في هذا المجتمع، وقد شهدت سيرته بكلّ ذلك.

هذه تجارب القيادة الدينية ولتُقارَن بالتجارب الأخرى في هذا



المضمار.

وعدد من الأقلام الداعية للانفصال عن المرجعية الدينية^(١) خوفاً من أن تكون لها قيادة سياسية يبارك أي مرجعية دينية موالية لما تواليه هذه الأقلام من أنظمة رسمية دنيوية، ويؤكد على صلاحها^(٢). فالغرض لكل هذه الكتابات معروف مكشوف، والمنطلق إما سياسي ضيق الأفق، أو حضاري معاد لكل ما هو إسلامي^(٣).

أنماط القيادة

القيادة قيادتان:

١. قيادة مبدئية مؤمنة: تعطي كل شيء من أجل الله للأمة والمبدأ، وتربط النصر بالله ثم الأمة والمبدأ، وتتوارى عن الشاشة كي لا ترى إلا عظمة المبدأ.

٢. قيادة أرضية نفعية: تأخذ ظلماً كل نفع، وتدعي زوراً كل نصر. والظهور لها كذباً لا لأمة ولا مبدأ؛ وما النصر إلا من تدبيرها،

(١) يريدون للأمة الانفصال عن الدين بالكامل حتى في المسائل الدينية كما تقدم، وهناك كتابات وفي البحرين بهذا. «منه حفظه الله»

(٢) المعادة ليس للمرجعية؛ المرجعية تدعو للاستقلالية، المرجعية تدعو للأخذ بالدين. المرجعية الموالية لأي نظام من الأنظمة الرسمية مرجعية مدعومة ومؤيدة ومنتصر لها. «منه حفظه الله»

(٣) خطبة الجمعة (٤٣١) ٢٦ ذو الحجة ١٤٣١هـ - ٣ ديسمبر ٢٠١٠م.

وما العزَّ إلا من فيضها، وما في أيدي الناس إنما هو شيء من فضلها؛ فهي رب الأرباب ومسبب الأسباب، ومن قال غير ذلك هلك^(١).

اللتفاف الأمة بالفقهاء يعزز النمط الأول من القيادة

يلتفُّ أصنافٌ من منتسبي الأمة بقياداتٍ كصدام، ويخلصون لها الولاء، ويفدونها بالنفس والنفيس، ولكن يغيظهم أن تثق الأمة في أحد قادتها الدينيين المخلصين في أي بلدٍ كان، فمزعجٌ مثلاً أن تستقطب المرجعية الدينية في النجف الأشرف أو في إيران أو في فلسطين أو في أي مكانٍ آخر قلوب المؤمنين، وكلما كانت القيادة أكثر كفاءة وإخلاصاً كلما كان الالتفاف بها مزعجاً للبعض بدرجة أكبر، ويأتي على ألسنتهم هنا إشكال: التقديس والتأليه، والدكتاتورية والفردية، واستغفال الجماهير، والالتفاف غير الواعي، والتسليم الأبله.

وكل هذا لا يأتي إذا كان الالتفاف بقياداتٍ أخرى كالقيادات العلمانية، على أن الفرق هائلٌ بين القيادة المؤمنة التي تخشى الله وتراقبه، وتخاف من التصنم، وتفرّ من مظاهر الطاغوتية، وتستوحش من شعورها، وتأبى إلا أن تقود الناس إلى الله، وتعبدهم له، وأثقل ما عليها أن تكون قاطعة طريق الناس إلى الله بأن يقف الناس عندها

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٦٦.



دون الله^(١).

الفرق بين قيادة الفقهاء وغيرهم

فرقٌ بين هذه القيادات^(٢) وبين القيادات الأخرى التي تطلب الألوهية الكاذبة، وتعمل كل ما في جهدها لأن تُعبد من دون الله، وتخضع لها الرقاب، وتخضع الأبصار، وتنخلع منها الأفئدة، ألم يكن صدام كذلك؟! أليس على أرض الإسلام والعروبة رؤساء جمهوريات من هذا النوع؟! وكم هم الملتفون حولهم؟! من هؤلاء الذين يثيرون الأشكال أمام وجود قيادة مؤمنة مخلصه يثق بها المؤمنون؟! أوليس هناك دعاة أحزاب علمانيين يستقطبون خلقاً يذوبون فيهم، ويضعون كل إمكاناتهم تحت أيديهم، ويسبحون ويقدمون بأسمائهم؟! أليست على أرض الإسلام مليون إذاعة تسبح وتقديس صباحاً ومساءً بأسماء ملوك ورؤساء جمهوريات؟!!

ما كان أوحش على أمير المؤمنين عليه السلام من أن يُعطى ما ليس له، ومن أن يُظهر أحدٌ من مؤيديه وأتباعه ما يبدو منه ذلة ذلك التابع. ونحن نعرف أن في الالتفاف بالمرجعية الدينية المخلصة الكفوءة في مثل النجف الأشرف قوة للدين يكرها الكافرون والمنافقون،

(١) خطبة الجمعة (١٦٦) ٢ شعبان ١٤٢٥هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠٠٤م.

(٢) أي القيادات العلمانية المؤمنة.

ويحولون بين الأمة وبين هذا الأمر ما استطاعوا وبكل الأثمان.

وعلى الأمة أن تكون عنيدة كل العناد في هذه المسألة، وأن تكابر إرادة الكافر والمنافق في الانفصال عن قياداتها الدينية، وتُحبط آمال أعدائها في أن تكون رهينة حالة الفرقة والشتات والانفراط والفوضى^(١).

عناصر قرارات القيادة العلمائية

العلماء يمتلكون من الفهم الموضوعي الذي يشاركون به الآخرين ما يمتلكه الآخرون، ويمتلكون أسسهم الخاصة في عملية تكوين أي رؤية تتصل بقرار خاص ويراعون هذه الأرضية وهذه العناصر المهمة بالنسبة للقرارات التي ترتبط بمصير شعب، وطن، أمة.

وأرضية القرار عند العلماء بشكل إجمالي غير تفصيلي، لها عناصر -وأنا لن أدخل في تفاصيل هذه العناصر- وقد لا أستوعبها حتى بنحو الإجمال هنا، ولكن منها:

١- المعلومة الموضوعية المدروسة والمحصنة: ومحاولة البلوغ إلى

أكبر قدر من المعلومات الموضوعية التي تدخل في تكوين الرؤية.

إذا كان من الممكن أن نصل إلى عشر معلومات فلا يمكن أن نقف عند تسع معلومات، وإذا كان للمعلومة خمسة طرق فلا يمكن أن

(١) خطبة الجمعة (١٦٦) ٢ شعبان ١٤٢٥هـ - ١٧ سبتمبر ٢٠٠٤م.



نكتفي بأربعة طرق لهذه المعلومة. وكل معلومة تدخل في مقارنة وموازنة ومحاسبة بحسب قانون حساب الاحتمالات.

نظرية حساب الاحتمالات نظرية قررها السيد الشهيد الصدر في مدرسته الأصولية، واعتمدها اعتماداً واضحاً، وهي نظرية لا تقف عند الفقه فقط وإنما تمتد لكل مساحات الحياة، وفي صياغة كل المواقف.

٢- مصلحة الشعب والوطن: والمصالح تتفاوت قدراً. قد تكون مصلحة بمقدار ٦٠٪، وهناك مصلحة بمقدار ٨٠٪، وأنا يمكن أن أضحي بمصلحة ٦٠٪ من أجل مصلحة ٨٠٪. وهناك مضرة تساوي ٥٠٪، ومضرة تساوي ٧٠٪، وأنا أقبل مضرة ٥٠٪ من أجل أن أقي هذا الشعب مضرة ٧٠٪.

فالمضار ليست واحدة، والمصالح ليست واحدة وزناً وحجماً، وقد تقدم مضرة على مضرة، وقد تقدم مصلحة على مصلحة، وقد يقبل بمضرة من أجل مصلحة، وقد يضحي بمصلحة من أجل دفع مضرة. وكل ذلك خاضع لحسابات دقيقة وموزونة ومقارنة.

٣- المُرَاعَى قبل كل شيء في نظر العلماء هو الله: وإذا روعي الله روعي المستضعفون، وإذا روعي الله روعي المظلومون، وإذا روعي الله روعي المحرومون.. تعني مراعاة الله مراعاة العدالة، تعني مراعاة الله مراعاة الحق، تعني مراعاة الله مراعاة القيم التي لا حياة في الأرض إلا

بها، تعني مراعاة الله مراعاة مصلحة الأمة في حاضرها وفي مستقبلها، في بعدي وجودها؛ البعد المادي والبعد المعنوي.

مراعاة الله تعود إلى الانتصار للحق، والوقوف مع المظلوم لا مع الظالم، فإذا وجد ظالم ووجد مظلوم، فعلماء الدين إذا استقاموا على خط دينهم، وإذا امتلكوا الرؤية الموضوعية، والرؤية الدينية أعانهم ذلك على أن ينتهوا إلى موقف صائب، والخطأ يتعرض له كل السياسيين، وكل علماء الدين، ولا ينجو من الخطأ إلا معصوم.

٤- ليست من قيادة في الأرض -من بعد المعصوم- ولو حرصت كل الحرص على أن تقترب مما يحقق المصلحة، ومما يجنب المضرة إلا ويحتل في حقها أن تسقط في الخطأ، ولكن على الشعوب دائماً أن تختار من القيادات من تأمنه بسبب عقله، وسبب دينه، وتنزهه عن أن يشتري، وعن أن يساوم على مصالح المؤمنين.

٦٥- الفقه والتقوى عنصران ضروريان في القرارات التي تتصل بأمة الإسلام، لا بد في اتخاذ قرار يريد أن يتحدث عن حاضر هذه الأمة، عن مصيرها، عن حاضر جزء منها، عن مصيره، عن مصلحته، عن مفسدته، لا بد لهذا القرار من أن يدخل في تكوينه عنصر الفقه والتقوى، وإلا يمكن أن يكون قراراً سياسياً ولكنه ليس قراراً سياسياً منسجماً مع خط الأمة، وهويتها، وإيمانها.

وقد يتوقع البعض من عنصري الفقه والتقوى أنهما يؤديان دائماً



إلى السلب، وهذا خطأ فادح. كما تؤدي الرؤية السياسية المصلحية النفعية إلى قرار سلبي أحياناً، إلى قرار يؤمن بالموقف السلبي يمكن أن تؤدي الرؤية التي يدخلها عنصر الفقه والتقوى إلى الموقف السلبي.

وكما يمكن للرؤية النفعية البرجماتية أن تؤدي إلى قرار بالموقف الإيجابي يمكن للرؤية التي ترتكن وترتكز على اللحاظ الموضوعي والفقه والتقوى أن تؤدي إلى قرار إيجابي. ويمكن للرؤية السياسية المجردة أن تقول نعم للسلب، ويمكن أن يتوقع الشعب من الرؤية التي تأتي على يد علماء الدين ممن لهم فقه، ولهم تقوى في منعطف من المنعطفات المصيرية وفي موقف من المواقف قراراً بالسلب فيفاجأ بقرار الإيجاب^(١).

رأي الشعب ورأي القيادة

١. حالة الاختلاف: يمكن للشعب والرأي العام أن يتوقع في منعطف من المنعطفات، وفي موقف من المواقف من علماء الإسلام الذين يحملون وعياً فقهياً، ويحملون درجة كافية من التقوى موقفاً بالإيجاب فيأتي موقفهم بالسلب.

٢. حالة التوافق: يمكن أن تتوافق الرؤيتان؛ رؤية الرأي العام

(١) كلمة حول العريضة الشعبية، جامع الامام الصادق عليه السلام بالدراز ٢٠ أبريل

ورؤية أي قيادة سياسية لا دينية، أو أي قيادة سياسية دينية.

ودائماً يُطلب من الشعوب أن تحرص على أن لا تمشي خطوة واحدة ابتداءً إلا وراء من تُشخص فيه شروط القيادة. في أول المسيرة لا تُرشحوا للقيادة جمعية، ولا تُرشحوا للقيادة أي مؤسسة، ولا لقيادة مجتمع إلا من ترون فيه أن تتبعوه يوم مخالفتكم في الرأي له، ومن ترون في أنفسكم بسبب وعيه، ورؤيته الموضوعية، وفقهه وتقواه أنكم تصبرون على الرأي الذي يأتي منه في منعطف من المنعطفات على خلاف رأيكم.

الإسلام بالنسبة للقيادة الأصلية - قيادة المعصوم عليه السلام - وضع في يدها إمكانات هائلة، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(١)، شيء عظيم، لكن أتدري أن في رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا تستطيع كل الوسائل الوقائية في الحكومات، وكل التأديبات، وكل القوانين، وكل المراقبات، وكل الصلاحيات الشعبية أن تضمنه في قائد كما هو مضمون في رسول الله صلى الله عليه وآله؟! عصمة.

وفي حال الضرورة وفي غياب المعصوم يأتي مكان العصمة أكبر فقه ممكن، وأكبر تقوى ممكنة، وأكبر خبرة ممكنة، وأكبر معدل وسطي مجموعة عناصر من العلم والتقوى والعمل الصالح ومن الخبرة

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.



الموضوعية، والتجربة العملية وامتحان الشعب للشخصيات ليس في سنة واحدة ولا في سنتين.

أقول لا بدّ للشعب -أي شعب- ابتداءً أن يدقق، أن يتابع باهتمام شخصياته ليدرس الشخصية التي له أن يرشحها لهذه الجمعية أو لتلك الجمعية.

فإذا ما رشحها على ضوء أسس واضحة ثابتة يقررها العقل والعقلاء، ويقررها الإسلام ثبت على هذا الشعب أو على هذه الجماعة أن تستجيب لقرار هذه القيادة بعد وضع كل المعلومات الممكنة بين يدي القيادة، بعد تقديم المشورة، بعد التحذير من المطبات، بعد تقديم كلّ الإنارات، كلّ ما في جيب الآخرين من معلومات مفيدة، ومن رؤى تُقدّم للقيادة، وليس للقيادة أن تستكبر على هذا، وعليها أن تصبر على دراستها، والوقوف عندها طويلاً وتأمّل.

لكن قد تنتهي في الأخير إلى رؤية تخالف شريحة صغيرة، أو تخالف شريحة كبيرة من الشعب أو الأمة، وفي الأمة رؤى، وفي الشعوب رؤى، وقد تكون هنا رؤية وهناك رؤية، إلا أن القيادة عليها أن تأخذ بالدراسة والتمحيص والتدقيق لينتهي بها كل ذلك في ضوء من فقهها ومن تقواها إلى هذه الوجهة من النظر لا لأنها وجهة نظر الشريحة الكبيرة، ولا لأنها وجهة النظر للشريحة المثقفة، ولا لأنها وجهة النظر للشريحة القريبة أو البعيدة أو القوية أو الضعيفة، وقد

ينتهي بها الأمر إلى رأي يخالف رأي هذه الشريحة وتلك الشريحة.

نماذج لتعاطي الشعب ونخبه مع قياداته

النموذج الأول: السيد الإمام عليه السلام كان قراره قراراً مفاجئاً في الحرب وكان أشد رجل في القيادة في الجمهورية الإسلامية في إصراره على مواصلة الحرب، وتقدم المحيطون به من أصحاب الخبرة، وأصحاب العلم والفقه، وأصحاب الرؤية الموضوعية باقتراح التوقيف مرات إلا إنه يأبى، ثم جاء قراره ليفاجئ الشعب، ويفاجئ الحرس الثوري الذي كان كله حماس، وكله إقدام، وكله تضحية، وكله فداء، ولو لم يكن وعي، ولو لم يكن إيمان، ولو لم يكن تقوى لذبح السيد الإمام على يد جنده.

النموذج الثاني: تعرفون موقع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، شريحة تجبره على التحكيم -الذي لم يكن يراه- وهي الشريحة التي أفقدته النصر العسكري، وهي الشريحة التي أفقدت الإمام الحسن عليه السلام النصر العسكري وأجبرته على الصلح المذل للمؤمنين كما قال بعض المؤمنين حينذاك.

النموذج الثالث: مالك الأشتر فكان بينه وبين فسطاط معاوية، رجل الحرب الأول في المعسكر الثاني كما يشبه قاب قوس أو قوسين فيأتيه الأمر من أمير المؤمنين عليه السلام أن ارجع، فيقول: قولوا لأمر المؤمنين الآن آتيك برأس معاوية، فيقول له ارجع وإلا قتل إمامك.



أُينقذ أمتكم من هو أشجع وأحرص على الإسلام من مالك الأُشتر؟! وإذا بمالك وليس بينه وبين النصر إلا أن يدَّ يده إلى معاوية، يتحرك قليلا فقط، ويأتي برأس معاوية وتنتهي الفتنة كلّها، يتوقف بزحفه؛ لروح الانضباط، وروح الإيمان بالقيادة، أقول لكم لا بد أن تبحثوا عن قائد تؤمنون به.

من الخسارة الفادحة، ومن المغامرة السفهية جداً، أن تُسلموا في أمر صغير أو كبير لقيادة لا تؤمنون بها في الأزمات، وفي المنعطفات الخطيرة، يرجع مالك الأُشتر بلا نصر، وتكون غلبة التحكيم لمعاوية، مقدماً أمر القيادة على ما كان يرى فيه المصلحة^(١)!

الأئمة والفقهاء: وحدة هدف وتعدد موقف

نهج الإسلام في نهج رسوله الكريم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، ومبادئ هذا النهج ثابتة، وقيمه لا تتغير، وموضوعه الدائم توحيد الله، وعزة الإسلام والمسلمين، والحفاظ على مصلحتهم، أما الأساليب وتشخيص الموقف العملي من الأحداث وطبيعة المواجهة، ولون الجهاد فهو أمر متحرك، والخيارات قد تكون مفتوحة، وقد تحددها الظروف والإمكانات، والأخذ بالأسلوب الموافق لمصلحة الرسالة والأمة يعتمد على الخبرة والحكمة والصدق والإخلاص،

(١) كلمة حول العريضة الشعبية، جامع الامام الصادق عليه السلام بالدرار ٢٠ أبريل

والمعصوم هو القمة في كل ذلك، ومن بعده الفقهاء العدول من أهل الخبرة والمستعنيين بأهل الاختصاص، والرسول ﷺ حارب وصالح وهادن، وعليه عليه السلام امتنع عن البيعة كرهاً أو قسراً ثم أشار وأعان بما فيه خير الدين والأمة، والحسن حارب وصالح، والحسين لم يكن أمامه لمصلحة الدين والأمة إلا أن يحارب ويستشهد، وكان للأئمة الباقين جهادهم العقيدي والفقهية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وبناءهم للكتلة الإيمانية الصالحة، ونشر العلم، والإبقاء على الهوية الإسلامية العامة للأمة، وإسقاط الشرعية الدينية عن غير حكومة القرآن والسنة.

وكل هذه الخيارات تنتظمها أهداف واحدة، ومنطلق واحد، ورؤية نوعية مشتركة ما كانت تسمح أن يعدو معصوم خيار المعصوم الآخر لو كان ظرفه ظرفه. فلا تهافت في الإسلام، ولا في خيارات المعصومين عليه السلام، فكل خيار من خياراتهم جاء في موقعه المناسب الذي يجعله لا يحمل خطأً، ولا تساهلاً في مصلحة الإسلام والأمة، ولا تخلفاً عن مقتضى الواجب.

وفي سنواتنا المحدودة وجدنا مواقف متعددة من مجاهدين صادقين، وفقهاء أفذاذ، وجدنا الشهيد الصدر الأول ومكابرتة لحكم البعث، وعناده المستميت حتى استشهد، والسيد الإمام وثورته الدامية وتضحياتها الكبيرة، ودولته المباركة ومواجهتها المستمرة لأمريكا



والكفر العالمي، والسيد الخامنئي القائد والمرشد للجمهورية الإسلامية والتزامه خط الإمام الخميني بأصالته وإيائه وكبريائه الإيماني، والصدر الثاني وانتفاضته العارمة ضد البعث التي أدت به إلى الشهادة، والسيد موسى الصدر وحركة المحرومين على يده، والسيد عباس الموسوي وصموده وصلابته، والسيد نصر الله ومقاومته ومقارعتة لإسرائيل، وحرصه على لبنان موحد تتعايش كل طوائفه ومكوناته في عدل وأمان، والسيد السيستاني وإصراره على خيار الانتخابات مقاوماً لرغبة أمريكا في التأجيل والتسويق والتضييع، وهو مقدمة لوضع الوجود الأمريكي في العراق في وضع سياسي حرج أمام الشعب الأمريكي والعالم، ومن أجل إنهاء حالة العنف الداخلي، وتوحيد الجبهة الداخلية ضد الاحتلال الأجنبي ومقاومته بالقوة لو أصر على إطالة أمدته.

وهذا الخيار اجتمع عليه مجاهدون قد أبلوا بلاءً حسناً لعشرات السنين في وجه الطغيان الصدامي تنتظمهم تشكيلات سياسية متمرسّة ذات خبرة طويلة، وأخرى عسكرية خاضت مواجهات دموية مع الظالم، وأعطت الكثير من التضحيات السخية مثبتة جدارتها المتفوقة في مواقع الكفاح.

فالخيار لم يأت من خور، أو نقص في الخبرة، أو حب في الراحة، أو لين في القناعة، أو وهن في العزيمة، أو استرخا ص لكرامة الوطن،

فهؤلاء قوم فوق كل ذلك، وما قدموا يوماً حب الحياة على مصلحة الإسلام^(١).

موقف الشباب من خيارات القيادة

وأريد من شبابنا أن لا يكونوا يوماً ثوريين غير مستعدين على الإطلاق للمسالمة عند مقتضيها، وفي آخر مواعين مسالمين غير مهينين أبداً للثورة عند موجبها.

كن ثورياً مستعداً للمسالمة، وكن مسالماً مستعداً دائماً للثورة.

أريد لشبابنا أن يكونوا وهم في قمة الثورية كلهم استعداداً للمسالمة إذا اقتضت مصلحة الإسلام، وكلهم تهيؤ للثورة والتضحية وهم في أجواء الدعة والسلم إذا جاء نداء الإسلام، وهكذا كان المؤمنون الواعون الخالص، والنوع الآخر - وإن كان مؤمناً بالمعنى الأعم - كان يخلق المتاعب للنبي الكريم ﷺ والأئمة من أهل بيته عليه السلام، ولا زال يفعل ذلك مع القيادات المخلصة على هذا الخط.

القواعد العامة تمد قيادتها عبر القنوات المعقولة بكل ما لديها من خبر وخبرة ونصح، والقرار لا يتخذ في الشارع، وإنما تتخذه القيادة بمشورة صفوة أهل الخبرة، وبعد أن تتجمع كل الخبرات والأخبار

(١) خطبة الجمعة (١٨٧) ٩ محرم ١٤٢٦هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٥م.



والمداخلات^(١).

حق القيادة الصالحة على الأمة

والقائد إذا ذاب في وجود الأمة كان على الأمة أن تذوب في وجوده، إذا أسهرته وأضنته وتغلغلت في شغاف قلبه قضية أمته، وكان همه من همها، وآلمه أن تعيش الجراحات، وأن تعيش التخلف على حين إنه قادر أن يخرج من كل مشكلة شخصية لو نأى عن هم الأمة وقضية الأمة. القيادة التي تكون من هذا المستوى الذي يذوب في وجود الأمة وأهداف الأمة كأمة، القيادة التي تتجاوز ذاتها من أجل قضية أمتها يكون لها حق كبير على الأمة، وتكون الأمة مدينة لها في وجودها الحضاري وفي تقدم هذا الوجود.

آية ذوبان القيادة في الأمة

آية ذوبان القيادة في الأمة: تجاوزها لذاتها وهواها، لا يمكن لأمة أن تبرز ذوبان قيادتها فيها -في وجودها، في همومها، في قضيتها- إلا إذا كانت تلك القيادة مؤهلة فعلاً إلى أن تتجاوز ذاتها، وإلى أن تنسى دنياها، وإلى أن تخرج من سلطان شهوتها. أما والقيادة بمقتضى انتمائها وبمقتضى تاريخ حياتها لا يحتمل فيها -أو يستبعد استبعاداً كبيراً- أن تخرج من سلطان النفس وأن تتحرر من جاذبية الشهوة وأن تنسى

(١) المصدر نفسه.

الدنيا، فشخصية كهذه لا يمكن أن يأتي فيها وبالنسبة إليها أن تذوب في قضية أمتها. لا يمكن أن تبرز الأمة -واثقة في قيادتها- أنها تذوب فيها وأنها تقدم مصلحة الأمة على مصلحتها إلا إذا كانت تلك القيادة بحسب انتمائها -كما سبق- وبحسب تاريخ حياتها قد عرف منها أو قد ناسب بحسب شأنها أن تتجاوز الذات وأن تنسى الدنيا وأن تتحطم الشهوات عند رؤيتها الحياتية وعند همها الكبير. أما الشخصية المأسورة لشهوتها، المغلوبة لدنياها، هذه الشخصية يمكن أن تبرز أمتها فيها قيادة تذوب في مصلحة الأمة؟! تتجاوز ذاتها من أجل أمتها؟ طبعاً لا يمكن.

من هنا نتوصل إلى حقيقة: أن كل قيادة مطروحة شرقاً، غرباً، في بلاد الإسلام، في بلاد الكفر، لا يمكن أن يبرز فيها أنها قيادة مخلصية وأنها تذوب في مصلحة أمتها وأنها متجاوزة لذاتها من أجل قضية الأمة وهي تنتمي إلى الكفر أو تعيش حالة الفسق والفجور.

أمن شخص يعيش حالة الفجور والفسق أو يعيش واقع الكفر والإلحاد والشرك يأتي فيه -في هذا الشخص- أن ينسى دنياه؟ أن يتجاوز ذاته؟ أن يقهر شهوته؟ لا يتناسب أبداً تركيز هذا الوصف -وصف الغلبة للشهوة، النسيان للذات، التغلب على سحر الدنيا- لا يمكن أن يتناسب وأن يأتي تركيز هذا الوصف في شخصية من الشخصيات وهي تعيش حالة الفجور، حالة الانفلات على مستوى



الكفر أو الفجور أو الفسق.

طرق تشخيص القيادة

١. التحقق من الإيمان والإخلاص: إذن إذا أرادت أي أمة أن لا تخدع في قيادتها وفي ولائها الذي تعطيه لتلك القيادة عليها أن تتحقق أولاً في شخصيتها الإيمان والإخلاص لله تبارك وتعالى وتغلغل حب الآخرة في شغاف قلب تلك الشخصية.

ما لم تذب القيادة في الله تبارك وتعالى وتندك في صورة عبودية محضة وخالصة أمام الله تبارك وتعالى، ما لم تذب القيادة في الله على هذا المستوى فهي لا يمكن أن تذوب في وجود الأمة ولا يمكن أن تتجاوز ذاتها من أجل مصلحة الأمة.

٢. تفحص العبودية الصادقة لله تعالى: فكان لزاماً على الأمة وهي تسائل نفسها عن قضية الإخلاص لقيادتها ومد يد الولاء إليها أن تتفحص هوية هذه القيادة، تاريخها، مواقفها، فإن شهد تاريخ حياة هذه الشخصية ومواقفها بعبودية صادقة لله تبارك وتعالى فهنا تكون الأمة قد عثرت على قيادتها من حيث الإخلاص والوفاء، فتبقى الجوانب الأخرى التي تحتاج إلى فحص.

دور الأمة تجاه القيادة الدائبة فيها

قلنا بأن القيادة التي تذوب في وجود الأمة على الأمة أن تذوب

في وجودها، وأنه كما نسيت القيادة ذاتها وتجاوزتها، وداست الدنيا من أجل مصلحة الأمة التي تلتقي -في رؤية تلك القيادة- مع مرضاة الله تبارك وتعالى، فهو إخلاص لله ووفاء لله قبل أن يكون إخلاصاً ووفاء للأمة، وإلا لكانت الأمة صنماً تعبد تلك القيادة.

نحن عندنا أن كلّ ولاء لا ينشق، لا يتفرع على الولاء لله تبارك وتعالى فهو شرك وهو كفر وهو مروق من الدين، فعندما نتحدث عن إخلاص القيادة للأمة وذوبان القيادة في الأمة إنما نتحدث عن ماذا؟ عن قيادة تعيش الوفاء لله والإخلاص لله والعبودية الصادقة المتذللة المستكينة أمام عظمة الله تبارك وتعالى.

هنا وبعد أن أحرزت الأمة الآتي:

- ١- وفاء قيادتها.
 - ٢- إخلاص قيادتها.
 - ٣- تجاوز قيادتها لذاتها.
 - ٤- ذوبان قيادتها في قضيتها (أي في قضية الأمة).
- فإنّ على الأمة:
- ١- أن تنسى ذاتها.
 - ٢- أن تتجاوز دنياها.



٣- أن تكون كلها وفاء لتلك القيادة.

٤- أن لا يكون لها هم إلا هم تلك القيادة كما كان هم القيادة من همها.

تعبيرات ذوبان القيادة والأمة

وللقيادة تعبيرها الخاص عن ذوبانها في الأمة، وللأمة تعبيرها الخاص عن ذوبانها في القيادة، إنه تعبير عملي من الجانبين.

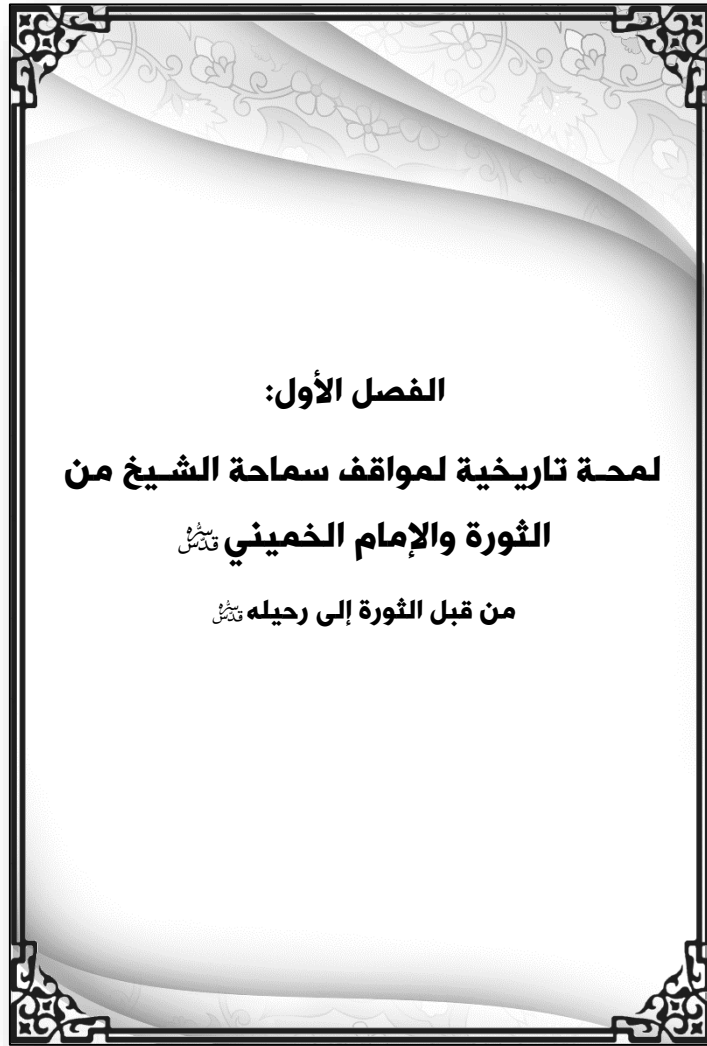
أولاً: تعبير القيادة: تعبير القيادة أن تأتي الدنيا ناعمة متذلة متمرغة على قدمي القيادة وتدوسها القيادة عملياً من أجل مصلحة الأمة، فتقبل أن تعيش الهم والظنى والألم والعداوة الواسعة من كل الشاذين والمنحرفين، أن تعيش الحياة مأساةً بالنسبة للبدن ولمشتهيات البدن، بينما الفرصة واسعة لأن تعيش الحياة لينّة ناعمة مترفة. فتبقى قضية وهم الأمة رائد كل حركة وسكون لهذه القيادة. قضية الأمة التي لم انفصلها في نقطة من حديثنا عن مرضاة الله تبارك وتعالى، يعني حيث تلتقي مع مرضاة الله تبارك وتعالى.

ثانياً: تعبير الأمة: أما التعبير العملي الصادق للأمة عن ذوبانها في قيادتها، وعن نسيانها ذاتها وتجاوز ذاتها تقديم لقيادتها على نفسها، أن تعيش تعليم ونصائح وأخلاقية وموقف القيادة من الناحية العملية، وأن تكون صوتاً ملبياً عند الملهمات والمهمات بشكل مبادر

سريع لأي نداء من نداءات القيادة، هنا تكون الأمة قد عبرت عن ولاء ووفاء، عن ذوبان في القيادة، أما التصفيق والتهنئات من جهة، والبكاء والنعاء والتحرق من جهة أخرى، فهو ولاء لا يتناسب مع القيادات الكبيرة، ولا يمكن أن [يقنعها].

ما سرَّ سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطياب الأظهار يوماً من أمرؤ مسلم أن يتمدح رسول الله ﷺ بقدر ما سره أن يقف موقفاً عملياً، أن يغلب نفسه، أن يجاهد نفسه، أن يصرع الشيطان اقتداءً بمحمد ﷺ، هو علي، هم الأئمة الأظهار جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شأنهم شأنه ﷺ^(١).

(١) خطاب في الثمانيات، تسجيل صوتي.



الفصل الأول:

لمحة تاريخية لمواقف سماحة الشيخ من

الثورة والإمام الخميني قدس

من قبل الثورة إلى رحيله قدس

الفصل الأول:

لمحة تاريخية لمواقف سماحة الشيخ من الثورة والإمام

الخميني رحمه الله من قبل الثورة إلى رحيله رحمه الله

رأي سماحة الشيخ في الثورة الإسلامية الإيرانية قبل
انتصارها

ويمكن التمثيل لمواقفه رحمه الله بالآتي:

أولاً: كان رحمه الله يتصدى لمعالجة الإشكالات التي يُثيرها الشباب الإسلامي على الثورة الإسلامية في صيف عام ١٩٧٨م، كالإشكالات على استخدامات بعض العبارات في النشرات الصادرة عن المعارضة الإيرانية، مثل: (نظام الشاه الرجعي) و(عميل الامبريالية الأمريكية)، حيث أثير بأنها من لغة الشيوعيين، وكان رحمه الله يوجه تلك الاستعمالات ويطمئن المستريبيين بسلامة خط الثورة الإسلامية^(١).

ثانياً: كان بعضهم يقول: إن كثيراً من الحركات النهضوية ضد الأنظمة السلطوية في الدول الإسلامية كالجرائر وغيرها ترفع شعارات إسلامية في أول أمرها وما إن يمر الوقت ومع تحقيق أول انجاز على الأرض، تكشف عن وجهها الحقيقي، فتظهر العلمانية أو الشيوعية أو اليسارية أو أنها كانت تعيش حالة من الضبابية ولكن الشعار هو الإسلام، هذا ما كان يتخوف منه البعض، إلا أن سماحة الشيخ من

(١) انظر مذكرات شاب السبعينات، للدكتور سعيد الشهابي.

بدايات الحركة في إيران كان يقول: إنها حركة إسلامية في المنطلقات والأهداف، ويعلّل ذلك بأنّ القادة فيها فقهاء عُرِفوا بالإيمان بالمبدأ وتقوى الله.

ثالثاً: كان البعض عنده ضبابية في الرؤية، ويصرّ على قراءته السلبية للثورة الإسلامية، ويتساءل عن الإمام الخميني قدس سره، وعن اللغة الجديدة التي تُستخدم في إعلام المعارضة، وكان عليه يجب على المصرّين: أنّ الأيام بيننا، إلى أن بزغ فجر الانتصار، وانتصرت الثورة، وتبيّن لهم إسلاميتها والتزامها بالشعارات الإسلامية التي رفعتها من أوّل الثورة.

موقفه عليه السلام من الثورة بعد انتصارها

لم يألُ سماحة الشيخ عليه السلام جهداً في الدّعم المعنوي للثورة الإسلامية في إيران، -كما هو دأبه في نصرته الحقّ والمستضعفين المطالبين بالحقوق أينما كانوا- وذلك من خلال مواقف كثيرة يمكن التمثيل لها بالآتي:

أولاً: المحاضرات المكثّفة التي حاول من خلالها زرع مفهوم الثورة من جهة، ودفع الإشكالات التي تثار حول الثورة من جهة أخرى.

ثانياً: عندما انتصرت الثورة في إيران، سرّ المؤمنون والمسلمون وابتهجت صدور المستضعفين في العالم، وفي ظلّ هذه الأجواء، بادرت جمعية التوعية الإسلامية -برئاسة سماحة الشيخ آنذاك- بإرسال



برقيتي تهنئة بهذا الانتصار العظيم.

ثالثاً: لم يكن يخلو احتفال من الاحتفالات التي أقامتها جمعية التوعية الإسلامية والتي أعقبت الثورة من قصيدة شعرية ثورية يمدح فيها الإمام الخميني رحمته الله، وتجدد البيعة له وتؤيد الجمهورية ضد أعداء الإسلام.

رابعاً: ألقى سماحته رحمته الله في مقر جمعية التوعية الإسلامية الكائن في منطقة الدراز كلمة بمناسبة عيد الغدير حول نظرية الحكم في الإسلام والرؤية السياسية للإسلام، وأشار إلى أن بيعة الغدير تتجدد هذه الأيام ببيعة ممثل الإمام ونائبه قائلاً: واليوم، توجد بيعة غديرية ثانية، هي امتداد لتلك البيعة الأولى، وامتداد لبيعة الشجرة التي تمت بين الأنصار وبين النبي صلوات الله عليه وآله، بيعة العقبة والشجرة، وبيعة الغدير تتجدد هذا اليوم في بيعة المسلمين لإمام قائد العصر نائب الإمام القائم صلوات الله وسلامه عليه.

والمسألة أوضح من أن تسمح بالتأويل، أو تسمح بالتخلص السياسي في مقام الحوار والخطاب، لو كان في المسألة ما يسمح بالتأويل الذي يرفع المسؤولية السياسية لدعى إليه الجبن وارتكبهناه، ولكن لكون المسألة أوضح من أن يغالط فيها، ولأنها دين صارخ لا يقبل جواباً بين لا ونعم لذلك نقول -وبكل صراحة- أن البيعة اليوم -بيعة الغدير- تجدد في القرن العشرين وفي العام الألف والأربعمئة

هجريّة، تجدد من قبل الملايين المؤمنة، بغضّ النظر عن الانتساب الشكليّ للبلاد أو المذاهب أو ما إلى ذلك، هذه الملايين التي تحمي الدولة الإسلاميّة -دولة القرآن- وتعتبرها دولتها، تحميها بكلّ ما تملك، هذه الملايين هي الباقية على بيعة العقبة وعلى بيعة الغدير، وهي بيعة القرآن بل بيعة الله، ألا فبيعوا أيّها المؤمنون أموالكم وأنفسكم ومهجمكم وجماعكم لله، بيعة تدفع عن الدولة الإسلاميّة الخطر، وتدرأ عنها أطماع الطامعين، ولا إسلام حينما يُجرح شرف الإسلام، وحينما تُهان دولة القرآن، وحينما تُسقط راية الإيمان والمسلمون فاكهون آمنون راغدون، إنّها المسؤولية التي تمسك بالحناق، المسؤولية التي لا مردّ لها إلا أن يُقام بواجبها، وهو أن يشترك جميع المسلمين^(١).

وقال ﷺ في تلك الكلمة أن: "الدولة الإسلاميّة القائمة اليوم في الحدود؛ فوق الحدود الجغرافيّة لأنّها من الإسلام، والإسلام يتأبى على الحدود الجغرافيّة، وهي فوق الحدود القوميّة؛ لأنّها من الإسلام، والإسلام يتأبى على الحدود القوميّة، وهي فوق الحدود المذهبيّة؛ لأنّ الإسلام واحد لا مذاهب، وهي من الإسلام.

ثورة الحسين عليه السلام اشترك فيها زهير بن القين وهو أموي شديد الأمويّة بعد أن تبين له الحق، اشترك فيها من كان نصرانيّاً، واليوم

(١): كلمة عيد الغدير ١٤٠٠هـ تسجيل صوتي.



دولة الإسلام نسمع لها أصواتاً مناصرة من أمريكا ومن أوروبا، ومن البلاد السنيّة ومن البلاد الشيعيّة، وقد نجد أصواتاً تسمّي نفسها شيعيّة وهي منكّرة باطلة، ليست ساكنة فقط عن نصرّة دولة الإسلام وإنّما هي مناهضة لها.

إنّ عبد الحميد كشك ليس شيعيّاً فيما اصطلح عليه الناس، ولكنّ صوته الحرّ، وفكره الإسلامي الثوري أين وضعه؟ الصوت لا يهاب وسائل الدمار الكفيلة بحرقه لحظة واحدة، والعنت الطاغوتي الذي لا يكثرث بأن يسقط مليون رقبة من مثل عبد الحميد كشك، لم يبتعد هذا الصوت الحرّ، والفكر الإسلامي الثائر أمام هذه الضغوطات، إنّما أعلن هويّته، وأعلن مذهبه، هويّته الإسلام، مذهبه الإسلام، وكلّ حرّ مسلم - في شرق الأرض وغربها أو شمالها أو جنوبها - وهو من الإسلام ومع الإسلام لا بدّ أن يعلن نصرته لدولة الإسلام، نشأت في إيران أو نشأت في الهند أو نشأت في مصر أو نشأت في أمريكا أو نشأت في أي مكان.

فالذين هم على خطّ الغدير أنا أعتبر عبد الحميد كشك على خطّ الغدير، وأنّ علماء الأردن الأحرار، الذين أعلنوا صوتهم الإسلاميّ الجريء أيضاً على خطّ الغدير، وأنّ العلماء من الشيعة والذين أفتوا كما أفتى شريح القاضي هؤلاء ليسوا على درب الغدير. فنحن إذا نحى ذكرى الغدير إنّما نجدّد ولاءنا وبيعنا لله تعالى.

وولّاؤنا لله وبيعتنا لله إنّما تتمثّل في نصرّة الإسلام، وفي نصرّة الراية الإسلاميّة، وفي نصرّة حماة الإسلام، بغضّ النظر عن من هم وأين هم وما صلتنا بهم، تكفي صلة الإسلام، وصلة الإسلام هي المقدسة وحدها عند أيّ إنسان مؤمن، فليعفّ عنّا أصحاب الحساسيات القوميّة، وليعفّ عنّا أصحاب الحساسيات السياسيّة، وليعفّ عنّا أصحاب الحساسيات الإقليميّة، وليعفّ عنّا أصحاب الحساسيات الجاهليّة، فإنّ هذا دربنا، وحتىّ لو لم نعلنه فإنّهم به يعلمون^(١).

خامساً: تهنئته ﷺ الإمام الخميني بانتصار الثورة: فقد بعثت جمعية التوعية الإسلامية برقيتي تهنئة، الأولى كانت موجهة للإمام الخميني قدس سره، والثانية إلى دولة الدكتور مهدي بازرجان -رئيس الحكومة الإسلامية آنذاك- بمناسبة انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وقد نشرت مجلة المواقف البحرانية بتاريخ ١٩/٢/١٩٧٩م نصّ البرقيتين، وهما كما يلي:

البرقية الأولى:

سمّاحة الإمام المجاهد روح الله الخميني زعيم الثورة الإسلامية - طهران.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

(١) كلمة عيد الغدير ١٤٠٠هـ تسجيل صوتي.



فإنَّ جمعية التوعية الإسلامية بالبحرين تبارك ثورتكم الإسلامية المقدَّسة وتؤيِّد موقفكم الحازم في الإطاحة بنظام الظلم والاستبداد، وتهنِّئكم على ما أحرزتموه من النصر المبين.

والله نسأل لثورتكم المباركة النصر والتأييد.

البرقية الثانية:

دولة الدكتور مهدي بازرجان رئيس الحكومة الإسلامية الثورية المؤقتة المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإنَّ جمعية التوعية الإسلامية في البحرين تهنِّئكم على ثقة^(١) الإمام آية الله الخميني زعيم الثورة الإسلامية والشعب الإيراني فيكم بإسناد رئاسة الحكومة الإسلامية لشخصكم الكريم، وتبارك خطواتكم في خدمة الإسلام.. ونسأل الله سبحانه لكم النصر والتأييد.

وكان هذا متزامناً مع خروج الآلاف من أبناء الشعب البحراني في يوم الجمعة ٢٣ فبراير ١٩٧٩م زاحفة في شوارع العاصمة في مظاهرات صاخبة، بدأت من وسط العاصمة المنامة منطلقاً من مآتم مدن ومنتهية إليه بعد مرورها بشارع الحكومة ودوار رأس رمان ثم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وسفارة الجمهورية الإسلامية

(١) نلاحظ الدقة في التعبير حيث أنَّ التهنئة مقيدة ومنوطة بثقة الإمام الخميني لا بنفس الشخص المهناً.

مهيئة الإمام الخميني والشعب الإيراني المسلم بانتصار الثورة، هاتفة:

خميني سير، سير، هذا عهد الجماهير.

لا شرقية، لا غربية، جمهورية إسلامية^(١).

سادساً: زيارته رحمته الله - مع وفد - للإمام الخميني رحمته الله مهنيين: ففي الأشهر الأولى من انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان الإمام الخميني رحمته الله يستقبل الوفود المهيأة بالنصر المؤزر الذي تكلل بفضل الله على يديه ومن ورائه الشعب الإيراني المسلم على أرض إيران، يستقبل الوفود التي تترى عليه من مختلف أصقاع العالم، وقد استقبل ضمن هذه الوفود وفد شعب البحرين العلمائي الذي كان يضم سماحة الشيخ رحمته الله، والذي قام بتقديم تهاني وتبريكات علماء وشعب البحرين، وكان مع سماحة الشيخ مجموعة من العلماء وهم: سماحة الشيخ عبد الأمير الجمري رحمته الله، وسماحة الشيخ أحمد خلف العصفور رحمته الله، وسماحة الشيخ عباس الرئيس رحمته الله، وسماحة الشيخ حسن المالكي والشيخ أحمد الجفيري، ومن اللافت أن سماحة الشيخ رحمته الله لم يتكلم في تلك الزيارة بشيء، وإنما بكى مع إخوته عندما تحدث إليهم سماحة الإمام الخميني رحمته الله، ولعمري إن في ذلك دلالات، وقد ألقى في تلك الزيارة المرحوم سماحة الشيخ عباس الرئيس على مسامع الإمام

(١) البحرين ١٩٧٩ - ١٩٩٠، محمد مهدي، ص ١٨.



قصيدة من ثمانين بيتاً جاء فيها:

فلتة الدهر سيد هاشمي قد نفته عن داره الأشرار
بشرتنا به الأئمة فيما قد روته الأخبار والآثار
ويقول فيها:

قائد أخرس العقول وحارت عبقرياتها التي لا تحار
بين كفيه سبحة تنهاوى شامخات الجبال حين تدار
فهي سرّ من الإله خفي لا تقل كيف تودع الأسرار

ويقول في قدوم الإمام رحمته الله:

ثمّ سار الركب المهيب على الأرض مثلما سار كوكبٌ سيار
لضحايا الإسلام في جنة الزهراء فنعم المزور والزوار
وقف القائد العظيم كما الطود عليه من الأسى آثار
كوقوف الحسين حين تهاوت في ثرى الطفّ كلّها الأنصار
من يشابه أباه ليس ظلوماً أبواه الحسين والكرار
وهناك الزعيم أعلن النصر ظلوماً آت سيروا إليه فساروا
وتهاوت تلك القلاع تباعاً ظلوماً كهشيم يعلو عليه الغبار
حقق النصر قائد ومقود ظلوماً عمرك الله هذه الأحرار
هو نصر الإسلام في كلّ أرض ظلوماً فاعتبر فإنّ ذلك اعتبار

وألقى كذلك الشيخ أحمد العصفور كلمة الوفد التي قيل إنّ قد كتبها سماحة الشيخ رحمته الله، وقد نشرت مجلة المواقف هذه الكلمة مع بعض الصور في عددها رقم ٢٨٠ بتاريخ ١٦ رجب ١٣٩٩ هـ الموافق

١١ يونيو ١٩٧٩م هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله على ما وفق له من إعزاز دينه وإعلاء كلمته والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..
سماحة الإمام..

بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني المؤمنين أعضاء وفد البحرين الشعبي، أقدم أعظم التهاني والتبريكات بنجاح الثورة الإسلامية وقيام الجمهورية الإسلامية البتلة..

نسأله سبحانه أن يحقق آماني سماحتكم في انبساط ظل الإسلام على جميع ربوع الأرض، ودحر الملحدين والظالمين وأعداء الحق والإنسانية..

وإنَّ هذا الوفد الشعبي الخالص -يا سماحة الإمام- الذي يمثل شعب البحرين المؤمن، من علماء وتجار ومدرسين وموظفين وعمال وفلاحين بما فيهم من ممثلين للجمالية الإيرانية هناك..

ليشعر أفرادهم بالغبطة وتمتلى نفوسهم بالعزة والكرامة حينما يمثلون أمام مجلسكم الطاهر..

أمام إنسان يمثل القائد الفعلي للإسلام والمسلمين ويملك الشخصية الإسلامية التي ضربت أروع الأمثال للمسلم الحق الذي نسف كل حواجز الخوف والجبن والانهمام، وأعاد الصورة الأصلية للإنسان



المسلم في عصر الرسالة ويوم ظهور الإسلام.. المسلم الحق الذي مثل جهاده المقدس الامتداد الحقيقي لجهاد الرسول وأهل بيته الأطهار.

سماحة الإمام.. لقد قمتم بواجبكم الشرعي في حصر الباطل والطغيان وإنقاذ المعذبين والمستضعفين والمحرومين، وتحقيق أسمى معاني العدالة التي جاء بها الإسلام، وأسمى معاني الوفاء لدينكم الحق.. وبقي علينا وعلى جميع المسلمين أن يقتبسوا من دوركم الجهادي الضخم المثل الحي والدرس الرائع في الصدق مع الإسلام والوفاء له والترفع عن المغريات من أجل الحق وأن لا تأخذنا في الله لومة لائم.

لقد فقدت الأمة الإسلامية -يا سماحة الإمام- الوجه الإسلامي الناصع على صعيد الحكم والسلطان.. فقدت هذا الوجه منذ زمن بعيد موغل في البعد وكاد اليأس أن يتسرب لهذه الأمة فيحكم إرادتها، حتى قيضكم الله إماماً ثائراً منقذاً هادياً مغيثاً..

سماحة الإمام.. لقد جاءت ثورتكم الإسلامية المباركة وجهادكم المقدس الذي كان الإسلام رائده وموجهه وما حققته هذه الثورة من انتصار إسلامي كان له أعظم الانعكاسات على الصعيد الدولي والعالمي وما أحدثته من تحقيق لآمال المسلمين وما نشرته من لواء يخفق بنصر الإسلام رغم ما خطط الغرب والشرق من أجل القضاء على الإسلام وإنهاء وجوده.

لقد جاءت هذه الثورة، وهذا الجهاد، وهذا الانتصار من أوضح

المظاهر لقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١)، وقوله ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣).

كما أن الشهداء الإيرانيين الذين قدمتهم ثورتكم المباركة وقوداً للمسيرة الإسلامية والشهيد المسلم المجاهد البطل الشيخ مرتضى مطهري طاب ثابته الذي اغتالته يدُ الجبن والخيانة لمن أكبر المظاهر.. وأفضل المصاديق.. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤).

وإننا -يا سماحة الإمام- ونحن نقدم لسماحتكم تهنئة شعب البحرين لنرى من واجبنا أن نتقدم لسماحتكم وأصحاب السماحة المراجع العظام ورجال الدولة الظافرة الطاهرة العزاء بالفقيد العظيم والشهيد الخالد سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويعوض المسلمين عنه ويذيق قاتليه وجميع أعداء الحق بأس المؤمنين..

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة محمد ﷺ وآله: ٧.

(٣) سورة القصص: ٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٩.



سماحة الإمام.. إن أملنا وأمل المسلمين جد وطيد بعد قيام الجمهورية الإسلامية في اقتراب تحرير فلسطين وجميع الأراضي الإسلامية المغتصبة وخاصة القدس من كابوس الاعتداء والاحتلال الصهيوني الغاشم بفضل قيادتكم الحكيمة بإذن الله تعالى.. وإن هذا التحرير بات وشيكاً بإذن الله وإننا لنلتمس من سماحتكم الدعاء لجميع المؤمنين باجتماع شملهم، وقيام وحدتهم الشاملة، ونبذ الخلافات فيما بينهم، ودحر أعدائهم، وتكريس طاقاتهم من أجل القضية الإسلامية العادلة..

ودمت يا سماحة الإمام الوجه الناصع للإسلام وحقق الله آمالكم، والحمد لله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

ثم ألقى الإمام الخميني كلمة طويلة للوفد العلمائي الشيعي البحراني ذكرتها مجلة المواقف في العدد الآنف الذكر، حيث تحدث الإمام عن الثورة الإسلامية، وشرح لأعضاء الوفد الظروف والملايسات وما واجهته الثورة من مشكلات وصعاب وما تحقق حتى تلك اللحظة، وقال: إنَّ الوضع قد استقرَّ في إيران، وإنَّ المشكلات الموجودة تعتبر مشكلات عادية كان النظام السابق هو السبب في وجودها.

يقول الشيخ حسن المالكي^(١):

وأذكر خاطرة جميلة في هذه الرحلة حيث ذهبنا إلى مشهد والتقينا بشاب كربلائي في مكتبة تجارية ودعانا لإلقاء كلمة في كلية الطب في مشهد وكان المحاضر هو سماحة الشيخ عيسى والتفت سماحة الشيخ إلى أن صورة السيد الإمام الخميني غير معلقة على الجدران وإنما كانت الصورة المعلقة هي صورة مصدق، فسألهم عن توجههم فقالوا نحن انفتاحيون فقال لهم الشيخ: "الانفتاحي ينفذ على الجميع ولا ينفذ على توجه معين"، ثم عرّف الشيخ بحكمته وحنكته أن هؤلاء في خط منافقي خلق واستفز هذا الأمر الشيخ كثيراً حتى أنه لما طلبوا من الشيخ أن يودعوه في المطار قال لهم: "لا أحب أن أراكم ولا أن تروني ولا أسمع لكم بذلك"، بعد ذلك ولما رجعنا إلى مطار البحرين مر الوفد كله وأوقف ثلاثة أشخاص في المطار وهم سماحة الشيخ عيسى وأحمد العربي وداعيكم، وجلس معنا أحد رجال الأمن في غرفة خاصة في المطار وكنا نحمل الكاسيتات التي تحمل كلمة الإمام وبعض الصور فأخذت منا، فكانت لسماحة الشيخ كلمة حيث قال: "لو أن هذا الوفد جاء من إسرائيل لا أعتقد أنه سيوقف ويحاسب ولكن لأننا رجعنا من دولة شقيقة إسلامية حملت الإسلام تعرضنا لما تعرضنا إليه" وبعدها تأدّب معنا رجل الأمن وأرجع الصور واعتذر إلى سماحة الشيخ

(١) ممن رافق الشيخ في الزيارة



عيسى وخرجنا ولم يكن بعد ذلك مسألة في هذا الجانب^(١).

سابعاً: استجابته رحمته الله لنداءات الإمام الخميني رحمته الله في الأحداث والمواقف المهمة:

أ - سماحة الشيخ يلبي دعوة الإمام الخميني رحمته الله بشأن يوم القدس العالمي:

إن كانت هناك غصة تختلج في صدور المسلمين فهي القضية الفلسطينية، وإن كان هناك ما يشجي حلوقهم فهو اغتصاب بيت المقدس، ولذا كانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي اهتم بها الإمام الخميني بعد تأسيس الدولة الإسلامية، ولذا في شهر رمضان من عام ١٣٩٩ هـ دعا الإمام الخميني إلى اتخاذ آخر جمعة من شهر رمضان يوماً عالمياً للقدس بما نصه: "إنني أدعو جميع المسلمين في العالم إلى جعل يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً للإعلان عن تضامنهم ودعم للشعب الفلسطيني المسلم"، فأسرع العلماء وخطباء المنبر الحسيني بالإستجابة لنداء الإمام وأمره بطرح القضية الفلسطينية واغتصاب اليهود لبيت المقدس، وأما سماحة الشيخ فكان موقفه مشهوداً حيث ألقى دعاءً بهذه المناسبة في المسجد الذي

(١) مجلة رسالة القلم، العدد الثامن والثلاثون، السنة العاشرة، ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ

- فبراير ٢٠١٤ م، ص ١٩.

يصلي فيه في الدراز وهو مسجد الشيخ محسن، قد نشر الدعاء كاملاً في مجلة المواقف بتاريخ ١٩٧٩/٨/٢٢م، مع صورة للإمام الخميني وصورة أخرى لسماحة الشيخ عيسى قاسم، والنشر كان كالتالي:

الدعاء الذي ألقاه سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم في مسجد الشيخ محسن بالدراز بمناسبة ليلة القدر وجمعة القدس التي دعا لها آية الله السيد الخميني:

”اللهمَّ أخفِ اليهود كما أخافوا عبادك الآمنين، اللهمَّ انصر عبدك وابن عبدك المحامي عن دينك والمجاهد في سبيلك والمناهض لأعدائك، المنتصر لأوليائك، الناشر للواء شريعتك، المحيي لسنة نبيك، الساعي في الأرض بالخير والمعروف، والمحارب للشر والمنكر، السيد روح الله الموسوي الخميني، اللهمَّ وانتصر به لدينك، وأعزه وأعزز به أوليائك، الذين استضعفهم الظالمون، وتظاهروا عليهم وضائقوهم في دينهم ودنياهم، وانتقم ممن يشيع في الأرض الفساد، ويسعى بالأذى لأهل طاعتك، وينشر الباطل بين عبادك، ويعادي قرآنك وسنة نبيك، ويكيد للعاملين في سبيلك، ويحارب أهل مودتك، ويكون للكافرين عضداً، وعلى المؤمنين رسداً، ويسخر كنوز أرضك لباطله، ويستغل عرق المؤمنين لشهواته، مستعيناً بالحقوق المسلوقة على نشر أضراليه، وبث سمومه، وهدم الأخلاق التي ارتضيها لعبادك، وجاهد من أجلها رسلك، وحفلت بأمرها كتبك.



اللهمَّ إنَّكَ تعلم جرأة اليهود على دينك، وخيانتهم لرسالتك، وتحريفهم لكتابك، وعداوتهم لشريعتك -التي بعثت بها خاتم أنبيائك وآخر رسلك- وكيدهم للإيمان والمؤمنين من عبادك، وانتهاكهم لحرمة المقدسات من دينك، وتلويتهم لأولى القبلتين لدى نبيك، ومنطلق معراجهم إلى سمواتك، وما يريدونه للإسلام من الكيد، وفي الأرض من الفساد، وما اقترفته أيديهم من القتل والترويع بغير حق، ومن تشريد الآمنين، ولقد أعانهم على بلوغ ما بلغوا إليه -من التكبر في الأرض والسيطرة بالظلم- أن أمة الإسلام قد ابتليت بحكام جور جاهلين لا يهمهم من أمرها ما يهم المسلم الغيور، كيف وهم ينهجون نهج أعداء الله في الحكم، ويشاركونهم في الإسراف في الشهوات، ويتآمرون معهم على الأمة ويسعون وإياهم للقضاء على الملة.

اللهمَّ إنا نشكو إليك سوء حالنا، ونسألك أن تعيننا على أنفسنا في النهوض بما أوجبتنا علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصرة أوليائك ومعاداة أعدائك، والدعوة إلى سبيلك، والسعي إلى مرضاتك في كل ميدان من ميادين العمل الطيب، الذي يقرب منك، وفي كل ساح من سوح التضحية التي ينال بها رضاك.

اللهمَّ وأخف اليهود كما أخافوا عبادك الآمنين، وطهر منهم أرض أنبيائك، وشتت شملهم على يد عبدك السيد روح الله الخميني، نائب وليك القائم، وشرّفه بهذا النصر الكبير والفتح الكريم، تجعله على

يديه إظهاراً لأمره، وإعزازاً لشأنه، وباباً لإكرامه وزيادة لمثوبته..
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين".

وبالفعل ففي آخر جمعة بتاريخ ٢٣ شهر رمضان ١٣٩٩ هـ استجابت الجماهير لنداء الإمام الخميني بتوجيه من العلماء وخرجت المظاهرات التي قدرت بعشرة آلاف متظاهر يهتفون بحياة الإمام الخميني وينددون بالصهيونية وعملائها في المنطقة.

ب - استجابته ﷺ لنداء الإمام الخميني تَدُّلُ بشأن مذبحه مكة:

في الخامس من ذي الحجة الحرام عام ١٤٠٧ هـ حدثت مجزرة مكة؛ حيث استشهد مئات الحجاج الإيرانيين أثناء خروجهم في مسيرة البراءة من المشركين، والتي كانت أصوات الوحدة الإسلامية مرتفعة فيها أثناء مهاجمة قوات الشرطة لها، فأصدر الإمام الخميني تَدُّلُ بياناً فيه من الأسى والحزن والصبر والصمود ما يدهش العقول، وجاء فيه نداء للعلماء والخطباء بأن يدينوا هذه المجزرة وذلك بما نصه: "والآن يأتي دور حجاج بيت الله الحرام الذين هم من الأقطار الأخرى، وبالأخص العلماء والمفكرين والخطباء منهم في أن يوصلوا نداء مطلومية شعبنا إلى أسماع العالم"^(١).

وكان لنداء الإمام الخميني استجابة واضحة من جانب العلماء

(١) بيان الإمام الخميني الصادر بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٤٠٧ هـ.

وخطباء المنبر الحسيني، ومن بين العلماء الذين تكلموا حول المذبحة الشيخ عيسى أحمد قاسم، والشيخ عبد الأمير الجمري، والسيد علوي الشهركاني، والسيد عبد الله المحرقي وغيرهم.

وقد أشار الشيخ عيسى قاسم إلى المذبحة في أكثر من حديث، بل تكلم في محاضرات مستقلة عن هذا الموضوع، وأشار صراحة إلى إنه استجابة لبيان الإمام الخميني في التعريف بهذه المذبحة وأبعادها، وقال بالمضمون: "إنني أخشى أن أدخل النار إذا لم أتكلم عن هذه الجريمة"، وفي تلك الأيام ازدادت حدة سماحة الشيخ في مواضعه، وفي قضايا سياسية هامة، وكانت أحاديثه تهجماً واضحاً على أمريكا وأساطيلها في المنطقة، وعلى إثر ذلك بدأت الجماهير تكثّر من الحضور في مسجد الخواجة الكائن في العاصمة (المنامة) للصلاة وسماع خطب الشيخ، حتى أصبح من العسير الحصول على مكان للصلاة داخل المسجد، ولذلك اضطرّ الناس أن يصلّوا في مساجد أخرى ثم يأتوا ليسمعوا كلمة الشيخ، وكانت ليالي عاشوراء من المحرم ذروة الحديث، فقد كان واقفاً في محراب المسجد رافعاً صوته يقارن بين أمريكا والثورة الإسلامية في إيران بمعسكر يزيد والإمام الحسين عليه السلام، وقال في حديثه: "إنني لو لم أملك إلا حجراً واحداً بعد انهزام الدولة الإسلامية ورأيت أمامي أمريكياً لرميت ذلك الحجر في وجه الأمريكي وإن قتلت، أتفعلون ذلك؟"، فكبر الحضور وهتفوا ضدّ

أمريكا والعملاء، وتهيأت الجماهير للخروج والتظاهر وما قطع ذلك الحماس إلا زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تليت بعد ذلك.

وقد واصل الشيخ كلامه في هذا الإطار في يوم عاشوراء الذي صادف يوم الجمعة في صلاته في جامع الإمام الصادق عليه السلام في قرية الدراز، وهتف المصلون -الذين امتلأ بهم المكان- ضدَّ أمريكا وأذنانها في المنطقة.

رحيل الإمام الخميني قدس

لم يكن نبأ رحيل الإمام الخميني في ٤-٦-١٩٨٩م بالأمر المصدّق عند أهالي البحرين الأوفياء لعلمائهم، المخلصين لقادتهم، ذلك الشعب الذي كان متعطشاً لروح الإسلام التي أحياها الإمام الخميني فبعث بها الأمل في نفوسهم وشاع التوجه الإسلامي، ليكون هو السائد في كلّ جنبات الحياة، ولذا كان هذا الخبر نازلاً كالصاعقة على قلوبهم ومسامعهم، ولقد كان لسماحة الشيخ في ذلك موقفاً مشهوداً لا ينسى؛ حيث أمسك مكبرة الصوت ونادى في جامع الإمام الصادق عليه السلام بأعلى صوته: "اليوم مات رسول الله" وقد عبر عنه سماحته: "يوم الذكرى للرحيل السعيد للسيد الإمام الخميني عليه السلام يوم فاجعة عاشتها الأمة الواعية، وواعية قاسية"^(١).

(١) خطبة الجمعة (١٥٧) ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - ٤ يونيو ٢٠٠٤م.



وقد صدر القرار الشعبي بالتعطيل الشامل عن العمل، فقد أغلقت الأسواق بشكل كامل وأعلن الحداد، وتوجه الناس مباشرة إلى المساجد والمآتم لإعلان الحداد لرحيل الإمام الخميني رحمه الله، فمنذ صبيحة يوم الأحد الرابع من يونيو وعلى مدى سبعة أيام كاملة أقيمت مجالس الفاتحة في المآتم الرئيسية بالمنامة والقرى، وعجت بالمعزين من كل حدب وصوب، ولم يرَ في البلاد تلاحم شعبي وشعور بالأسى والحزن كما حدث في ذلك الأسبوع، وقد أقيم مجلس الفاتحة الرئيسي في مآتم القصاب بالعاصمة المنامة حيث ارتفع صوت قراءة القرآن في أنحاء العاصمة، وألقيت في الليالي الثلاث ابتداءً من مساء الأحد حتى الثلاثاء الكلمات، وتحدث في هذه الليالي علماء الدين الكبار، وقد ألقى سماحة الشيخ كلمة حث فيها الشباب على الالتفاف حول القيادة الشرعية المتمثلة بالعلماء وطلب منهم السير على نهج إمام الأمة، وهكذا تحدث: الشيخ أحمد العصفور، والشيخ عبد الأمير الجمري، والسيد علوي الشهركاني، والشيخ منصور حمادة، ولم يشهد مآتم القصاب تجمعاً حاشداً كالتجمع في تلك الليالي الثلاث.

الفصل الثاني: الثورة

الفصل الثاني: الثورة

بحوث تمهيدية

معنى الثورة

الثورة هي: حركة إنسانية متقدمة ذات تميز نوعي يخالف نوع مألوف فكري أو ديني أو اجتماعي مثلاً أو ما هو أعم وتعصف به، وهي تفجر هائل في بعد أو أكثر من أبعاد الذات الإنسانية الخيرة، يفجر جهود الأوضاع في الخارج وعند الآخرين؛ ليحلّ بديلاً إيجابياً ويدفع بحركة الحياة قدماً ويفتح لها آفاقاً جديدة ثرة واسعة^(١).

أنواع الحركات والثورات

الحركات تختلف:

١. مرةً توجد ضرورات، هذه الضرورات ضرورات معيشية، ضرورات أمنية، تستوجب الانتفاضة، تستوجب الثورة، هذه الضرورات التي لا تمهل، والتأخر بمواجهتها يقضي على كل شيء، هذه لها حسابها خاص.

٢. أمّا قضية الحركات الرسالية، والتي تستهدف قيادة الحياة على الخطّ الرسالي، فإنّ لها حساباً آخر، وإنّ لها نظراً آخر، والإعداد لها طويل.

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٩.

الجائع لا ينتظر، لا يسعه جوعه بأن ينتظر حتى يموت، ليسترد لقمته من فم الآخر، والعاري الذي تلهب ظهره سياط الشمس، لا يصبر أن يسترد قميصه المنهوب من الآخر، وهكذا هو منطق الضرورات، والرسالات الكبرى، وهي تراعي هذا ولا تنكره، وتدفع دائماً وبقوة إلى الخروج من حال الضرورة، وإلى مواجهة الظلم، لكنها في بنائها للمستقبل تعمل دائماً على تنشئة الإنسان الصالح^(١).

أشكال الثورات

١- فكرية: تحطم جدران الفكر، وتطلقه من زنزانه الجمود والتحجر ليدخل عملية إنتاج وإبداع ضخمة، وتجارب حية جديدة، وآفاقاً من الآفاق البكر بمنهجية عملية صارمة، ورؤية دقيقة متحررة ليأتي أكبر مما كان وأجود وأبصر، ويكون المبدع الخلاق المتبحر، الغواص المحلق المجدد المخصب.

٢- نفسية: تحرر النفس البشرية من مخاوفها الوهمية، وتبعث قوقعة يأسها وقنوطها، وتطرد عنها الشعور بالانهزامية والتقزم أمام الأحداث والأخطار التي تقع على طريق الفعل الصاعد، لتعانق الطموحات الكبيرة والأهداف الضخمة، متحملة مسؤولية الطريق، مستسيغة متاعب الدرب المحفوف بالمشاكل.

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس، مسجد مؤمن - المنامة، عام ٢٠٠٩م.



٣- اجتماعية: تكتسح العلاقات الظالمية فتحوّل الأعلالي أسافل، والأسافل أعلالي، كما ينبغي أن يكون؛ لتكون من هذا بداية التغيير الإيجابي الكبير، والتحوّل الشامل في موازين العلاقات الاجتماعية، من أصغر دائرة إلى أكبر دائرة في عالم النفس والاجتماع، وتندفع مسيرة هذه العلاقات في الطريق الصائب والخطّ الصاعد.

٤- روحية: تكسّر كلّ حواجز الطين في الوجود الإنساني، وتدوس الآمال والهواجس الأرضية المحدودة، لتنتقل في حركة محلّقة بعيداً عالياً لا يوقفها شيء، ليجد هذا الوجود نفسه واقعاً أكبر من المكان والزمان، في شعور غني دائم حيّ حاضر فاعل مفعم بالتعلق والتدلي والشعاعية للجمال المطلق والكمال اللامحدود.

وهي لا تكون -هذه الثورة الأخيرة- إلاّ بأن تكون الثورة الشاملة العميقة في كلّ أبعاد الذات الإنسانية الراقية، والحركة الهائلة في نفخة الروح القدسية في وجود الإنسان بكلّ حيثياتها الفاعلة؛ وعندئذٍ تندفع الذات الإنسانية والحياة بكلّ أبعادهما في حركة عرضية عامّة قوية جادة صاعدة إلى الله متخلّقة بأخلاقه، مهتدية بهدى أسمائه، متسارعة في أشواطها إلى رضاه.

وهناك ما يسمّى بحركات سياسية وانقلابات عسكرية مما لا يستهدف إلاّ طلب المنصب، والقفز على كرسي الحكم، أو التكبير لحركة الحياة وحرفها عن المسار؛ فهذه أحداث دونية صغيرة، أو

حركات عدوانية جائرة^(١).

مناشئ الثورات

قد تولد الثورة في ظروف محسوبة لدى الكثير من المراقبين للأوضاع بلحاظ ما يقدمه لهم سبرهم وتجاربهم وتحليلهم الاجتماعي والنفسي والسياسي وحاسبتهم الفنية في هذه المجالات، فيكون مجيئها على تقدير مرئي للعديد من، وفي وسط من الترقب المتشائم للأعداء، والتفاؤل الضاحك للأصدقاء، وقد تأتي تقديرًا ينفرد به قائد لا يسمح لغيره مستواه أن يرى رؤيته، ويقدر تقديره، تقديرًا لا تقع عليه إلا عين البصير المتفرد، ولا ترقى إليه النخب، ولا يكتشفه النظر الحديد مما عند الآخرين.

وقد يفجر الثورة ابتداءً عزمٌ تلاقت معه عزومٌ على تسلق القمة، ومقارعة الموت ومواجهة نتائج البركان، وقد لا يفجرها ابتداءً إلا عزمٌ واحدٌ متفردٌ من بين العزوم وإن تابعه منها ما يتابعه أثناء الطريق، هذا العزم يكون من إقدامه أن يواصل الطريق وحده غير مستوحش ولا آبه لفقد النصير، غير معلق مضيئه على الدرب الصعب على عدة ولا عدد، نعم شدة هذا العزم وتلحظه يولدان عزوماً أخرى لاحقة تشارك في البذل والعطاء، وشق الطريق إلى النتائج.

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١٠.



ومن التحركات ما يأتي ردّ فعل تدفع إليه محاصرة الظروف التي تفقد الفرد أو الجماعة كلّ خيارات النجاة، وتجعل صاحبها في زاوية الموت الحادة التي لا تفتح على طريق ترجى منها السلامة إلاّ طريق تفجير الأوضاع.

ومنها ما يأتي به خيار حرّ طليق، من خيارات العقل والمروءة والدين، يقدم التعب على الراحة، وشرف الشهادة على ذلّ الحياة، وإن كانت الشهادة صورة من أشدّ صور المأساة وآلام البدن، وكانت الحياة أنعم حياة وأرفه حياة؛ خيار من وحي الوعي الخالص، والتقدير الدقيق، والرؤية المتنبّية، والروحانية الشفّافة، والتصميم الفولاذي الهائل، بلا محاصرة خانقة في الخارج، ولا انفعال هائج في الداخل، ولا غياب لأكداس المحن المترتبة عن النظر الحديد.

وقد تبدأ الثورة إعصاراً عاتياً وبركاناً هائجاً، إلاّ أنّها من بعد حين وحينما تصطدم بصلابة الأحداث وهول المشاق تعود جواً هادئاً، وحالة وادعة، وتسكن ريجها وينتهي كلّ شيء وليكن ما يكن من نتائج يحصل معها على الراحة وتسلم الحياة، وقد لا تزيد الثورة أيامها الصعاب المثقلة بالهموم، ودربها الطويل المليء بالتحديات إلاّ إصراراً وعزيمة، وإلاّ شدة وصرامة.

ومن الصور أن تجد الثورة أول انطلاقتها، وقبل انطلاقتها رأياً عاماً داعماً يستثير الهمّة، ويشدّ العضد ويدفع على الطريق، وخلاصة

من آراء أهل المواقع تتفاءل لمستقبلها؛ وعلى خلافه قد لا تواجه الثورة عند بدء تفجُّرها إلاَّ سخرية عدوٍّ وإشفاق صديق، وتحذيراً وتحذيراً من أصحاب الرأي وأهل المشورة؛ إلاَّ أنَّ وعي القائد، ورؤيته الثاقبة، وروحه المضحية، وقيمه العليا وصرامة بأسه، وصلابة عزمه تجعله يتجاوز كلَّ الآراء القاصرة، والمشاعر الواجفة، والحسابات الصغيرة ليمضي قدماً على هدى من ربه، ويقين من دينه، وسلامة من نيته، وعلم بربح تجارته التي لا تبتغي دنيا، ولا تهدف إلى حطام، ولا يهتمها أن تحتفظ بحياة؛ إنما كلُّ همها نجاح القضية ونصرها، يمضي قدماً لتأتي النتائج كما رأى في أول الطريق عزاً وغلبة للقضية التي آمن بها؛ سواء سقط شهيداً في سبيلها، أم صار حاكماً يرعى مصالحها. والثائر ليس واحداً في كلِّ صورتين متقابلتين مما تقدم، فالبطولة أكبر، والعظمة أبين حين تأتي الثورة من منبع رؤية يتفرد بها القائد، وتصميماً لا يشاركه ابتداءً تصميم الآخرين، وخياراً حراً واعياً من قضاء العقل والدين، لا موقفاً يدفع إليه حصار خانق من الخارج، أو يسوق إليه هياج متهور من الداخل، ويحثُّ عليه تشجيع وتزيين وترغيب من هنا وهناك، ولا بطولة ولا عظمة إلاَّ بأن تثبت قدم القائد على المداحض، لتتثبت به الأقدام، وبأن ينتفي تراجع وتذبذب، ويكون الإصرار والمواصلة والاستقامة^(١).

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١٨.



أهداف الثورات ومُتطلباتها

١. هناك ثورة بطونٍ وجياح.

٢. وهناك ثورة عقولٍ وأرواح.

وهما يختلفان سقفاً، وطولَ مدى، وعمقَ معنى، ونوعَ خلق، وسعةَ أفق، ونوعَ جند، وطريقَ تحقيق، ونوعَ قيادة.

أيّ قبيلة من القبائل تعاركها قبيلةٌ أخرى، وقد جارت عليها بحيث شحّت عليها أسباب الحياة، قبيلة (أ) شحّت عليها أسباب الحياة من خلال الإغارة بعد الإغارة عليها من القبيلة الأخرى والنهب والسلب، الآن إما موت أو مواجهة العدد القليل للعدد الكثير، والعدّة الضئيلة للعدّة الثقيلة، هو موتٌ موت، فلا بدّ من مواجهة، وهنا لا تنتظر قيادة، ولا يُنتظر إعداد طويل لأنّه موتٌ عاجل، هذا نوع من المعارك، معركة جوع، معركة بطنٍ خاوٍ.

أمّا معركة العقول والأرواح فتفرق عن هذه المعركة، معركة الأرواح أعلى سقفاً، هذه تعالج مشكلة الإنسان من الجذور، ظاهرة الجوع، هذه شيءٌ مترشّح من فساد الإنسان، من ظلم الإنسان للإنسان، الظّاهرة الأمنيّة، الظّاهرة الاجتماعيّة، خلل البيئّة المعنويّة والبيئّة الحسيّة. فساد البيئّة هذا، الفساد الاقتصادي داخل، كلّ هو بسبب فساد عقل الإنسان، فساد قلب الإنسان، فساد المحتوى المعنوي

للإنسان.

الثورات الرّساليّة تستهدف ماذا؟

إنها تستهدف: صناعة الإنسان، الرقي بالإنسان، أن تخلق ثورة في داخل الإنسان، في داخله حجة على نفسه، لتنتقل هذه الثورة بعد ذلك للآخر، ويهدّ فساد الآخر، وباطل الآخر، هذه أعلى سقفاً جداً، أعمق أثراً -ولا أقف عند الشرح- تستوجب كوادِر ونخباً غير ما تستوجهه ثورة الجياع.

ثورة الجياع تتطلّب ماذا؟

إنها تتطلّب: قوّة عضليّة، وشجاعة مواجهة السيّف، وتحتاج لقليل من التخطيط، صحيح، لكن لا كما تحتاجه ثورة العقول والأرواح^(١).

شروط الثورات

الشرط الأول:- التمسك بالثوابت والتخطيط:

الحركة التي تحركك عن ثوابتك وقيمك، هي أخطر عليك من أن يتأخّر تحقيق هدفك، أنت إما أن تتحرك بلا قيم، وتتنازل عن ثوابتك، وتحاول أن تستعجل تحقيق هدفك بأيّ ثمن وإن كان على

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس سره، مسجد مؤمن - المنامة عام ٢٠٠٩م.



حساب رسالتك، وإما أن تدفع الضرورات عاجلاً، ويكون هدفك في الإصلاح الأكبر، آخذاً بنظر ضرورة الإعداد، إعداد الإنسان الصالح لحمل أمانة ذلك الهدف، فضلاً عن المشاركة في تحقيقه^(١).

الشرط الثاني:- وجود المقتضي وتحقق الشرط:

الذي يعرض الأجواء السياسية في البلاد العربية هو من رياح التغيير العاتية والزلازل العنيف والطوفان الجارف والتحوّلات الكاسحة، ما يحدث ليس صدفة، ولا مفاجأة كاملة، ولا شذوذاً في سير التاريخ، ولا خروجاً عن صناعه.

وجود المقتضي:

الموجب تام والسبب قائم في جور الأنظمة، نهبها للقيمة الشعوب، سياسة الإذلال والهوان، تهميش الأمة، بيع المقدرات، التنكّر للهوية، سحق الكرامة، بيع الأوطان، الفساد والإفساد الشامل.

ارتفاع المانع:

وإذا كان مانعٌ من التغيير فهو على ما هو عليه لم يتغيّر، وهو قرار الأنظمة، بطشها، تمسكها بالحكم بأي ثمن تجده على الإطلاق، استهزائها بإرادة الشعوب.

(١) المصدر نفسه.

والثابت أنَّ المانع على شدته ليس إلى الحدِّ الذي يعطلُّ رياح التغيير، ويؤجلُّ الزلزال، ويحول بين الطوفان وبين أن يبدأ، ويمدِّ في عمر الباطل لو حصل شرط التغيير.

الشرط هو تجاوز حاجز الخوف:

المفقود كان هو الشرط، المقتضي للتغيير موجود، المانع ليس بالشدة بين الأمم وبين التغيير، لكن الشرط كان مفقوداً.

مسألة بداية التغيير وزحفه، وحدوث الزلزال واشتداده، وانطلاق الطوفان واكتساحه، مرهونةٌ بانهدام حاجز الخوف والرعب الذي أقامته ومنتته الأنظمة السياسية الجائرة في نفوس أبناء الأمة، والحرص على الحياة الدنيا وإن كانت شحيحةً ذليلةً في نفوس أبناء الشعوب، ومرهونةٌ بإدراك الحالة البائسة حتى لمن كان شبعاناً من الناس، وانفتاح الأمل بعد اليأس المقيت.

شرط التغيير، وانطلاق الطوفان حصل في تونس ومصر، وله بوادره القوية في بلدان أخرى، وهو الشيء الجديد في درجته القوية الواسعة فيما استجدَّ في مسألة التغيير لمنبه وآخر، وبرحمة من الله عزَّ وجلَّ، توسَّع الإحساس بضرورة التغيير، وانتفاضة النفس مستعليةً على خوفها وقبولها بالهوان، مسترخضةً حياة الذلة والخسة، وكان التغيير. والطوفان بدأ لا ليهدأ، ولا ليقف عند حدِّ بلدٍ وشعب، وهو غير



قابلٍ للالتفاف والمغالطة والتخدير والتأجيل^(١).

ولّى زمن الحكومات الجائرة وجاء زمن الشعوب الواعدة:

يصرُّ كثيرٌ من الحكومات في البلاد الإسلامية العربية وغير العربية على أن تكون قويّة بالغة القوة، مهيبة شديدة الهيبة في صدور شعوبها، تملأ قلوبها رعباً وهلعاً، نافذة الكلمة بلا نقاش، ماضية الحكم بلا إبداء ملاحظة، صارمة السيّف على الرّقاب، بطّاشة عند أي مبادرة احتجاج على ظلم فاضح.

ولكنّ الشعوب تغيّرت -بعض تغيّرت- بعد طول غيبوبة وسبات فلم تبقى صالحة بما يُريح المتسلطين كلياً كما كانت لأن تسمع من الحكومات وتنفّذ ما يراود منها دون أدنى مناقشة، وأن تُسرق وتنهب من دون اعتراض، وتُقتل وتعذب من دون أن تتأّر لنفسها على الإطلاق، وأن تباع ويباع معها دينها وعزّتها وانتماءها وكلّ مقدّساتها لحساب الحكم من دون أن تنبس بينت شفة، وأن تُهدى أرضها وثرواتها لأعدائها من غير أن يكون لها رأي، وأن يتصرّف فيها الحاكمون تصرف المالك في ملكه ومن دون إرادة، وأن تعتبر الحكم ملاكاً حقيقيين وهي شيئاً من المتاع.

وإنّ الشعوب الإسلامية وبعد تعطيل طويل لشعورها بذاتها

(١) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ١١ فبراير ٢٠١١م.

الحضارية وانتمائها الكريم للإسلام العزيز، وانفصالها الكبير في مساحة واسعة من حياتها عن خطّ هذا الانتماء، وذلك بفعل السياسات الطاغية الباغية التي سلكت بالأمة طريقاً غير طريق الإسلام بدأت -ولجهد رسالي متواصل وأحداث إسلامية ضخام لا تخفى- يعود لها الشعور بالذات الحضارية الكريمة، والانتماء الأصيل لأعظم دين يعتني بالحقّ وروح العزّة والكرامة، ويقدر الإنسان أحسن تقدير، هذا في وسط عالمي بدأ رفضه لظلم الحكومات الذي عانى منه طويلاً يشتدّ متعاضماً معبراً عن نفسه بأساليب متفاوتة منها صالح وغير صالح، عقلاني وغير عقلاني، عادل وظالم.

وهذا الواقع الجديد في بعده المتصل بالأمة، وبعده العالمي يخلق حالة من المفارقة والتباعد المتسع بين ما عليه الأنظمة الرسمية الظالمة، والغطرسة التي تتصف بها وما عليه الشعوب من إحساس مرّ بالظلم، والتهميش، والإهانة، وسلب الحقوق، والسحق والمحق.

وعودة شريحة واسعة من الأمة الإسلامية إلى شيء من أصالتها ومفاهيم دينها وقيمها، والتمسك بالعزّة الإيمانية التي يوحى بها، والحقوق الإسلامية والوطنية والإنسانية التي قررها يجعل المسافة بين تفكير الحكومات والتي تصرّ على الاستئثار والجشع ونهب ثروات الشعوب والمتاجرة بها واسترخاض قيمتها ومصادرة رأيها وكلمتها، ومضايقتها في أمور دينها ودنياها والسياسة العملية المركّزة لتنفيذ كل هذه



المساوئ وبين الحالة المتنامية لوعي الأمة وإحساسها العميق بذاتها وكرامتها، وإيمانها الشديد بحقوقها مسافة شاسعة تزيد تباعداً كل يوم، لتتفاقم بصورة مستمرة ومتصاعدة من كل المشاكل والأزمات المترتبة على هذا التباين.

والأنظمة الرسمية عاجزة عن أن تعود بالأمة عن خطّ وعيها وشعورها بذاتها وقيمتها وأصالتها إلى الوراء، وعاجزة كذلك عن تصحيح نظرتها لطبيعة العلاقة بينها وبين شعوبها من أنها علاقة الراعي لحقوق الشعوب المؤمن لها، الساعي في الحفاظ عليها وتثبيتها، وليست علاقة القويّ الناهب للضعيف، والمتسلّط الغاشم المستحلّ لكل شيء من أسيره، والسيد المطلق بالعبد الذليل.

ما هي خيارات الحكومات الآن؟

هل تعتمد الحكومات إلى أن ترحل شعوبها أو تقضي عليها وتستبدل عنها غيرها من شتى بقاع العالم لتبقي على سياستها؟
لو استطاعت لفعلت، ولو فعلت ما استقام لها أن تستمر على سياستها؛ لأنك لا تجد شعباً واحداً من الشعوب المتحضرة بمستوى البهائم أو العبيد والإماء لا يرفض الظلم والذل والهوان.

وماذا بعد ذلك؟ ليس شيء من بعد ذلك إلا أن تُعدّل الأنظمة الرسمية من سياستها وتعترف بحق الشعوب وحرّيتها وإنسانيتها

وكرامتها، وأن ليس لها أن تحكم إلا بصفة النيابة عن الشعوب، والنيابة لا تتم إلا بالرضا ابتداءً وعلى مستوى الاستمرار.

وهذه الحكومات المستأسدة ضد شعوبها ضعيفة متخاذلة فاقدة للحيلة مستسلمة أمام إسرائيل وإرادتها.

كانت الأنظمة العربية تُكثر القول المكرر بأن فلسطين والقدس هما القضية الأولى للأمة العربية، والقضية الأولى والمركزية والثابتة لا يساوم عليها ولا تُضَيِّع ولا تُنسى ولا تُقدَّم على حسابها التنازلات.

وقد توالى الانسحابات عن الالتزام بهذا القول، ودخلت الأمة رسمياً في خارطة الطريق لسد الطريق، أو ليوّدي إلى تحقيق ما خططت له إسرائيل في هذه القضية، وبدأ التنازل بعد التنازل، والتبرير للتخاذل بعد التبرير، وسجّلت الأنظمة على نفسها ضعفاً مخجلاً أمام الأمة والعالم، إن لم يكن خيانات واضحة من البعض وتآمراً على الأمة. وفي كل مرة من المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة تسد إسرائيل الطريق، وتتظاهر أمريكا بالضغط عليها ببعض الكلمات لتعلن للعرب من بعد ذلك بأن الإرادة الإسرائيلية أقوى من أن تلين، ليستجيب العرب بتنازل جديد للإشارة الأمريكية لا ضغطها الذي لا تحتاجه في التعامل مع هذا الطرف الذي حكم على نفسه بخلو اليد من كل الأوراق الضاغطة على إسرائيل والوسيط الأمريكي المخلص



لها، وكأنَّ العرب لا نفط بيدهم، ولا موقع ذا أهمية استراتيجية تحتاجه أمريكا، وليست لهم مساندة تعتمد عليها في ما تريد الوصول إليه في قضايا الأمة، ولا يمثلون سوقاً رابحة لأمريكا في السلاح والبضائع الأخرى، ولا أرصدة لهم اسماً في المؤسسات المالية الأمريكية لتنشيط الاقتصاد الأمريكي وتغذيته، فالأنظمة الرسمية في الأمة أقوياء ولكن ضعفاء؛ أقوياء عليها، ضعفاء أمام إسرائيل^(١).

الشرط الثالث:- القيادة الأمينة الكفوءة:

أما رشد التغيير^(٢)، وتحقيقه للآمال العريضة، وانضباطه، وأمنه من الحرف والالتفاف عليه، ويسره، وانسيابته بدرجة أكبر وأضمن، فيحتاج إلى شرط القيادة الموحدة الكفوءة الرشيدة الأمينة الشجاعة، النابعة من ضمير الأمة، المنسجمة مع آمالها، المجسدة لرؤيتها، التي لا ينقصها الوفاء والإخلاص، والتقدير الدقيق، وقد تجسّد هذا الشرط في مثل قيادة الإمام الخميني -رضوان الله عليه- في ثورته العملاقة أمام طغيان النظام الشاهي المظبور.

وكل ثورة تحتاج إلى خميني جديد، في عزمه، في رشده، في

(١) خطبة الجمعة (٤٣٥) ٢٤ محرم الحرام ١٤٣١هـ - ٣١ ديسمبر ٢٠١٠م.

(٢) التغيير كان يحتاج إلى تحولٍ نفسي، إلى انقلابٍ في الحالة النفسية، التغيير يختلف عن رشد التغيير، للتغيير شرطه ولرشد التغيير شرطه. «منه حفظه الله»

إسلاميته، في تصميمه، في دقته، في تقواه^(١).

على أن أي تغيير صالح في الأنظمة الفاسدة، تتوفر عليه الشعوب هو خير، وإن لم يبلغ كل ما تبلغه ثورة تامة المقومات، مكتملة الشروط^(٢).

الجماهير يمكن من غير من يصون حصن الإسلام أن يسرق منها الوعي، أن يسرق منها إسلامها في أجواء مخملية حريرية هادئة، الجماهير يمكن أن ينصرف كل فرد منها لشأنه الخاص، حين لا يكون رسول، أو لا يكون إمام، أو لا يكون فقيه، أو لا تكون قيادة، سواء كانت قيادة مؤمنة أو قيادة غير مؤمنة في بلد غير مؤمن، على النحل فيه قائد، والقيادة -طبعاً- والإمامة ليست على مستوى المجتمع الإنساني فقط.

كل أنواع الحيوان التي تعيش حالة اجتماعية، ولو فطرية، يكون لها قائد، ولها إمام، ولها مرشد، الذين يريدون أن يفصلوا جماهير الأمة عن خط الرسل، عن خط الأئمة، عن خط الفقهاء، معنى ذلك أنهم ينوون قتل هويتها^{(٣)(٤)}.

(١) وهل معنى ذلك ألا تغيير حتى يظهر خميني جديد؟ لا. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ١١ فبراير ٢٠١١م.

(٣) هتاف الجماهير معكم معكم يا فقهاء.

(٤) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس، مسجد مؤمن - المنامة عام ٢٠٠٩م.



متى تكون القيادة إسلامية؟

إنه لا يتم صدق الثورة الإسلامية والحركة الإسلامية، ما لم تكن القيادة قيادةً إسلامية واقعةً؛ وصدق عنوان القيادة الإسلامية متوقف على شروط لا بدَّ من تحقُّقها الخارجي:

أ- وضوح فكري للإسلام في تركيبته العامة، وروحه، ومقاصده، ورؤيته.

ب- إيمان عميق ثابت بالإسلام وقدرته على الإنقاذ، وحقانيته التي لا غبار عليها.

ج- فقه أحكامه^(١) وتشريعاته بما في ذلك تشريعات الحياة العامة للمجتمع وحركة الحياة خاصة.

د- التقوى العملية الرادعة عن مخالفة الشريعة في مضائق الأمور، ومزالق الأقدام.

هـ- كفاءة الخبرة والعلم بالمكان والزمان.

و- الكفاءة النفسية، والإرادة الإيمانية المتطلِّبة عدم الضاغطة المعطلُّ أو المعرقل من صفتين خطيرتين على النفس في هذا المجال: الجبن والتهور.

(١) القيادة بلا فقه، لا يمكنني أن أسميها قيادة إسلامية. «منه حفظه الله»

ز- التواضع أمام علم الآخرين وخبرتهم إلى حدّ التنازل عن رأي القيادة وإن كان معلناً، مع احترام القيادة لما هي عليه من علم وخبرة، والشرط الأخير وارد في حقّ غير المعصوم عليه السلام.

وإذا كانت القيادة الإسلامية في درجتها المثالية إنما تتجسّد في المعصومين عليهم السلام فحسب، فإنّها متجسّدة بحقّ وصدق بدرجة عالية كافية في الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، وبلحاظ كلّ تلك الأمور، وهو الشيء الذي أعطى قيادته الاستقطاب الكبير للمستضعفين والمحرومين والوعاة المنصفين، وأتعب بها الطغاة المستكبرين^(١).

وزن القيادة بثقل القضية:

إنّ القضايا التي تقف وراء التحركات والثورات أحجام وأوزان، وشأن القيادات هذا الشأن نفسه، وملاءمة القيادة وعدم ملاءمتها لا بدّ فيه من قياسها إلى القضية التي ترفع رايتها، فالقيادات الصغيرة لا تتحمّل ثقل القضايا الكبيرة، وكلّ القضايا تصغر حجماً ووزناً أمام قضية الإسلام في عمقه وشموليته ودقّته وقديسيته وامتداد آثاره؛ فليس من قضية تتسع بقدر ما يتسع له الإسلام بتنظيمه واهتمامه زماناً ومكاناً، وشعوباً وأمماً، ودنيا وآخرة، وليس مثله ما ينظر من الإنسان كلّ كيانه، ويستقصي كلّ حاجة له، وكلّ دافع منه، وكلّ

(١) خطبة الجمعة (٢٧٢) ٢٧ محرم الحرام ١٤٢٨ هـ - ١٦ فبراير ٢٠٠٧ م.



طاقة فيه، ويتحمل مسؤولية صنعه وتربيته بكل أبعاده مدة حياته وقبل ولادة له وبعد وفاة، وليست هناك قضية تعدل الإسلام علميةً وصدقاً وجديّة وعدلاً وحديّة مبدئية وتمسكاً بالحق على الإطلاق.

فقيادة تنهض بثقل هذه القضية وترتفع إلى مستواها ليس في حدّ ندرتها ندرة، حتى إن لم تكن في الأصل إلاّ لرسول أو وصي رسول من ثابتي العصمة وكملّ البشر على الإطلاق، وإن أثبتتها الدليل بالنبع وللاضطرار لمن هو الأقرب فيما له من مجمل الأبعاد الكمالية العلمية والإيمانية والخلقية ومحصل الخبرة العملية من الإمام الأصل^(١).

خسائر الثورات

ضريبة التحرك السياسي:

الفساد وضع شاذّ، والظلم والفساد وانحراف الأوضاع، وتراكم الخطأ، والاستمرار في البغي طريق الهلاك، وهو منته حتماً بالمجتمعات إلى الهاوية.

ولذلك انصبّ صوت الشرائع السماوية العادلة، والأخلاق المنبثقة من خطّ السماء، وكلّ الشرائع المتعلّقة على المناداة بالعدل ومحاربة الظلم والفساد.

وكلّما طال عمر الظلم والفساد تعمّقت الأزمة، وتجدّدت، واتّسع

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٥٤.

نطاقها، وزادت في شقاء المجتمعات، وصعب الإصلاح وكلف الكثير.

١- الخسائر مسؤولية من؟ وما هو سبب ازدياد كلفتها؟

ولا إصلاح ولا تغيير من غير ثمن وخسائر، والمسؤولية في ذلك إنما هي مسؤولية الظلم والفساد الذي لا بُدَّ من مواجهته وإلاَّ محقَّ الحياة محقاً بعدما يُحوَّلها إلى شقاء، وتصبح كلفة الإصلاح والتغيير وتتضاعف كلما طال عمر الظلم.

ويرجع استمرار الخسائر والمتاعب التي ترافق عملية الإصلاح إلى عدم الاستجابة إليه على ضرورته، والتمسُّك بخيار الظلم والفساد. والخسائر والمتاعب المرافقة للإصلاح لا تُمثِّل إفرزاً لطبيعته، وإنَّما هي من إفرزات الظلم الذي يراد معالجته، ومن عطاءاته الصديديَّة السيئة، وبسبب البنية المتردِّية للأوضاع والنفوس والمصالح الضيقة والحسابات الأنانية التي تُعطي ردَّ فعلٍ معاكسٍ من جنس طبيعتها في مقاومةٍ شرسةٍ للإصلاح لا تعرف شيئاً من الدين والخلق القويم.

٢- هل احتمال الخسائر يعني التوقُّف عن طلب الإصلاح؟

وكلُّ المتاعب التي تتطلبها عمليات الإصلاح وإن عظمت وآلمت لا تكاد تساوي شيئاً من المتاعب والخسائر والكوارث التي يجرُّ إليها



استمرار الفساد والانحراف^(١).

وطالبو الإصلاح الحقيقيون يتحاشون أي خسارة وأي تعب لأي إنسان في مجتمعاتهم تضيفها حركة الإصلاح فوق ما تتسببه وضعية الانحراف التي يسعون لتخليص المجتمع منها، وإلا انحرفوا بما يضيفونه من خسارة عن خط الإصلاح.

والكل يتمنى أن يكون التحرك السياسي الإصلاحي بلا أي أثر سلبي اقتصادي أو اجتماعي أو غيرهما؛ ولكن كما تقدم إن حركة الإصلاح وهي تصطدم بإرادة الوضع المنحرف لا بد أن تتسبب في شيء من الصّداخ للمجتمعات، وهو الشيء الذي تفرزه أوضاع الانحراف ومقاومتها الشرسة، ومكرها السيء، وألاعيبها وحيلها الملتوية، وإن حرص كل المصلحين على النأي بالمجتمع عن كل الخسائر.

٣- هل هناك سبيل لتقليل الخسائر؟

وبالإمكان أن يتقلص حجم الخسائر ويقل جداً، وأن يتخلص منها نهائياً بسرعة لو بادرت كل الفئات إلى الانضمام إلى صوت الإصلاح والوقوف مع العدل، ومناهضة الظلم، والقول عما هو حق

(١) كلف الإسلام كثيراً، ولكن كان الإسلام ضرورة، ويبقى الإسلام ضرورة، وقد وقى البشرية من هلاك محتم. «منه حفظه الله»

بأنه حق، وعمّا هو باطل بأنه باطل من غير مواردٍ أو لفٍّ ودوران. ومبادرة المسؤولين بالإصلاح، والاستجابة السريعة له تتوقّف كلّ المتاعب والخسائر، فالضغط كلّ الضغط إنّما يجب أن يوجّه إلى هذا الطرف بالخصوص، لأنّ الطرف الذي يملك مفاتيح الحلّ، وبيده إمكانيات حلحلة الأمور، ولم يؤخذ منه شيء حتّى يطالب الآخذ له بإرجاعه إليه^(١).

نعم عليّ وأنا أطالب بالإصلاح أن أحسن الخطاب، أن أحسن التصرف، أن أتجنب الإساءة، ألا أثير الريبة، ألا أخالف حكماً شرعياً، ألا أسيء النية، ألا أضمر ظلم أحد، أن أحسن الخلق، ثمّ لا لوم بعد ذلك على من رفع صوته يطالب بالإصلاح واسترجاع الحقوق^(٢).

من التغيير ما يكلف البلدان الكثير من الخسارة على مستوى الإنجازات والإنسان، ومنها ما هو دون ذلك، والمسألة ترتبط بحكمة الأنظمة وتعقلها، ومبادرتها في الاستجابة لضرورات الناس ومطالبها العادلة السياسية وغيرها، والاعتراف العملي العاجل بكرامة الشعوب وحقوقها في شكل الحكم وسياسته^(٣).

(١) الشعوب لم تأخذ شيئاً، الأنظمة هي التي تأخذ من الشعوب، وهي المدينة بالحقوق للشعوب.

(٢) خطبة الجمعة (٤٤٢) ٥ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ - ١١ مارس ٢٠١١م.

(٣) خطبة الجمعة (٤٣٨) ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ١١ فبراير ٢٠١١م.



كلُّ ما زادت التضحيات ارتفع سقف المطالب:

وقد رأينا أنَّ ما يمتنع عن إعطاءه للشعوب اليوم، لا ترتضيه غداً على مضاعفته. اليوم أيُّ شعبٍ يطلب قدراً من الحقوق، غداً يتضاعف الطلب، وتعرض عليه الحكومات أكثر مما طلب، إلاَّ أنَّه بعد التضحيات الكثيرة لا يقبل بما يعطى، وهو درس يجب أن تتعلمه الأنظمة، وأنَّ الذين يتذرعون بألوان التذرع، ويعتذرون بألف عذر عن الإعطاء للقليل والتغيير في حال السعة، يعلنون عن استعدادهم للإعطاء الواسع والتغيير الكثير إذا ضاقت بهم الأمور، وعند فوات الأوان، كم عرض زين العابدين، وكم عرضت الحكومة المصرية على الشعب، مما كانت لا تعطي شيئاً منه قبل الثورة؟

مقوّمات الثورات

ركنان لا بدّ منهما في كلِّ ثورة:

- ١- قضية في رجل.
- ٢- ورجل حقيقة قضية.

الركن الأول: - قضية في رجل:

قضية هي قضية الإنسان في فطرته الإنسانية النقيّة المتنبهة النامية على خطّها الأصيل، قضية تحمل رؤية الفطرة ووجدانها وتوقها وتشوّقها، وخلوصها وطهرها، ولها غنى يزيد الفطرة إلى زادها الروحي والفكري والخلقي الطيّب زاداً طيباً، ويمدّها فوق نورها نوراً، ويشريها

على هداها هدى، قضية تملك أن تخاطب الإنسان وتملك أن ترفده؛ تخاطبه بلغة إنسانيته ووعيه ووجدانه وأشواقه الرفيعة، التي هي من صميم ذاته، وترفده بما يزيد من تفجر وعيه، ويستثير من خزائن عقله، ويركز أصيل وجدانه، وينمي مغروس أشواق إنسانيته، ويوظف استعداداته النبيلة ليبليغ به أقصى درجات هداه ورفعته.

وهذه القضية لا بد أن تكون للرجل السمع والبصر والفؤاد واليد والرجل؛ لكي تشخص للناس مشكلتهم، وتراقب فيهم مواضع صحتهم وسقمهم، ولتهتدي بمن تبتدى وبمن تنتهي، وأين تخاطب ومتى تخاطب، ولتملك أن تحتال للإصلاح والتغيير، وتتوفر على أسباب الثورة والمواجهة.

الركن الثاني:- ورجل حقيقته قضية:

ولا بد من رجل هو تلك القضية، نعم كأنه ليس إلا العقل والقلب والسمع والبصر واليد والرجل لها؛ فليس له ما يرغب أو ما يرهب مما يصرف عنها، أو يجعله يعطي من نفسه له من دونها إلا ما صب مصبها وكان من أسباب نجاحها، رجل يرى سمو الفكرة في سموه، وعدلها في عدله، وتسامحها في تسامحه، وانفتاحها في انفتاحه، ونزاهتها في نزاهته، ودقتها في دقته، وحكمتها في حكمته، وصفائها في صفائه، رجل يتحرك حيث تريد له الفكرة أن يتحرك، ويقف حيث تشير بالوقوف، ويرتفع بكيانه كله إلى مستوى الصلابة الذي تفرضه في

إطار التعامل مع الذات والآخرين أقرباء وأصدقاء، وُعداء وأعداء، وإلى مستوى السماحة الذي تتطلبه وإن كان فيه تجاوز الذات ونسيانها.

ذاك هو الرجل الأمة الذي كان النبي إبراهيم عليه السلام، والنبي محمد ﷺ، وعلياً والحسن والحسين عليهما السلام، وكل إمام معصوم، وكان بدرجة أخرى الخميني الثائفة، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) أمة من الوعي والهدى ومواقف الإيمان الصلبة والقيم الرسالية والخط الإنساني الأصيل، أمة تطلعها إلى السماء، وخطها خط الفطرة، وقصدها إلى الله عز وجل.

نعم حين تتجسد القضية العملاقة في الرجل العملاق؛ الرجل الأمة الحية المتصلة بالله، القانتة إليه، المخلصة لوجهه الكريم، المستقيمة على الدرب تكون الثورة وتجد قوامها، وتبقى صوتاً حياً فاعلاً على مدى التاريخ^(٢).

ضوابط الثورات

ماذا يحكم التحرك والثورة؟

ما يحكم التحرك وهدفه إنما هو:

(١) سورة النحل: ١٢١.

(٢) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١١.

١- حلال الله وحرامه، وما يجوز وما لا يجوز في شرعه.

٢- والعدل الذي قضى به حكمه.

٣- ومصلحة الوطن التي يجب الحفاظ عليها.

٤- والوحدة الوطنية التي تجب مراعاتها^(١).

وليس من الصحيح أن يُسمع لأي لغة طائفية، وشحن طائفي شيعي أو سني من الداخل أو الخارج، وعلى كل أطراف الداخل أن تلتفت إلى أن تسميم جو المدارس أو الساحة الاجتماعية العامة بالروح الطائفية والكراهية والمقد والفتنة والنزاع الطائفي جريمة شنيعة، وفاجعة كارثية تُرتكب في حق الأجيال القادمة، والوطن في حاضره ومستقبله.

ومن أراد أن يغتال أمن الوطن واستقراره، ويشقي الأجيال القادمة من أبنائه فليفعل ذلك وإنه لإثم كبير، وسوء من أعظم السوء، وضرر من أبلغ الضرر؛ ضرر بالوطن في حاضره ومستقبله^{(٢)(٣)}.

(١) هذه ضوابط للتحرك وقيوده، وما له الحاكمية عليه. «منه حفظه الله»

(٢) هتاف جموع المصلين بـ "لا للفتنة الطائفية".

(٣) خطبة الجمعة (٤٤١) ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ٤ مارس ٢٠١١م.



دور النخبة والأمة في قيام الثورات

النخبة:

أقرب الناس إلى الثورة بعد القيادة -فكراً وروحياً ونفسية واستلهاً، وقدرة على التمثيل لرؤاها وقيمها وآدابها، وعلى التحمل لأعبائها ومسؤولياتها، ومواصلة الطريق - هم النخبة الذين تجمعهم والقيادة مدرسة رسالة واحدة، وهم الشرايين التي تغذي الأمة بوعي الرسالة وحسها، وتتدفق بالدمّ الجديد الذي يعطي لها حياتها ومعنوياتها؛ والأمة هي المخزون الكبير الذي يمدّ الثورة بمقومات المواجهة الشاملة وبالنخب المتجددة، ويتحمل مسؤوليتها على المدى البعيد، والأمة هي حقل الثورة الذي تستهدفه بالاعمار، وحضورها الفاعل واستعدادها لأن تعطي كل شيء للنصر يجعلان يومه قريباً، ووزنه هائلاً؛ فلا بدّ من نخبة وأمة، والثورة التي لا تجد نخبة واعية، ولا أمة فاعلة تبدأ أول ما تبدأ بايجادهما.

الأمة:

الأمة هي المخزون الضخم الذي تستمدّ منه الثورة عنصر المواجهة مع العدو في الجبهة الأمامية والخلفية للمعركة؛ فحين تكون الأمة مستوعبة لقيم الثورة، مؤمنة بها، ملتفة بقيادتها، مستعدة للعطاء من أجلها، تكون الثورة مؤمنة إلى حدّ كبير من حيث متطلبات

المواجهة الطويلة المدى، الواسعة الإطار في الكثير من ميادينها، وتعتمد الثورة في مواقعها الشعبية -للتسلح بمقومات المواجهة الحاسمة مع الأنظمة الطاغوتية المبنية بناءً محكماً من ناحية تنظيمية وعسكرية- على عنصر الإيمان الفاعل، والإرادة الحية المتحرّكة، وروح العطاء والتضحية عند الأمة، في مقابل ما تعتمد عليه تلك الأنظمة السلطوية الديوية في هذه المواجهة من عنصر الإغراء المادي من جهة والإرهاب والبطش من جهة أخرى.

وإقدام القيادة والنخبة على المواجهة الحادة مع أيّ نظام في حالة من غياب الأمة، وسقوط فكرها، أو تحجّر ضميرها، أو شلل إرادتها إنما يعني -في الحالة الواعية غير الانفعالية، والحالة الخاضعة للتخطيط، غير المحكومة للفوضى والانفلات - انتحاراً رسالياً، ورسالة دموية إلى فكر الأمة وضميرها وإرادتها، وصوتاً راعداً مزجراً يخترق حالة الجمود والتحجّر الذي تعيشه الأمة في وعيها ووجدانها وفاعلية إنسانيتها^(١).

الشهادة في سبيل الله هي الطريق لتحقيق النصر:

١- في بيانات الإمام الحسينؑ:

أ- سيد الشهداءؑ وهو يخاطب في رسالة له بني هاشم: «فإنّه

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٨٩.



من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح»^(١) ما أروع تجسيد كلمته ﷺ التي خطّها بدمه الشريف في قلب الزمن، وهو دم لا يجف ولا يمحي! ما أروع تجسيدها لقيمة الشهادة في سبيل الله وتسليطها الضوء على ذلك الانتصار الهائل لحظة الشهادة، على ضعف الذات وهلعها وحرصها وشحها، وعلى ذلك الانطلاق الكبير من سجن الذات الدنيا إلى الأفق الممتد للذات العليا، والتحرر الشامل من أسر الطين ومشاغله ومخاوفه ورغائبه الصغيرة، والانعقاد الضخم للروح من قوقعة الأرض وحساباتها إلى الأبعاد اللامتناهية وراء عوالم المادة وأكوانها!

فالشهادة في سبيل الله أكبر نصر ويوم فتح تحقّقه الذات في عالم ذاتها، وأمضى سلاح يحقق للإسلام عزّه وللأمة هيبتها، والتخلف عنها ذلّة وهوان، وتقزّم في الذات الإنسانية وانكماش في أبعادها.

ب- والكلمة الأخرى لسيد الشهداء ﷺ في هذا السياق: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٢)، قالها كلمة لا يهدأ لهيبتها حرفاً، وقالها كلمة لا

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٣٠.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٨١، ومثير الأحرار، ابن نما الحلي، ص ٤٤.

ينتهي تفجرها دماً. ثم إنه لو كان موت بلا جنة ولا نار لما صبر الحرّ على الحياة يدفع ثمنها ذلّة من نفسه وانسحاقاً أمام طاغية من الطواغيت؛ كيف والشهادة تعني فوز الأبد؟! فهذا أبو الأحرار وهو يحمل على ميمنة العدو يعبر عن إباءه وحميته من جهة وعن شدة تقواه ومبدئيته من جهة أخرى.

ج- «الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار»^(١)، النار التي هي عنوان سخط الله ومقته، وعنوان الخسة والسقوط لمن كتبت عليه العار، وهو أشدّ من حزّ المدى والسيوف على الأبى مقدّم عليها، وهو العار الذي يعني ذلّة الظاهر في احتفاظ كامل بعزة الباطن، والعيش في ظلّ سيطرة العدو حين يعني تفجير الأوضاع تضييعاً أكثر للمصلحة الإسلامية العليا.

٢- بيانات السيد الإمام الخميني:

من بعد ذلك تأتي كلمات القائد الراحل قدس لتعبئ النفوس بالوعي التضحيوي وخيار الموت، تقديماً للمصلحة الإسلامية العليا على كلّ شيء، مقتفياً خطّ الوعي الذي رسمه دمّ الحسين الشهيد عليه السلام:

أ- الكلمة الأولى: "فحفظ الإسلام هو أهمّ من جميع الواجبات،

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٦٨.



ولأجله جاهد وضحى غاية التضحية الأنبياء العظام من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء عليه السلام، لم يصدّهم عن أداء هذه الفريضة الكبرى أي مانع، وتابع الأنبياء على ذلك الصحابة المؤمنون، وأئمة الإسلام عليهم صلوات الله، سعوا بكامل الجهد حتى التضحية بالنفس من أجل ذلك^(١).

ب - الكلمة الثانية: «إن حفظ حياة المسلمين أهم من كل شيء، وإن حفظ الإسلام أكثر أهمية من الحفاظ على حياة المسلمين»^(٢).

ج - الكلمة الثالثة: «إن استشهاد أبناء الإسلام وذرية الرسول الكريم عليه السلام وأبناء فاطمة والحسين عليه السلام في سبيل الإسلام وتحقيق أهدافه السامية ليس بالأمر الجديد، أو الظاهرة الحديثة، فلقد قدمت الأمة الإسلامية العظيمة في محراب مسجد الكوفة وصحراء كربلاء، أرض العزة والفخر والشرف على امتداد التاريخ الشيعي المخضب بالدماء قربانين عظيمين في سبيل الله ورفعته الإسلام العزيز. وإن إيران الشهادة غير مستثناة من هذه الظاهرة السعيدة، فالثورة الإسلامية قد قدمت الكثير من الشهداء الذين اختطّوا نهج إمامهم الحسين عليه السلام»^(٣).

وهكذا تحمل كلمات القائد الكبير الوعي الإسلامي الأصيل بأمانة وإخلاص عبر الكلمات والمواقف الثورية اللاهبة إلى كل أجيال

(١) دراسات، العدد ١١، صفر ١٤١١ - أغسطس ١٩٩٠م، ص ٥٥، عن الوصية.

(٢) صوت الأمة، العدد ٢٠، ذو القعدة ١٤٠١هـ، ص ١١٩.

(٣) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٦٥، ربيع الأول ١٤٠٢هـ.

الأمة، وتغرس فيها الروح المبدئية الصادقة، التي تجعلها تقدم كل شيء من أجل الإسلام، وترى حياتها في الموت في سبيله.

ولقد نطقت دماءُ الأنبياء والأوصياء والصديقين وهي تسقي شجرة الإسلام عبر التاريخ المديد أن ليس من دم يمكن أن ييخل به على الإسلام؛ وكيف يعزّ دم على الإسلام وما شرف دم وما تقدس إلا بما انتمى للإسلام وجسده؟! وهل الدم الذي لا تسري فيه الروح المبدئية التضحية الفؤارة التي تذود عن الإسلام وتجاهد بين يديه إلا دم من دماء الأغنام والأبقار؟! لا يعزّ الدم إلا بالإيمان، ولا يسمو إلا بالتشرب بمفاهيم العقيدة وقيمها، ولا يكون كذلك أو يجوز عليه أن يحتفظ بتدفعه في العروق دون أن يتفجر خارجاً؛ ليسقي شجرة المبدأ ويدفع عنها غائلة الاجتثاث.

نعم هذه هي العلاقة: الإسلام من أجل الإنسان يربيه ويزكيه ويقوم مسيرته ويصحّ أوضاعه ويبلغ به غايته، والإنسان يتحمّل أمانة الإسلام حتى الموت في سبيله، وهذا موت جسد فيه أشدّ حياة للروح وأكبر طفرة في الوجود، وأخصر طريق للغاية^(١).

د- الكلمة الرابعة: يقول السيد الإمام قدس: "إني أدعو لكم بالنصر ولكم ثواب الشهداء"^(٢). يقول ذلك لعشاق الشهادة الذين يسألونه

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٤٠.

(٢) صوت الأمة، العدد ٢٦، صفر ١٤٠٢هـ.



الدعاء أن يُرزقوا إياها: "إنَّ الباعث على الفخر والاعتزاز هو هذه المعنويات العالية والقلوب المليئة بالإيمان والإخلاص، وطلب الشهادة الموجود لدى هؤلاء الأفراد، الجنود الحقيقيين لولي الله الأعظم، وإنَّ هذا لفتح الفتوح"^(١).

هـ- الكلمة الخامسة: "بل يجب أن نقلق فيما لو لم نتمكن من أداء واجبنا الذي أمرنا الله ﷻ به، يجب ألا نقلق فيما إذا هزمنا من قبل الشرق أو الغرب أو الداخل أو الخارج؛ لأنَّ الخسارة الحقيقية هي عدم التزامنا بالواجب الإلهي"^(٢).

نستفيد هنا فكرياً إسلامياً نيراً خالصاً مقتطفاً من شجرة النبوة والإمامة، ومن ثورة كربلاء الوعي والتخطيط، والدم والشهادة.

الجواب لعشاق الشهادة من المستهام فيها أنه علينا أن نحمل روح الشهادة بين جنبينا، وأن تكون أرواحنا على الأكف في سبيل الله ليكون لنا ثواب الشهداء، ولكن علينا ألا نفوت فرصة واحدة لتحقيق نصر عسكري ساحق، يمكن للحكومة الإسلام وأطروحته في الناس من أجل أن يصنعوا على عين الإسلام وفي رحابه الطاهرة، التي تعبى بالعدل والعلم والمحبة والإخاء وكل المعاني الخلقية الرفيعة وأسباب التقدم والكمال، علينا ونحن نسترخص الحياة في سبيل الله وعلو

(١) جريدة حرس الثورة الإسلامية، العدد ٣٧، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ ص ٥.

(٢) الشهيد، العدد ٦٨، ١٨ شوال ١٤٠١هـ.

الإسلام أن نطلب النصر العسكري ونخطّط له بأقل الأثمان.

ويبقى الاستعداد للموت المبدئي، وحبُّ الشهادة والسعي لها بقدم راسخة ويقين أكيد، والتخطيط للفوز بها عندما تتطلب ذلك مصلحة الإسلام، يبقى كلّ ذلك مفخرة المفاخر ومادة النصر على المدى الطويل وضمانة العزّ للدين والمؤمنين في كلّ التاريخ؛ وإنّه لفتح الفتوح كما تقول كلمته رضوان الله عليه.

ولم لا ولا نصر إذا لم تكن الروح التضحية وحبُّ الموت في سبيل الله؟! وإنّه لا يدوم نصر بعد حدوث إلا بدوام هذه الروح وسريانها في أبناء الأمة، وتغلّبها على حبّ الدنيا وكلّ ما يغرى وكلّ ما يستهوي من سحرها وزينتها.

نعشق الشهادة فتح الفتوح للأمة من منطلق الإيمان والإخلاص، وهو فتح الفتوح لكلّ من كان له هذا العشق الجليل؛ فإنّه يعني السمو في التفكير، والرفعة في الشعور، والتحرّر من أسر الدنيا، ووله القلب بالله؛ وفي ذلك العشق انفتاح بصيرة، وانطلاقة روح، وزكاة قلب، وعظمة ذات.

لذا فإنّ أمة تتوفّر على هذا العشق لا تكون خاسرة وإن حالت الظروف القاهرة دون تحقيق النصر المادي أو كتبت عليها هزيمة الظاهر؛ فمن ربح ذاته فقد ربح كلّ شيء، ومن خسر ذاته فقد خسر كلّ شيء، والنفوس التي تقدّم الله سبحانه على ما دونه قد بلغت

نضجها؛ وخسائر الخارج لا تنال من هذا النضج والكمال ولا تثلمه^(١).

أسباب نجاح الثورات (البحرين نموذجاً)

إنّ للنجاح أسباباً وشروطاً لا يصحّ التفريط في واحد منها، وأكتفي هنا بذكر شيء يسير منها:

١- اعتماد الأساليب المدروسة: الاستمرار على ما اخترتموه والتزمتموه من أسلوب سلمي لا يهدر قطرة دم واحدة من إنسان، ولا يتلف فلساً واحداً من ثروة الوطن.

٢- الخطاب الواعي: حسن الخطاب، نظافة الخطاب بلا تهديد، ولا توعّد، ولا تهافت، ولا شقاق.

٣- الجِد والانضباط: كلّما كان الدّوار^(٢) ساحة جدّ وانضباط، وتوافق وانسجام، وكلّما ارتقيتم بهذه الساحة في النظافة المعنوية والمادية، ونأيتم بها عن الشوائب المضرة كلّما قدّمتم للعالم الصورة

(١) بتصرف من: ثورة أم وثورة شعاع، ص ٤٠-٥١.

(٢) ويعني به سماحته «دوار اللؤلؤة» وهو ساحة تجمّع ثوار شعب البحرين الذين ثاروا من أجل الدين والكرامة في فبراير ومارس ٢٠١١م.

المشعة المطلوبة لتجمعكم^(١)، وكنتم مهينين بدرجة أعلى^(٢) لتوفيق الله، ولطفه وعنايته، ورعايته، والعز والنصر من عنده.

٤- تراص الصفوف: إن من أخطر الأسلحة وأفتكها بقوتكم والتي تحول بينكم وبين ما تطلبون أن تفرقوا الصفوف بالتخوين والنيل من بعضكم البعض في تسرع وظلم.

٥- الإدارة: وأمر آخر لقوتكم ونجاح حركتكم؛ تجنبوا أن تنفروا حتى من كان خارج التحرك^(٣) بالنيل منه واتهامه وتجريحه، حاولوا ما استطعتم أن تكثروا من أصدقاء التحرك، لا أن توجدوا له أعداء يمكن أن يكونوا له أصدقاء اليوم أو في الغد القريب^(٤)، أو هو فعلاً من

(١) العالم يقرؤكم من خلال هذا التجمع بما له من سلبيات وإيجابيات، وبما هو عليه من مستوى خلقي، ومستوى وعي، ومستوى التزام، وعقلانية ووعي، كل العالم يقرؤنا من خلال هذا التجمع، وكلما أجدتم في تجمعكم كلما ارتفعتكم في نظر العالم وكان التعاطف معكم. «منه حفظه الله»

(٢) وهو الأهم يا أخوان. «منه حفظه الله»

(٣) هناك داخل معكم في التحرك قد تبقون عليه وقد تطردونه، وهناك خارج من هذا التحرك قد تجتذبونه وقد تبعدونه، فأحسنوا التصرف. «منه حفظه الله»

(٤) هو بعيد الآن لكن يمكن أن يلتحم بهذا التحرك اليوم أو في الغد القريب، وبفعل ما، وبتجريحه ومهاجمته أنتم تبعدونه.



أصدقائه الذين لا تعلمون^(١).

٦. العقل والتحمل: نحتاج في هذه اللحظات مع الشجاعة والصبر والثبات إلى عقلانية وثبّت، إلى روية وإعمال فكر، ونحتاج إلى تضام والتحام^(٢).

ازدواجية معايير التعاطي بين الثورات المعاصرة (ظلم ثورة البحرين نموذجاً)

كلّ التحركات الإصلاحية والثورات التغييرية في الساحة العربية منطلقها الروح الوطنية التحررية، ومبعثها الظلم والتهميش واحتقار إرادة الشعوب الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة، وموقفنا مع هذه التيارات والثورات والتحركات لأنّها صادقة ووفية ومخلصة ومخلصة.

ومن الظلم الفاحش أن يُعترف بكلّ هذه الثورات والتحركات بإخلاصها ونزاهتها واستقلالها وضرورتها، وأنّها شريفة وعادلة ومحقة وإنسانية ووطنية ومشروعة ولها موجباتها الموضوعية الواضحة كما هو الحقّ ثمّ يستثنى مستثنى التحرك السلمي الحضاري المقاوم في البحرين من كلّ ذلك، ويتّهمه بالطائفي، ويثير حوله غبار التشكيك

(١) هو خارج التحرك الآن، وهو صديق التحرك ولكن لا نعلم أنّه كذلك، وبمهاجرتنا نسيء إلى هذا الشخص وإلى أنفسنا. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة الجمعة (٤٤٠) ٢١ ربيع الأول ١٤٣٢هـ - ٢٥ فبراير ٢٠١١م.

والتخرُّصات التي يعلم زيفها، وهو على علم بمعاناة هذا الشعب الكريم وعذابه، والعنت الذي يلاقيه على يد النظام.

على من يذهب لهذا الاستثناء أن يراجع دينه وضميره في المسألة، وأن يقول كلمة الإنصاف القاضية بذكر ألف عذر ينفي الشبهة عن هذا التحرك، والمعاناة من سوء الوضع ليست معاناة طائفة خاصة، وإنما هي معاناة شعب كامل بدرجة وأخرى، ولون وآخر.

إذا كان المطلوب للتحرك الشعبي هو الديمقراطية فهي ديمقراطية لا تهمش أحداً، ولا تلغي أحداً، ولا تُقصي أحداً، ولا تضر بحق أحد، ولا تفرض وجهة نظر طائفة على أخرى، ولا تمس هوية مذهبية لأحد، ولا تتيح لهذا أن يأكل ذاك، ولا لذاك أن يأكل هذا، ولا تقوم على الصراعات والتناقضات.

والبلد ليس بلد حكومة مذهبية على الإطلاق، ولا البلد الذي يتنكر لهذا المذهب أو ذاك^(١).

أهداف الثورات الحقّة

الهدف الأول:- تحطيم الحكم الطاغوتي:

أجل مفهوم يؤكده الإسلام -وهو مفهوم التوحيد الإلهي- إنما يركّزه في عقل الإنسان وقلبه؛ ليصنع له تفكيره ووجدانه وشعوره

(١) المصدر نفسه.



وواقعه وعلاقاته وكلّ أوضاعه، لتشف وترف وتسمو وتتعالى.

إنّه ليستحيل أن يتحوّل التوحيد في ظلّ وعي إسلامي أصيل إلى قضية فلسفية جامدة، تأكل العمر في أروقة المجلد المترف بعيداً عن أن تصنع وضعاً متقدماً للإنسان، في نفسه وواقعه الخارجي، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

لا نعرف من القرآن الكريم ولا من سنة المعصومين عليه السلام إسلاماً مفصلاً عن هموم الإنسان ومشكلاته، ومنعزلاً عن قضايا الساحة العملية، وهارباً عن مواجهة التحديات وخوض معركة الحياة.

فالإسلام الذي يقرر للإمام الحسين عليه السلام الثورة والشهادة هو الإسلام الذي يصلح أوضاع الأمة؛ الفكرية والروحية والنفسية والعملية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وصحية وغيرها، «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»^(٢) والتغيير الشامل والإصلاح الكامل للعالم كلّ العالم وللدنيا كلّ الدنيا هو محطّ النظر عند أبي عبدالله الحسين عليه السلام؛ وإصلاح الأمة الإسلامية هو الطريق للتحرير

(١) سورة الجمعة: ٢-٣.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

الشامل، الذي لا يهمل شعباً ولا ينسى أمة، وهل يراد للناس جميعاً إلا أن يكونوا أمة واحدة، مسلمة لله، مستكملة وجودها على طريقه؟! ومن سيصلح الأرض أهلها وقيمها وأوضاعها إذا لم يتم للأمة الإسلامية صلاحها؟! ومن أين سيعم الأرض الهدى وموازين القسط وقيم العدل إذا لم يتم نسف النقيض المتسلل على أيدي المخربين إلى ديار الإسلام وربوعه؟! لا بد للإمام الحسين عليه السلام أن يحطم الحكم الطاغوتي داخل الأمة أولاً، ويبعثها رسالية، ويواجه عدو الله وعدوها وعدو الإنسانية جمعاء ممن يسعى لإطفاء نور الله في الأرض في مهده ومنبعه، لتشع الأرض كل الأرض بنور ربها من بعد حين^(١).

الهدف الثاني:- الحكم بما أنزل الله تعالى:

إن الإسلام فهماً معيناً في فكر الناس، وشعوراً خاصاً في نفوسهم، وموقفاً محدداً في سلوكهم، وعلاقات عملية، وأوضاعاً سياسية واجتماعية واقتصادية، وقيماً تتلون بها ساحة الحياة، ونفسية تكبر أو تصغر، وروحية تسمو أو تهبط ليتبع إسلام الحاكمين مع خلو الجو لهم وتفردهم بالساحة، فإذا حكم يزيد ولم يكن من يفضحه فلن يكون إلا الإسلام اليزيدي والإسلام الأميركي المترشح عن ذوات من أسفل الذوات، ومنابع جائفة لا يند عنها إلا خبيث رديء آسن، وهو كفر يتبرقع بما قد يتراءى إسلاماً في البداية، فلا يلبث أن يسقط

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٣٥.



القناع ويعلنها كلمة كفر صريحة لا موارد فيها.

لذا لا بدّ أن يقف الإسلام الصادق المنتزّل على قلب محمد ﷺ في رمزه الكبير وقُدوته الأولى سيد الشهداء عليه السلام في وجه المؤامرة ليسقطها بدمه الفوار بنور الإيمان، الزخار بشعلة الهداية.

لا بدّ أن تكون الثورة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر في الدائرة الإسلامية الشاملة لصعيد الفكر والشعور والعمل والمنطلقات والأهداف والفرد والمجتمع، وأن يكون من هدف التحرك الثوري الضخم، هذا الهدف المقدّس المتركّز في سحق المؤامرة على الإسلام من الداخل، وتقديم الإسلام القرآني لكلّ الناس من خلال أوضاع حيوية متقدّمة، وعلاقات إنسانية رائعة، تكون المدرسة العملية الشاهدة على عظمة الإسلام وكفاءته في قيادة الحياة وإيجابيته وعدله ونصفه، الأمر الذي لا يتكفّله القرآن الكريم ولا أحاديث السنة المطهّرة تكفّلاً مباشراً فاعلاً، وإنما هو مهمّة الممارسة العملية لحكومة العدل الإلهي، التي تحوّل المفاهيم والأحكام والأخلاق والمشاعر التي يدعو إليها الإسلام إلى واقع عملي حيّ شاخص، وتملأ مساحة الحكم الولائي بما ينطلق من روح العدل، ويستهدف الحفاظ على المصالح العليا للرسالة وأمتها، ملتزمة في ذلك كلّ خطى السيرة القدوة المؤسّسة، سيرة الرسول الأعظم ﷺ، والسيرة القدوة الباعثة، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي السيرة التي تردّ الناس

إلى السيرة عن التشريق والتغريب والميل عن الصراط ولو بمقدار.

وما كان لكلمة الإمام الحسين المعصوم عليه السلام بد من تأكيد السيرة الثانية والتقائها كاملاً مع سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنهما لسانان ناطقان عملاً على حد واحد بقيم الإسلام ومثله كما هي في النص الإلهي المصون عن الزلل، ولتأكيد أن ما أعقب سيرة الرسول صلى الله عليه وآله من دونها عدله نسبي، وتمثيله للسيرة القدوة مأخوذ عليه أنه منقوص.

نعم كان التقويض للإسلام اليزيدي، والتمكين للإسلام المحمدي الأصيل في أكبر مساحة ممكنة من عقول الناس وأفئدتهم وأوضاعهم العملية؛ الهدف المقدس الذي هب من أجله أبو عبدالله عليه السلام على طريق مرضاة الرب العظيم.

هذا الهدف الذي صرخت به كلمات الحسين الشهيد عليه السلام ونطق به جهاده المستميت، نجده تماماً في كلمات تلميذه الأمين ومواقفه، يقول قدس سره الشريف: "إن شعبنا يعرف أننا نحارب من أجل الإسلام ومبادئ الإسلام، ونذود عن الإسلام"^(١).

"نحن طردنا أميركا لنقيم دولة إسلامية، لا أن نأتي بالاتحاد السوفيتي محلها، شعارات شعبنا تظهر هذه الحقيقة، نحن قلنا دائماً لا

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٢٧، ذو الحجة ١٤٠٣هـ، ص ٤١.



غريبة ولا شرقية^(١).

وهو الذي فجر الثورة العارمة من أجل الإسلام المحمدي الأصيل، مطلقاً تحذيراته المتوالية من الإسلام القشر الذي يختبئ فيه اللب المر الخبيث المنتن الأميركي، والذي لا يتفتق إلا عن شجرة الكفر والإلحاد الصريحين.

يقول رحمته الله: "لن نسمح بعودة أميركا وروسيا إلى إيران، وسنطبّق الإسلام الذي يريده الله"^(٢).

نعم هناك إسلام يريده الله وبه جاءت رسله ودعت إليه أوليائه، وما زال ولا يزال يحمل رايته المخلصون من عباده، وهو علم وحكمة وصدق وعدل وتقدم ورخاء وتوحيد شامل، وعبودية خالصة لله تبارك وتعالى، فيها انطلاق الإنسان إلى كماله، وفيها اعتناقه من كل الأغلال وتحرره من كل العبوديات المحققة المقزّمة.

وهناك إسلام يريده الشيطان ويدعو إليه أوليائه، ويجد أنصاره من الأراذل والصغار من طلاب الحياة الدنيا وباعة الضمير وذوي العاهات الروحية والإنسانية، إنه إسلام يزيد وأميركا وكل العملاء والأذناب والقنوات القذرة، لامتنصاص دماء الشعوب واقتيات

(١) الشهيد، العدد ٢٧، ص ٣٧.

(٢) كيهان العربي، العدد ١٤٦، الخميس ٣ ذو القعدة ١٤٠٣هـ.

تقدّرات الناس ومقدّراتهم، إنّه الإسلام الذي يقف مع الكفر على صعيد واحد في مواجهة صحوة الفكر والضمير في كل مكان، ويقف بالمرصاد لأيّ إطلالة نور للإسلام المحمدي الأصيل.

وإنّ القائد الراحل رحمه الله جدّ المجد كلّ على خطى سيده الأمام الحسين عليه السلام ثائراً وعازماً أن يميّز للعالم كلّ بين إسلام تنزّل من السماء علماً وعدلاً ورحمة وكرامة وأماناً وإحساناً، وإسلام صنعته شياطين الجنّ والإنس فكان جهلاً وظلماً وقسوة وخوفاً وإساءة وهواناً.

وبقي الهدف الإسلامي النبيل في الثورتين ماثلاً في كل كلمة، وفي كل موقف وحركة وسكون حتى آخر نفس مقدّس عند شهيد الطف سيد الشهداء عليه السلام، وآخر لحظة من حياة تلميذه الثائر البار الفقيه المجاهد^(١).

متى تكون الثورة إسلامية بحق؟

متى تكون الثورة، متى تكون الانتفاضة، متى تكون الحركة، متى تكون الدولة إسلامية؟

الجواب:

تحدّث في عالمنا الكبير ثورات، انتفاضات، وحركات تستهدف

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٣٠.



لونا من التصحيح، الإصلاح، التغيير، وتنطلق من ضغط ظالم، وظروف سيئة، ويكون لهذه الثورات حظ من صواب أو خطأ، وعدل أو ظلم، واستقامة أو انحراف.

وتحدث في عالمنا الإسلامي ثورات، وانتفاضات وحركات منها المنتسب للإسلام، والمنتسب لغيره.

وقد يكون لما انتسب للإسلام منها منطلق إسلامي، أو صبغة ما إسلامية، أو إيمان إجمالي بالإسلام، أو استئناس به، أو تحايل الاستفادة من الانتساب إليه.

وقد تؤدي الحركات الأولى أو الثانية إلى بعض الإصلاحات والتعديل في هذا الوضع أو ذاك، وتسترد بعض الحقوق، وتختلط نتائجها من السلب والإيجاب بالنسبة لما هي المصلحة الحقيقية للإنسان ومجتمعه بالقياس إلى أهدافه النبيلة الكريمة المنسجمة مع الغاية الصديق التي ينبغي أن يكون تحرُّكه الحضاري على مسارها كما هو في رأي الإسلام.

أمّا الثورة الإسلامية، والحركة الإسلامية التي يصدق عليها هذا العنوان بحق فلها شروطها الخاصة بحيث تكون إسلامية حقاً منطلقاً ورؤية وهدفاً وأخلاقية وأسلوباً ومعالجةً ومنهجاً وخضوعاً لأحكام الإسلام وتشريعاته في كل كبيرة وصغيرة تواجه الحركة، الثورة، الانتفاضة على الطريق الطويل الشائك.

والثورة الإسلامية التي فجرها الإمام الخميني رحمته الله حقيقة بهذا العنوان بصدق بلحاظ كل المقومات السابقة^(١).

الثورة إذا كانت إسلامية فهي لا تستهدف إلا عزَّ الإسلام وتحكيمه من أجل الإنسان وتكميله، وهي تدفع بالإنسان لحماً ودماً ثمناً لهذا العزِّ والنصر، محققاً لنفسه بهذه التضحية أكبر قفزة وجود في ذاته، وأكبر فرصة بيده؛ لنصر دينه وأمته بعد أن لا يكون نصر إلا بالشهادة؛ والحصيلة أنَّ الإسلام يضحّي بالإنسان بدنأً من أجله إنسانيةً وروحاً؛ تقديماً للباقي على الفاني، والأهمَّ على المهم^(٢).

(١) خطبة الجمعة (٢٧٢) ٢٧ محرم الحرام ١٤٢٨هـ - ١٦ فبراير ٢٠٠٧م.

(٢) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٥١.

الفصل الثالث:

القائد الخميني قدس في كلمات

سماعة الشيخ حجة الله

الفصل الثالث:

القائد الخميني رحمه الله في كلمات سماحة الشيخ رحمته الله

مقدمة

نحن أمام شخصية فذة بحق هي نتاج مواهب إلهية ضخمة، كما هي نتاج ارتباط مبدئي برسالة كبرى، والمواهب تُعطى، والمواهب تصنع لكنها لا تصنع العظيم والقُدوة إلا إذا ارتبطا برسالة حقيقة كبرى، الارتباط بالرسالة الإلهية الحق، ومدى الارتباط بتلك الرسالة سرٌّ كبير وراء عظمة أية شخصية فولاذية، أي شخصية بحق، استقامة أي شخصية على الخط، القدرة على العطاء الثر، القدرة على الإشعال إلى مدى أطول، القدرة على إتاحة فرصة الاستلهام للآخرين، فشخصية بمواهب كبرى مع رسالة صغيرة لا تخرج لنا عظيمًا^(١).

فالسيد الإمام -أعلى الله مقامه، ورفع درجته في الجنة- إنما هو عطاء مواهب إلهية متميزة، وعطاء رسالة الإسلام الكبرى، وهو حجة، وما معنى كونه حجة؟

هو من الأشخاص القلائل الذين يقومون حجة للإسلام على الإنسان المسلم، وعلى غير الإنسان المسلم، شخصيته تقول: هذه صناعة الإسلام، وهذه حقانية الإسلام، هذه شجاعة الإسلام، هذه

(١) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨ م - ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ.

هي استقامة الإسلام، هذا هو صدق الإسلام، هذا هو إخلاص الإسلام، هذه هي قدرة الإسلام على الصنع الجيد الممتاز^(١).

ماذا قدم الإمام عليه السلام للدين وشعبه وأمة؟

ما مقدم الناس للحياة بواحد، وما رحيلهم منها على حدٍّ سواء، يقدم قادم للحياة فيشقيها ويشقى، ويقدم آخر فيسعدّها ويسعد، والأول يميتها والثاني يحييها.

ويرحل راحل لتستريح الحياة والناس بعده، ويرحل آخر ليتعب الناس، وترتبك الحياة، يموت ميت ليتجلى بعض الظلمة مما رشح من حياته، ويتوفى آخر ليضؤل^(٢) نور الأرض ولو إلى حين^(٣).

ومن الناس من يفقد بموته دوره الكبير في محيط صغير، ومنهم إذا فقدت الأرض كلّها خيراً كثيراً، والإمام الخميني وزن كبير أحسّ بفقده وتأثر له وشعر بالخسارة الفادحة التي خلفها كلّ العالم المؤمن، وكلّ المستضعفين، لقد خدم الإمام الخميني عليه السلام الإسلام والدين كلّ، وأحسن إلى شعبه وأمة الإسلام، وللمستضعفين في

(١) المصدر نفسه.

(٢) في معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٣٨٤: "ضأل: ... يدلّ على ضعف ودقة في جسم من ذلك الضئيل، وهو الضعيف، والفعل منه ضؤل يضؤل".

(٣) ليضؤل نور الإسلام، ونور الهداية، ونور التقوى والانضباط على الخط الإلهي ولو إلى حين. «منه حفظه الله».



الأرض من أبناء العالم.

ذَكَرَ بالإسلام الشامل بعد نسيان، وأعطاه الحضور الفاعل في الحياة العامة بعد غياب طويل، وبرهن عملياً على قدرة الإسلام الفائقة على الإنقاذ، واسترداد العزّ والكرامة، وقيادة الحياة على خطّ العدل والاستقامة والإنتاج الكريم والصّعود والسّمو بكفاءة عالية فريدة لا تعرفها كلّ مبادئ الأرض على الإطلاق، ولا الأديان المحرّفة التي مال بها هوى الإنسان وتدخله الظالم عن خطّ الله؛ خطّ عدله وهداه وتوحيده.

ولقد أحسن لشعبه بإنقاذه فعلاً من هوان التّبعية إلى عزّ الاستقلال، ومن ضلالة الضّياع الذي عمل المستكبرون على إيقاعه فيها إلى هدى الانتماء الواعي الأصيل، ومن حالة الاستغلال والنّهب المفروضة عليه إلى واقع التّمتع بثرواته وتوظيفها في بناء حاضره ومستقبله، ومن التّخلف والتّدهور العلمي والثّقافي والخلقي إلى مسار النّهضة الواعية الكريمة المتفوّقة في كلّ هذه المجالات.

وقد أحسن إلى أمّته بما أرجع إليها من الثّقة بالنّفس، وأعاد إليها من وعي الدّين، ورفع من مستوى إيمانها واعتزازها وفخرها بالإسلام، وبعث في نفسها أمل التّغيير والقدرة على الخروج من الواقع المؤلم، والتحرّر من الوضع السيء الذي أوقعتها فيه الطاغوتية العالمية والرجعية المحليّة التابعة لها، وبما عزّز من شعور العالم الإسلامي

بانتمائِه الحضاريِّ العريق، ودوره الرياديِّ والرساليِّ في الأرض، وبضرورة التمرد على حالة التخلف والتبعية الذليلة التي تعيشها الأمة، والتحرر من أسرها.

وقد أقام الإمام قُدَّسُ بَرهَاناً عملياً للمسلمين على قدرة الإسلام وصدقِه وأصالته وجدِّيته وعزّه وكفاءته على تغيير الأوضاع السيئة والخروج بالناس من مأزقهم الذي تُسبِّبه الأطروحات الأرضية، والأطماع الاستكبارية، والأنظمة السياسية المهترئة.

وقد أحسن الإمام إلى الإنسانية بأن أشعر شعوب الأرض بكرامتها الإنسانية، وحقّها في الحياة الكريمة، والتحرر من قبضته الطاغوتية الظالمة، ومن عبادة الأوثان، وأنّ عليها أن ترفض حالة الاستضعاف التي يفرضها المستكبرون، وأن تتحرّك جادة في سبيل استنقاذ الحقوق المسلوقة، والكرامة المهدورة، والإنسانية المضیعة^(١).

في عين من عَظَمَ السَّيِّدُ الإمامَ ﷺ؟

فقهاء، سياسيين كبار، حملة الحكمة، أصحاب الرأي الاجتماعي الناضج، العرفاء، الشجعان، المخلصين. عَظُمَ في عين عظماء الأمة، ومن عَظُمَ في عين عظماء الأمة وقدّموه على أنفسهم فلا يَسْعُكَ إلا أن تقول بأنّه عَظِيمٌ وعَظِيمٌ.

(١) خطبة الجمعة، (٤١٠) ٢٠ جمادى الثاني، ١٤٣١هـ - ٤ يونيو ٢٠١٠م.



وعَظُمَ في عين المستضعفين، وبعد تجربة، صحيح أن المستضعفين، ولما يعانونه، قد يكبر في نظرهم أناسٌ بسرعة، ولكن أن يبقى الشخص عظيمًا في نظر المستضعفين أيام ثورته وأيام دولته وبعد رحيله، فذلك يعني أن التقييم صادق، وأن هذا التشخيص قد أصاب الواقع بصورة كاملة، حبيب المستضعفين، ليس في العالم الإسلامي فقط، وإنما صار حبيباً للمستضعفين في شريحة كبرى من مستضعفي العالم^(١).

أكبر انتصار الإمام قدس:

كان أكبر النصر عند السيد الإمام متعلماً من رسول الله ﷺ، متملماً في ذلك على أئمة الهدى من آل رسول الله ﷺ، هو الاستقامة على الخط، أكبر النصر أن تستقيم أنت على الخط، وأن تأخذ الآخرين على خط الاستقامة، هذا قبل الدولة، هذا قبل النصر العسكري، هذا قبل أي نصر؛ لأن النصر الحقيقي على كل الأصعدة، على أي صعيد لا يمكن أن يأتي من خلال هذه الاستقامة، وأي انحراف عن الإسلام ستنعكس بالسلب على اقتصادك، على سياستك، على ثقافتك، على اجتماعك، على كل بعد من أبعاد الحياة.

لقد كان الأئمة عليهم السلام وقبلهم الأنبياء والمرسلون صلوات الله

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس، مسجد مؤمن - المنامة عام ٢٠٠٩م.

وسلامه عليهم أجمعين قادرين أن يحققوا مكاسب آنية، على حساب الاستقامة، على حساب الصفاء والنقاء، لكنهم ما كانوا برسالياتهم يستبيحون -أي أن يفعلوا- لأنَّ المهمَّ والأهمَّ أن يبقى الإسلام مميزاً عن غيره، ليشهدوا له صفائه ونقاؤه من الله تبارك وتعالى، وحين يشاب الإسلام، وحين يغش الإسلام، تغيم الصورة، ويفقد الإسلام شيئاً من إشعاعه، ويختلط الجهل بالعلم والحق بالباطل، وهذا الإصرار على الاستقامة على خط الله ﷻ، وعلى أن يكون الواصل للناس من فكر الإسلام هو الصحيح، وهو النقي، وهو الصادق، من أجل معالجة كلِّ مشكلات الحياة، نحن نعرف أنَّ في الإسلام واقعية، نحن نعلم أنَّ الإسلام كُله مثالية، ولكن في الوقت نفسه نعرف أنَّ المثالية هدف، والواقعية وسيلة، ولا تغلب الوسيلة على الهدف^(١).

مميزات شخصية الإمام الخميني رحمه الله

١- شخصية يتجلَّى فيها الإسلام:

الإسلام الذي ملك على السيد الإمام عقله، وملك عليه شعوره، وقد ذاب فيه السيد الإمام لا بدَّ أن يتجلَّى في كلمة يقوها، ولا بدَّ أن يتجلَّى في موقف يقفه، فلا بدَّ أن نواجه في السيد الإمام جمالاً أخذاً من جمال الإسلام، وروعة تسرق القلوب من روعة الإسلام.

(١) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م - ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.

للإسلام جمال أخاذ من نال منه شيئاً كان عظيماً في الناس تهفو إليه القلوب، وتهوي إليه الأفئدة^(١).

٢- إنه عليه السلام صورة من علي عليه السلام:

لقد صدق الإمام الخميني مع الدين الإسلامي الذي آمن به والقيم العالية التي تشرب بها، وخطّ الغدير الذي ربّته مدرسته فكان المقdam الذي لم تهزم نفسيته الجاهلية وإن كانت عمّت الأرض كلّها برؤاها ومفاهيمها المتردية، فقد وقف ابن علي والحسين عليهما السلام موقف القرآن والسنة لا يبالي بمن قال وما يقال.

وقد صدق مع إسلامه ومدرسته في احترامه لإنسانية شعبه وأمتّه حيث أخذ بمبدأ التصويت في مهمّات الأمور كلّها ابتداءً من التصويت على النظام وثوقاً في أصالة شعبه وعطاءات تربيته الإيمانية القويمة التي تلقّاها طويلاً على يد الحوزات العلمية والمساجد والحسينيات والمواكب العزائية الفاعلة، وإيماناً بقدرة ذلك الشعب على الاختيار الصحيح الذي لا يقدّم على الإسلام شيئاً، ولا يعدل به شيئاً على الإطلاق.

وقد كان صورةً من علي عليه السلام في انفتاحه على مصلحة الأمة كلّها، وحمله لهمّ المستضعفين في الأرض جميعاً. رفع الله في الخالدين

(١) المصدر نفسه.

درجته، وجزاه جزاء الصالحين عن أمته^(١).

٣- إنه قد روي عن أمة كإبراهيم عليه السلام:

نعم حين تتجسد القضية العملاقة في الرجل العملاق؛ الرجل الأمة الحية المتصلة بالله، القانتة إليه، المخلصة لوجهه الكريم، المستقيمة على الدرب تكون الثورة وتجد قوامها، وتبقى صوتاً حياً فاعلاً على مدى التاريخ، وقد بقي النبي إبراهيم عليه السلام الفرد في حدوده المادية، الأمة روحاً إيمانية منطلقة، وبصيرة عميقة واسعة، ورؤية نافذة فسيحة، وإرادة صلبة خيرة، وعزماً ثابتاً ماضياً، وحكمة عالية راسخة، وقلباً كبيراً زاكياً، وكلمة رسالية واعية، وتوجهاً عبادياً مخلصاً، وصوتاً جهادياً ثائراً، وموقفاً مبدئياً مناضلاً، بقي يخرج أجيالاً، ويهدي أفواجاً، ويبني عقولاً ونفوساً وضمائر، ويثير عزائم، ويوقظ إرادات، ويشعل ثورات، ويحطم عروشاً من ضلال، بقي صوتاً مدوياً يشارك كفاحات الأنبياء والأولياء قبل وبعد في صناعة التاريخ، وبناء الإنسان، وتصحيح المسيرة. الركنان في الثورة؛ القضية الكبيرة في رجل، والرجل الكبير في القضية، قد تنضم إليهما نخبة وأمة من صنع القضية واشعاع الرجل وغيره من رجال القضية ومدرستها، وبهذا يكون التفجير أكبر، والنتائج أسرع وأكثر.

(١) خطبة الجمعة (١٤١) ٢٢ ذو الحجة ١٤٢٤هـ - ١٣ فبراير ٢٠٠٤م.



ذاك هو الرجل الأمة الذي كان النبي إبراهيم عليه السلام والنبي محمد عليه السلام، وعلياً والحسن والحسين عليهما السلام وكل إمام معصوم وكان بدرجة أخرى الخميني رحمته الله الشائقة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) أمة من الوعي والهدى ومواقف الإيمان الصلبة والقيم الرسالية والخط الإنساني الأصيل، أمة تطلعها إلى السماء وخطها خط الفطرة، وقصدها إلى الله عز وجل.^(٢)

توفي رحمته الله وأعلى الله مقامه فترك كلمة، ليست الكلمة التي يعبر عنها كثيراً عند موت أي عالم، إنما هي الكلمة الملحوظة الكبيرة، والهوة الساحقة، والخندق الكبير الفارغ.

نعم ملأ هذا الخندق قائد بعده رحمته الله وأيده وسدّد خطاه، وهو أهل لأن يملأ الموقع بجدارة وكفاءة، ولكن لا ينكر أن وفاة الإمام الراحل رحمته الله تركت فراغاً ينتظر ملئه رجالات من رجالات الأمة كالسيد محمد باقر الصدر الذي وافاه الأجل واستشهد على أيدي الظلمة البعثيين.

والزمن من خلال قدرة الله ومن خلال رحمة الله بهذه الأمة كفيل بأن يعطي رجالاً ورجالاً من أبناء هذه الأمة يملؤون هذه الفراغات، والموقع قد يفتقد الرجل الواحد فلا يملؤه إلا عدد من الرجال. الرجل

(١) سورة النحل: ١٢١.

(٢) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١١.

الواحد قد يكون أمة وأمة كبيرة يحتاج ملء موقعه الفارغ إلى عدد هم أمة أيها الأخوة، وسيبقى موقع القيادة يشكو من نقص من نقص جزئي ومن نقص ملحوظ حتى يأتي صاحبه الأصل الإمام القائم عليه السلام فلا يبقى فيه نقص وتكون به الأمة أعز الأمم ورائدة الأمم على مستوى الفعل^(١).

٤- إنه قُلُوبُ الرجل الحديدي:

لا بدّ أن نجد في السيّد الإمام -رضوان الله عليه- الرّجل الحديدي في غير عصبية، الرّجل الحديدي في الإسلام، بالالتزام بالحقّ، بحبل السماء، لا بدّ أن نجد فيه الرّجل القادر على مواجهة الدنيا مستمدّ قوة الموقف وصلابته من صلته بالله ﷻ. ولا بدّ أن نجد فيه الشخصية التي لا تقبل المساومة على دين، أو مصلحة دين.

نعم، فلقد كان حديدياً وصلباً جداً في التمييز بين ما هو إسلام وغير إسلام، يمكن أن يصلح وأن يهادن لكن لا على حساب الإسلام، ولا بالصورة التي تؤدّي إلى تشويه الإسلام، رسول الله ﷺ الذي أمر في سورة الجحد بالمفاصلة التامة بينه وبين الكفار، قد صالح، ولكنّها المصالحة التي لا تلامس صفاء الإسلام بشوب، وتدخل بالغش على الإسلام، أو تنال من صورته المشعة، وهكذا نتعلّم إذا طولبنا

(١) خطبة الجمعة (١٠) ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - ٨ يونيو ٢٠٠١م.



بالمصالحة أن المصالحة يمكن أن تجري على أي أمر، ولكن لا يمكن أن تجري على حساب نقاء الدين وصفائه^(١).

٥- من أشمخ عمالقة الأمة بعد المعصومين عليهم السلام:

في أمة الإسلام - أمة الخير - عمالقة في الخير من صنع الإسلام، وعمالقة في الشر على خلاف صنعه.

والإمام الخميني واحد من أشمخ عمالقة الخير في الأمة بعد المعصومين عليهم السلام، وأرسخهم قدماً في العلم والإيمان، وأشدّهم بأساً وثباتاً على الحق، وصفاء في الروح، وتوقّداً في الذهن، وتفانياً وتضحية في سبيل المبدأ، وسعيًا بجد وإخلاص من أجل وحدة الأمة، كان القائد الإسلامي الكفو المنقذ، وكان من توفيق الله لهذه الأمة أن عرفها إياه وهداها للالتفاف به - في بعضها - أيما التفاف^(٢).

٦- شخصية نادرة تتحدّى بها العالم:

هذه واحدة من الشخصيات الإسلامية النادرة، وهي شخصية السيد الإمام عليه السلام التي نستطيع أن نتحدّى بها العالم، نتحدّى بها الأطروحات الأخرى، نتحدّى بها كل طرح آخر، لنقول: لدينا مفاخر من الشخصيات التي صنعها الإسلام، والتي لا تستطيع

(١) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م - ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.

(٢) خطبة الجمعة (٦٠٥) ٧ شعبان ١٤٣٥هـ - ٦ يونيو ٢٠١٤م.

مبادئكم، وأطروحاتكم أن تقدم مثلها.

فلتعرض كل الأطروحات شخصياتها، وليستعرض الإنسان المحايد كل الشخصيات من عطاء الأطروحات المختلفة، فهل يستطيع هذا العرض وهذا الاستعراض أن يقدم لك شخصية لا تحبوا على الزمن، ولا تتقدمها شخصية، ولا تطمح شخصية أن تصل إليها كرسول الله ﷺ؟ تعجز المبادئ الأرضية كلها مهما استطاعت أن تفجر من قابليات الإنسان، ومهما استطاعت أن تدفع بعقل الإنسان وإرادته إلى الصنع، إلى الإبداع، إلى التغيير، تعجز كل تلك المبادئ والأطروحات عن أن تقدم شخصية بمستوى أحد فقهاءنا العمالقة فضلا عن المعصومين عليه السلام^(١).

٧- إنه فليس رجل رحمة:

رجل رحمة، وثورة رحمة، ودولة رحمة، رحمة ليست خاصة بالأمّة، وإنما أستطيع القول أن كل ذلك فيه رحمة للناس، الرجل هو الإمام الخميني، والثورة ثورته، والدولة دولته، السرّ في كون هذا رحمة إسلام الرجل، إسلام ثورته، إسلام دولته.

والإسلام ضرورة لإنسانية الإنسان، للحياة الدنيا، للآخرة.

وأقول لو التفّ الإسلاميون كلّهم بكلّ مذاهبهم، بالرجل،

(١) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م - ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.



بالثورة، بالدولة، والتفت بذلك شعوب الأمة لأسرع الإسلام الخطى على طريق النصر الكاسح، ولعمت النعمة الأمة والإنسانية بصورة أظهر وأوضح.

ولا نعني بالالتفاف ذوباناً مذهبياً أو قومياً، وإنما نعني به التمحور حول الإسلام العام بلا عصبية مذهبية وفكر تكفيري، وإثارة أحقاد.

وإنه لولا أن هياً الله تبارك وتعالى ذلك الرجل والثورة والدولة -وكل ذلك بفضل الله ومنه الجميل- لذلت الأمة والإسلام، وساء واقع المسلمين أكثر مما نرى.

تلك انعطافة كبرى عدلت من وضع المسلمين كثيراً، وأعطت للكفر درساً، وفرضت هيبة لهذه الأمة ولهذا الدين، ولذلك أقول بأنها رحمة للعالمين، وقد وصلت آثار الرجل والثورة والدولة النورانية إلى كل الأرض.

نعم، لولا ذلك لتعملقت الطاغوتية في الأرض أكبر من تعملقتها اليوم، وعم الفساد البر والبحر بدرجة أوسع مما هو متفش اليوم بدرجات^(١).

(١) خطبة الجمعة (٢٨٧) ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٧م.

٨- قدوة من عطاء الإسلام:

إنّ لنا لرجالاً من صنع مدرسة أهل العصمة عليهم السلام من معاصريهم، ومن كلّ الأجيال من بعدهم وهم على عدم عصمتهم، يمثّلون مفخرة للإسلام، وحججاً باهرة على عظمتهم من خلال ما اكتسبوه من عظمة وصدق وأصالة بالانتماء الحق إليه، والاستقاء منه.

خذ منهم مثلاً كثيرين ممن عرفهم هذا الجيل كالسيد الإمام والحكيم والشهيد الصدر وزين الدين وكبار الفقهاء الذين ودعوا هذه الحياة من قريب بعد طول جهاد مرير في سبيل الله، وممن لا زالوا يكافحون من أجل الإسلام فيها، وخذ منهم الشهيد المطهري مثلاً في كثير من الكمالات، كما تشهد له كلمات الكبار من أهل العلم والتقوى والإنصاف ممن عرفوه وخبروه، هذه القدوات يجب أن يكون يوم ذكراها يوم تعظيم للإسلام الذي صنعها، وتعظيم لها لإحيائها للدين والأمة^(١).

أسرار الإمام الخميني رحمته الله١- أسرار عظمتهم قدس سرّهم:

أ- جهاد النفس: سرّ العظمة في العظماء أنهم يغلبون أنفسهم أكثر مما يغلبون غيرهم الغلبة المادية، وهم في ذلك لا يغلبهم أحدٌ على

(١) خطبة الجمعة (٣٦٧) ٥ جمادي الأولى ١٤٣٠هـ - ١ مايو ٢٠٠٩م.



دين، ولا يشتري منهم أحد شرفاً، ويحدثون في نفوس الآخرين يأساً من أن يشتروا.

والسيد الإمام عليه السلام ما كانت أمريكا بائعاً لتشتريه، فضلاً عن الشاه الذي كانت عروضه العريضة مبدولة للسيد الإمام.

هناك نفوسٌ يبلغ بها كمالها بحيث لا يشتريها إلا الله، ونفوسٌ تبلغ بها وضاعتها أن يشتريها طفل، وأن يشتريها أفسق فاسق في الناس، فمن تريد أن تكون؟!

اصنع نفسك غالباً تغل، ولن تستطيع أن تصنع نفسك غالباً إلا بأن تشد نفسك إلى ذكر الله وتلجأ إليه، وتكون كما أنت قزماً وأقل من قزم أمام الله، كن لا شيء أمام الله، تكن الشيء الكبير العملاق أمام غيره^(١).

ب- العلم: علم السيد الإمام من الإسلام نصيباً وافراً مما يتأتى لرجل - لا نقول بعصمته (رضوان الله عليه) -، وبمقدار ما يعلم الإنسان من الإسلام يكون على خط العظمة، ولا أقول يكون عظيماً، فإن العظمة ليست بالعلم، وإنما العظمة بالاستجابة الحقيقية للعلم الحق^(٢).

ج- صدق العبودية: أين تكمن عظمة السيد؟ صحيح أنه كان

(١) خطبة الجمعة (١٥٧) ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

(٢) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م - ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.

له فهمه الفلسفي، كان له فهمه العرفاني، كان له فهمه السياسي، كان له فهمه التفسيري، صحيح كل ذلك، صحيح أنه كانت له حركيته، لكن عظمته لا تكمن في شيء من ذلك، وكل عظمة في نقطة من هذه النقاط إنما هي ترشح عن عظمة واحدة هي سر شخصيته العملاقة، عظمته في صدق عبوديته لله تبارك وتعالى، عظمته -كما تقدم- في ذوبانه في الله تبارك وتعالى، لو ذاب أكثر لجاء أكبر، أتلفتون؟ لو ذاب أكثر لجاء أكبر، لو كان ذوبانه أقل لجاء أصغر، لو ذاب أكثر لجاء أقرب إلى الحسين عليه السلام، أقرب منه الآن إلى الحسين عليه السلام؛ لأنه لا سر لعظمة أحد -يا أخي- إلا لقربه من الله تبارك وتعالى، والقرب من الله عز وجل إنما يكون بماذا؟ بتذلل باستكانة بخضوع بذوبان أمام عظمة الله عز وجل.

لماذا تجاوزت شخصية الرسول كل شخصيات العالم؟ بذوبانه في الله، باندكاهه أمام عظمة الله عز وجل بما لم يحصل من أحد غيره، يعني بالمستوى الذي لم يحصل من أحد غيره.

فلنتعلم هذه الحقيقة: ... نحن نحتاج دائماً لكي نضع الأمة في موقعها من التحدي، من الرد على التحدي، بمواجهة التحدي، الصمود أمام التحدي والثبات على ذلك، نحتاج دائماً إلى تربيتها، إلى مدها



بالمَدِّ الروحي، إلى الإقتراب بها أكثر فأكثر إلى الله تبارك وتعالى^(١).

٢- سرّ سموه عليه السلام:

إذا قلنا بأنَّ الإمام الخميني رجل عظيم فإنَّ العظمة في سبب من أسبابها الرئيسة إنما ترجع إلى المبدأ الذي ينتمي إليه الإنسان والمدرسة التي يتخرَّج على رؤيتها وأخلاقيتها ومنهجها وكلَّ خصائصها.

والعظمة سموٌّ في الذات فكراً صائباً، ورؤية كونية معمَّقة، وخلقاً كريماً، وقصدًا طاهرًا، وروحاً مشعَّة، وقلباً زكياً وإرادة في الخير صُلبة، وطموحاً شامخاً وهمَّة عالية.

وإنسان بهذه العظمة والسمو لا تنتجُه انتماءات الأرض، ولا يصنعه إلا الانتماء إلى السماء، لا تُعطي مثله إلا المعرفة بالله، والتعلُّق به، وحبُّه ورجاؤه وخشيته، والاستغناء به، إنَّما تُعطي مثله الاستضاءة بمنهج الله وتَمَامُ الخُضُوع إليه.

وإنسان بهذه العظمة وهذا السمو لا بدَّ أن تنشُدَّ إليه نفوس الطيبين والباحثين عن الجمال والحقيقة، والعاشقين للكمال، وإنسان بهذه العظمة والسمو لا يأتي دوره في الناس والحياة إلا كبيراً صالحاً

(١) خطاب في الثمانينات، (تسجيل صوتي).

هادياً منقذاً، وهكذا كان الإمام الخميني قدس الله سره^(١).

٣- سر انتصاره فليس:

﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٢) هؤلاء الساقطون، هؤلاء السفلة المجاهدون، هؤلاء الذين يستهونون ملايين من الناس، ويدخلون الغرور إلى أنفسهم والغفلة ويصطادونهم بسهولة ومرونة، هؤلاء هم أنفسهم مغرورون، هم أنفسهم واقعون فريسة للشيطان، لو ملكوا النفس الكبيرة، ولو ملكوا العقل المفكر، لما صاروا إلى ما صاروا إليه من نسيان الله جبّار السماوات والأرض وهم في قبضته ليل نهار، هم في قبضته ليلاً نهاراً، وإنما هي الغفلة منهم والغرور والسذاجة أن يرو من أنفسهم أرباباً، وأن يقدموا أنفسهم للعالم أرباباً ليصطادوا شباباً بعد لم يع، أو يصطادوا فتاة بعد لم تكتمل، أما الشاب الذي وعى والفتاة التي كملت، شباب الإيمان، فتاة الإيمان، لا يمكن أن يهتز وجودهما الكبير العملاق أمام عاصفة الكفر وإغراء الكفر وحيلة الكفر.

ويتراءى لهم أنهم يملكون ما يملكون وأنهم يستطيعون أن يملكوا مصير الأرض، قامت ثورة في الأرض عملاقة كل العالم مجتمع على

(١) خطبة الجمعة (٦٠٥) ٧ شعبان ١٤٣٥ هـ - ٦ يونيو ٢٠١٤ م.

(٢) سورة الملوك: ٢٠.



عداوتها - ثورة الإمام الخميني ع - فسحقت إرادة الكفر العالمية،
سحقتها قبل ذلك إرادة الله وقدر الله وفاعلية الله التي لا تقاومها فاعلية
ولا توجد من دونها وبدون إذنها فاعلية، ﴿بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ^{(١)(٢)}.

مواصفات قيادة الإمام الخميني قُدّس

١- قيادة صالحة:

السيد الخميني - أعلى الله مقامه، وقُدس سره - يقال - بحق
وبصدق - أنه القيادة التي ذابت في الأمة، وعاشت لهم والغم والضيّق
والحرج والعنت والظنى والآلام من أجل الأمة، على أن الفرص لم
تكن بيد أحد كبيرة ومواتية ومتمرغة ومتدلة كما كانت بيده -
فرص الدنيا - رحمه الله وأعلى الله مقامه.

٢- قيادة قرآنية:

كان قائداً قرآنياً مجاهداً في الله، عنيداً في الحق، طالباً للآخرة،
معلّم أمة، ومخرّجاً لأجيال على طريق الكفاح، ومدرسة هادية
للحياة.

وليس من جاهد في الله كمن ضحىّ للدنيا، وليس من كان عناده

(١) سورة فاطر: ٤٠.

(٢) خطبة الجمعة (٩) ٨ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - ١ يونيو ٢٠٠١م.

وإصراره ومكابرته على الحقّ ومن أجل الحقّ كمن كان عنيداً في الباطل، لقد كان صدام عنيداً في الباطل، فهل كان صدام عظيماً؟! وليست القوة أن تقاوم ولكن القوة أن تكون مقاومتك في سبيل الله، وليست الغلبة أن تغلب غيرك وأنت مغلوبٌ لنفسك^(١).

٣- قيادة عملاقة:

القيادة العملاقة للإمام الخميني مثلت نقلة كبيرة في عالم اليوم، وأعطت هدىً لهذا العالم، وأعطت عزة وكرامة لهذه الأمة وعلمت الدنيا دروساً لا تنساها، وقيادة الإمام الخامنائي وهو يقف طوداً عنيداً أمام إرادة الكفر العالمي كله^(٢).

٤- قيادة حجة للإسلام والمسلمين:

ذلك الرجل من حقّ الناس أن يقولوا عنه بأنه "حجة الإسلام والمسلمين" .. اللقب ليس صغيراً، اللقب كبير جداً.

متى يكون الإنسان حجة للإسلام؟ الحجة الكاملة للإسلام هو رسول الله ﷺ، هو برهان صدق الإسلام، وبرهان عظمة الإسلام، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يتّخذ من الغرب -ليسوا بسطاء، وإنما على مستوى كبير من العلم- يتّخذونه دليلاً على صدق

(١) خطبة الجمعة (١٥٧) ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

(٢) خطبة الجمعة رقم (٢٥٢) ٥ شهر رمضان ١٤٢٧هـ - ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٦م.



الإسلام وعظمة الإسلام.

حجة الإسلام، حين تُعرف شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام على عصمتها، وأنها من الإسلام، يكون دليلاً قاطعاً على عظمة الإسلام وصدق الإسلام وإخلاص الإسلام، علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يحارب بنفسه وبولده، ويُعطي كل شيء في حياته، لا يأخذ يوم خلافته شيئاً من هذه الدنيا، وإنما يعلن طلاقها.

لو قلنا عن السيد الإمام بأنه حجة الإسلام والمسلمين، بمعنى أن الإسلام يستطيع أن يقدم هذه الحجة على صدقه وعلى عظمته في مقام العلم والعمل، في الامتحانات العسيرة، وأن المسلمين لهم أن يقدموا مفاخر مثل هذه المفخرة للعالم كله ليقولوا نحن العظماء، وليقولوا نحن على صدق، وليقولوا نحن قادرون على إنقاذ العالم^(١).

٥- قيادة ذائبة في الأمة:

نعم، لقد كان السيد الخميني عليه السلام القيادة التي ذابت في الأمة، والتي داست الدنيا فضلاً عن أنها تناستها، التي ركلت الدنيا، التي تفلت^(٢) على الدنيا - وهي متمرغة بين يديها - من أجل مصلحة الأمة التي تلتقي مع مرضاة الله تبارك وتعالى ذوباناً في الله قبل أن

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس - مسجد مؤمن - المناطة عام ٢٠٠٩م.

(٢) الثقل: رميك بالبزاق، كتاب العين، الفراهيدي، ج ٨، ص ١٢٣.

يكون ذوباناً في الأمة - كما تقدم - ولا ذوبان في الأمة - كما تقدم - إلا بأن يكون هناك ذوبان في الله، والشخصية التي لا تذوب في الله لا يمكن أن تذوب لمصلحة أحد وإن حملت الشعار القومي، أو حملت الشعار الإقليمي أو حملت أي شعار آخر ضاق أو اتسع، ثم عاد ليضيق ويضيق ليتفوق في حدود الذات الصغيرة والأنا الحغيرة.

فهنا بقي واجب الإخلاص، واجب الذوبان في تلك القيادة، والأمة مهما قدمت فلن تفني بحق قائدها بعد أن يكون إنشائها على يد ذلك القائد.

٦- قيادة تاريخية:

إن الإمام الخميني رحمته الله حرك تاريخ الأمة لا ليعود ثانية إلى الركود أو يتراجع إلى الخلف، وإنما حركه ليواصل نهضة الصمود، وصمود النهضة حتى تكون الإمامة في الأرض للدين، وتحقق أهداف الرسالات الإلهية في العالم جميعاً، رغماً على أنوف المستكبرين والأذنان وجنود الشياطين المستفيدين من فتات موائد الطغاة الأكثر تجبراً في الأرض وعتواً وفساداً^(١).

٧- قيادة شمولية: «القضية الفلسطينية نموذجاً»

السيد الإمام الذي لا يتسع لروحه العالية أفق الأرض،

(١) خطبة الجمعة (١١٤) ٥ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ - ٦ يونيو ٢٠٠٣م.



وتطلعاتها وما هو أبعد مدى فيها لا يمكن أن يُوطَّر بإطار جغرافي أو قومي أو عنصري، وأن يتسع لروحه إلا الانطلاق إلى السماء، والانتماء إلى الدين الحق، والانشداد العبودي الخالص القائم على الحب والعشق للخالق العظيم، وهو بهذا يكون لكل الأمة، ولكل عبد من عباد الله فيه صلاح.

السيد الإمام ليس ابن المكان الذي وُلِدَ وتربَّى فيه، ولا ابن العرب الذين يرجع إليهم في أصله، ولا ابن قريش القبيلة العريقة التي يعود نسبه إليها فلئن كان ينتمي أرضياً لكل هذا كما هو الحال فعلاً، لكنّه بروحه العالية، وقلبه المفعم بالإيمان، وشخصيته النموذجية الطاهرة، وواقعه المجيد إنما هو ابن لعبوديته الصادقة لله سبحانه، وللدين الحق، ومنهج الإسلام، وفي انتمائه رحمته الله للأمة الإسلامية الحقّ الصدق أرضى انتماء له في الناس.

إنّه ابن هذه الأمة والمخلص لها والبار بها، وأفقّه الإنساني يبقى مفتوحاً إلى المدى الأبعد والأكثر امتداداً.

وقف مع القضية الفلسطينية وهو الشيعي الإيراني الوقفة الصادقة في دوره الفقهي، وفي دوره الثوري، وأمام حكمه، ولم يتأثر موقفه الحازم في نصرة فلسطين الإسلام والفلسطينيين بما كان عليه موقف عدد من الأنظمة العربية في مضاداته.

ووقف الموقف المعاند المكابر للاستكبار العالمي غريبه وشرقيه،

وفي وجه كل الطاغوتية في الأرض، وهو يحكم دولة فتية تحتاج إلى أن تقوم على ساق.

وقف منتصراً لقضايا المستضعفين في العالم من كل الأديان والانتماءات انطلاقاً من إيمانه بالحق وكفره بالباطل.

لم يتراجع عن خطّه الإسلامي وهدفه في إقامة الحكم الإلهي في الأرض أمام كل تحديات الداخل والخارج مجتمعة ومستشرسة. ما عدل به عن سيرة زهده وتقشفه أن حكم وملك.

حقّ على الأمة الإسلامية كلّها، وعلى مستضعفي العالم تخليد ذكرى هذا الرجل والاستلهام من سيرته، والتسليم لعظمة المدرسة التي أنجبت هذا النموذج الرساليّ الفذ، وهذه الشخصية الجليّة الكريمة^(١).

٨- قيادة ثاقبة: «يوم القدس نموذجاً»

وهذه لفظة ليست بالأمر اليسير - كانت في كلمة السيد الإمام عليه السلام حين عدّ هذا اليوم يوم مواجهة ومكافحة المستضعفين للمستكبرين، إنها التفاتة تحتزن كثيراً من الوعي، وتحتزن شديداً من الرؤية السياسية المركزة، وتحتزن عمقاً ووعياً إيمانيين شديدين، ذلك لأن قضية القدس قضية الإيمان والإسلام، قضية ارتباط البشرية

(١) خطبة الجمعة (٦٠٥) ٧ شعبان ١٤٣٥هـ - ٦ يونيو ٢٠١٤م.



بالقدس، بقيم القدس، بخط القدس... الخط الإلهي.

والصراع في الأرض بين خطين: الخط الإلهي والخط الشيطاني، والمستضعفون آلة للمستكبرين، ولقمة سائغة بيدهم إذا حكم خط الشيطان، الملايين من البشر، المليارات من البشر تتحول إلى سائمة، وتتحول إلى آلة رخيصة، وتتحول إلى آلة مستغلة، وإلى أيدي كادحة، وأدوات منتجة، لتصب في جيوب عدد ضئيل من المستكبرين، وتعطيهم آلة البطش والفساد والإفساد في الأرض، هذا كله حين تكون الحاكمية لخط الشيطان.

والأقصى لا يسجن مبنى، الأقصى مسجون قيماً، مسجون خطأ، مسجون مدرسة، مسجون اطروحة، والجهد كل الجهد ليس لتحرير الأقصى مبنى؛ إنما الأكثر من ذلك لتحريره معنى، وكل أرض الله أقصى، كل أرض الله تحتاج إلى تحرير من قبضة الشيطان حيث يسيطر على إنسان العصر الهوى، حيث يحكمه هوى المادة، وحيث يبعد ويشرد عن الله تعالى حكومات وشعوباً في أكثرها.

الأرض تحتاج كلها كالأقصى الأسير إلى تحرير، وتحريرها بأن تنطلق من أسر الشيطان وقبضة الهوى، وحاكمية الطغيان، والظلم، والبغي، والاستكبار العالمي، لتنتقل على خط الحاكمية العادلة، حاكمية الحق، والعدل، والخير، حاكمية الله تعالى، ويبقى على الأمة أن تفعل هذا اليوم وتستثمره استثماراً جيداً في وجه العدوان الصهيوني

ومؤامرات دفن القضية وتذويها^(١).

وسيبقى هذا اليوم [يوم القدس] شاهداً من شواهد عديدة على تجاوز ذلك الرجل العظيم لكل الأطر الضيقة في التفاعل مع قضايا الأمة والإنسان، وانفتاحه على هموم الإسلام والمسلمين بكل جدية وإخلاص، وعلى هموم المستضعفين والمحرومين في كل مكان، ليسجل شاهداً على عظمة الإسلام، وانفتاح الإسلام، وعدم انغلاقيته، وأن الإسلام والعقلية الإسلامية والقلب المسلم لا يؤطره المكان، لا يؤطره الزمان، لا يتفوق مع الأطر القومية، ولا الأطر الجغرافية، ولا أي إطار، إنه ينطلق مع إرادة الله، إرادة الخير والجمال، لبني الخير ويهدم الشر، ولينتصر للمظلوم، ويواجه الظالم في كل مكان، ومن أجل كل إنسان^(٢).

٩- قيادة وحدوية مبتكرة:

أ- بطل من أبطال الإسلام والوحدة الإسلامية:

ويفرض علينا الحديث عن الوحدة الإسلامية أن نحیی جهاد الإمام الخميني في هذا السبيل، وتأسيسه لأسبوع الوحدة الإسلامية وذوبانه في قضايا الأمة، وفي طليعتها القضية الفلسطينية،

(١) خطبة الجمعة (٣٧) ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ - ١٤ ديسمبر ٢٠٠١م.

(٢) المصدر نفسه.

وحقّ غدا لسعة أفقه ينتصر لكلّ المستضعفين في العالم، ويوحدهم ضدّ استغلال الإنسان للإنسان وسيطرة الاستكبار العالمي، ونهبه لثروات الشعوب وسحق الكرامة الإنسانية^(١).

ب - تُذكرنا قيادته تَدُلُّ بقيادة أهل البيت عليهم السلام في أبعادها المختلفة:

أسبوع الوحدة هو أسبوع من ابتكار أفكار القائد العظيم الزعيم العالمي المبارك روح الله الخميني - أعلى الله مقامه، ورفع الله درجته في الجنان - وقد انطلق من روح إسلامية صادقة وشفافية روحية راقية انطلق كلمة من كلمات مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي كانت من الله عز وجل لتوحيد البشرية كافة وستتوحد البشرية في يوم من الأيام ويوم الظهور المرتقب على يد القائم عجل الله فرجه.

إنّها دعوة صادقة جاءت من سليل الرسالة، لتؤكد على نصاعة هذه المدرسة وقدسيّتها وحرصها على المصلحة الإسلامية والإنسانية كلّها لتؤكد على الإخلاص وعلى الوفاء لهذه الأمة ولتؤكد على الكفاءة على إنقاذ الأمة كما سيتحقّق في اليوم القريب الذي نأمل قربهِ من الله.

أسبوع الوحدة يخاطب فكر الأمة، يخاطب شعورها، يخاطب

(١) خطبة الجمعة (٦٢) ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٣ هـ - ٧ يونيو ٢٠٠٢ م.

واقعتها بأن يعيش كل ذلك منها نقلة جريئة، ويثور على نفسه ثورة جادة؛ فيتحوّل الواقع بعد تحوّل الفكر وتحوّل الشعور، وقد يتحوّل الواقع قبل ذلك بدفع من الضرورة، لكن لا بدّ أن ينتهي إلى تحوّل الفكر وتحوّل الشعور في اتجاه صالح الوحدة الإسلامية الكبرى المباركة، وليس من مخلص واعٍ في أرض الإسلام إلا ويمدُّ يد المصافحة والمبايعة لمثل هذا النداء المبارك الميمون الذي أطلقته حنجرة من حناجر الإيمان وحناجر التقوى حنجرة روح الله الخميني عليه السلام ورفع درجته في الجنان.

ولقد كان مجيئه عليه السلام ليذكر بقيادة أهل البيت عليهم السلام، ليذكر بعد طول الفترة، وبعد نسيان القدوة، وبعد الغياب؛ غياب المنارات المشعة عن واقع الفعل العملي المتحرك على الأرض، جاء ليذكر بأصالة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبما ينبغي أن تكون عليه القيادة الإسلامية، قيادة الأمة الوسط، قيادة الأمة الرائدة التي لها الوصاية على بقية الأمم؛ وصاية الترشيد، ووصاية الهداية، ووصاية التربية والتعليم، ووصاية إقامة العدل، ونشر روح الإحسان، جاء عليه السلام ليقم حجة على الناس من جديد من خلال نموذج أصغر من نموذج المعصوم؛ ليذكر بعظمة المعصوم، وقدرة المعصوم على الإنقاذ الكامل الشامل، ومجيئه لكانه تمهيد لمجيء الإمام القائم عليه السلام و[لأن] يقع حجة من



حجج القائم عليه السلام يوم ظهوره^(١).

علاقة الأمة بالإمام الخميني قدس

١. الوفاء:

إنَّ الأُمَّةَ تتحرَّكُ عن صحوة، إنَّ الأُمَّةَ وهي تتحرَّكُ وفاءً لقائدها -ووفاءؤها لقائدها هو وفاء لها؛ لأنَّ القيادة قد تخلَّت عن مصلحتها الشخصية فلم يبق في قاموسها إلا مصلحة الأُمَّة، فالوفاء للقيادة، والولاء للقيادة هو وفاء للأُمَّة نفسها ورعاية لمصلحتها - أقول: والأُمَّة تتحرَّكُ هذا التحركُ وتعبّرُ تعبيرها الحار عن ولائها لقيادتها إنما تتحرَّكُ عن صحوة، وهذه الصحوة أعطتها إياها قيادتها، فكيف ستفي بحق قيادتها بما هو راجع لفضل تلك القيادة؟! وبما هو عائد لعطاء تلك القيادة^(٢)!

٢. العشق:

عَشَقَ النَّاسُ الْإِمَامَ وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَعِشْقُوهُ، الْجَمَالَ الْمَادِي يُعِشْقُ، وَحِينَ يَمُوتُ الْحَسَّ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ هَذِهِ الْجَنِبَةِ، لَا يَفْرُقُ بَيْنَ جَمَالٍ وَقَبِيحٍ، وَلِلْجَمَالِ الْمَعْنَوِيِّ عُشَّاقُهُ، وَفِي كُلِّ إِنْسَانٍ بَذُورٌ مِنْ حُبِّ الْجَمَالِ الْمَعْنَوِيِّ، إِذَا كُنْتُ إِنْسَانًا فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنِّي أَحَبُّ الْجَمَالَ الْمَعْنَوِيِّ، إِذَا

(١) خطبة الجمعة (١٠) ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - ٨ يونيو ٢٠٠١م.

(٢) خطاب في الثمانينات، (تسجيل صوتي).

كنت الإنسان الذي لم يشوّه، الإنسان الذي لم تفسد فطرته، الإنسان الذي لم يطغ الرين على قلبه، فلا بدّ أن أحبّ الجمال المعنوي، لا بدّ أن أحبّ العدل، أحبّ الحق، لا بدّ أن أحبّ صفات هي من صفات الله ﷻ، كالكرم، الرحمة، اللطف، ما إلى ذلك، وحين تجدني لا أحبّ هذه الجمال، فقل أن الرجل قد خسر إنسانيته، أو خسر منها ما خسر.

ولأنّ السيّد الإمام [اندك] بالإسلام، وذاب فيه، وانصنع على عينه، فلا بدّ أن تعشقه نفوس، وتهفو إليه قلوب، وتهوي إليه أفئدة، وكان ذلك حقاً وواقعاً، عشقته قلوب الملايين والبلايين، من قلوب طاهرة من أبناء الإسلام، وقلوب بقيت لها فطرة إلهية من شعوب أخرى^(١).

٣. الذوبان:

أحبته القلوب التي تحبّ الله، عشقته القلوب التي تعشق رسول الله ﷺ، ذابت فيه جموع من الناس تعبد الله تبارك وتعالى، وأحبه المستضعفون في الأرض، والمستضعفون هم الذين يتطلعون إلى العدل، والمستضعفون هم الذين ينشدون إلى الحق ولو بدافع من حاجتهم، المستضعفون هم الذين يفتشون في هذه الدنيا عن قلب يحتضنهم

(١) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م، ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.

ويصدق معهم، ولا يشريهم بثمان بخس، المستضعفون وجدوا هذه الغاية في قلب السيد الإمام اعلي الله عليه (١).

الإمام الخميني قدس وأعداؤه

١- كيف يرى مناوؤا الإمام شخصه، ولماذا؟

والسيد الإمام كما عظم في عين محبيه عظم في عين مبغضيه ومناوئيه، ومن خطره الذي يرونه، وعظمتته التي هو عليها، وقدره الشامخ، وكفاءته العالية، وإخلاصه وصدقه الإسلامي، وتصميمه وعزمه وحزمه، ومن إيمانه خافوه، عظموه فخافوه، هناك من عظمه فانجذب إليه، وهناك من عظمه فخاف منه على ملكه ودنياه (٢).

٢- ماذا فعل الإمام قدس في العالم؟

السيد الإمام زلزل الأرض تحت أقدام الطغاة ولم يهدأ لهم روع منه حتى اليوم، وسيبقى يُقلق بما ورث من وعي في هذه الأمة، ومن انشداد للإسلام، ومن تقدير للشريعة، ومن وثوق بالطرح الإسلامي، بما ورث من عزم وتصميم عند شباب الأمة، وعند جماهير الأمة، بما خلق من حالة شوق عارم في نفوس أبناء الأمة ليوم الإسلام المنتصر،

(١) المصدر نفسه.

(٢) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس، مسجد مؤمن - المناطة عام ٢٠٠٩م.

وبما أثار من روح عزّة وكرامة وإياء وشموخ في نفوس أبناء الأمة، لن يجد الطّغاة يومَ راحة وهم يعلمون بأنّ الأمة جدّ جدّها على استغلال عزّتها وكرامتها، وجدّ جدّها على أن تُقيم العدل على الأرض في أرضها، وليمتدّ إلى كلّ أرضٍ في العالم^(١).

العالم الاستكباري لا يزال يعيش حالة الارتباك التي ولّدتها له ثورةُ السيّد الإمام وانتصاره ودولته، وحالة الإرباك لا تأتي من أرض تلك الثورة فحسب، إنّما تأتي من كلّ قلب مسلمٍ عشق الإسلام، وحمل العزم الإسلامي، وتغذّى بالروح الإسلامية، وآمنَ بالهدف الإسلامي، وشعر بواجب التغيير الذي يفرضه عليه الإسلام، حين يواجه العالم الاستكباري قلوبَ الملايين المشحونة إيماناً، عزمًا من عزم الإمام، علوّ همة، وعيًّا، فهماً، احتراماً لإنسانيّة الإنسان، إنكاراً للظلم، إيماناً بالعدل، فهذا مخيفٌ لكلّ ظالم، مخيفٌ لكلّ عابثٍ بإنسانيّة الإنسان، مخيفٌ لكلّ من يُقيم مُلكه على سذاجة الإنسان، وعلى استغلال الإنسان، وتجهيل الإنسان، وعلى زرع الحقارة من الإنسان في داخل نفسه.

والسيّد الإمام بثورته، بانتصاره، بدولته، أوجدَ جيلاً من القادة الإسلاميين الذين يحملون همّ القضية الإسلامية وينافحون على طريق الجهاد من أجل عزّ الأمة ونصرتها الذي هو من عزّ الإسلام

(١) هتاف الجماهير: "هل من ناصر حسيني.. لبيك يا خميني".



ونصره^(١).

٣- من هم الذين عادوه؟

عادته الطغاة، المستكبرون، المستأثرون، فجرة الأرض، أبالسة الأرض، شياطين الأرض، ومن عدو من هذا النوع، ومن صديق من ذلك النوع تستطيع أن تعرف إجمالاً أنَّ السيّد الإمام جميل، أحبته القلوب الجميلة، ورفضته القلوب القبيحة.

نعم كان له جمال أخاذ، انعكس على شخصيته، وتوفّرت عليه شخصيته، واكتنزته شخصيته، بما كان لها من قرب لله، وتعلّق بالإسلام، كن المتعلق بالإسلام، كن قريباً من الله عز وجل، تنل كثيراً من جمال تعشقه القلوب الباحثة عن جمال المعنى^(٢).

هل رحل الإمام الخميني رحله؟

١- رحيلٌ ثائر وبقاءٌ ثورة:

رحل ولم يرحل، رحل الرجل العظيم الخميني الكبير عن وجه الأرض، وصعدت روحه -إلى رحمة الله ورضوانه، إن شاء الله- وبقي النور المشعّ للهدى في الناس، والصوت المدويّ بصرخة الحقّ في القلوب، والثورة العارمة في المشاعر على الباطل، والإحساس الغزير

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني رحله، مسجد مؤمن - المنامة عام ٢٠٠٩م.

(٢) ذكرى وفاة الإمام الخميني ٣ يونيو ٢٠٠٨م، ٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ.

الدِّفاق بالعِزَّة والكرامة والشهامة والشجاعة والإقدام في النفوس، والإيمان بقيم البذل والعطاء السخي، والتضحية والفداء في سبيل الله عند الثائرين، وقد صنعت ثورته وانتصاره ودولته ثائرين كُثراً على طريق الله.

بقي يعلم من خلال ميراث ضخم من ميراث الجهاد المرير، والكلمة الهادية، والسياسة الرشيدة، والمقارعة العنيدة، والثبات على الحق، والتوكّل على الله، وتفويض الأمر إليه، والعزم والحزم والجزم، والتواضع، والمضيّ بعد التبصّر، والتزام خطّ الشريعة، والإصرار عليه، والحبّ في الله والبغض في الله، وعدم المداهنة في الدين، والصبر على التكليف، بقيّ يعلم من خلال ذلك كلّ أجيال الأمة ما تحتاجه في مسيرة جهادها الطويل، ومواجهاتها الممتدة للظلم والضلال في الأرض كما يعلم كلّ المحرومين والمظلومين والمستضعفين في العالم أن ينتفضوا على الأوضاع السيئة المهينة التي يفرضها عليهم الطغاة المستكبرون.

تستطيع أن تقول محقاً صادقاً بأنّ الإمام الخميني قد نسّلت ثورته وانتصاره ودولته تياراً ثورياً جهادياً رسالياً واسعاً داخل الأمة متجاوزاً في سعته حدود بلد الثورة، ونسل كلّ ذلك قادة بقامات مرتفعة شغلهم ذكر الله عن ذكر غيره، وصغرت أمام هيئته وخشيته في نفوسهم كلّ هيبة، فانطلقوا في طريق التغيير الصالح لا يبالون بدم أو مدح من المخلوقين، ولا أن وقعوا على الموت، أو وقع الموت عليهم،



وسماحة السيد الكبير نصر الله هو واحد من أبرزهم، وكلُّ نظر أولئك هو لله وحده.

كما نسلت الثورة والانتصار والدولة توثباً في روح الحرية، والشعور بقيمة الإنسان على مستوى مختلف الأمم، وألفت شعوب العالم إلى عظمة الإسلام ومثله العليا، وقدرته على الإنقاذ، وتلبية أمل المستضعفين في الأرض^(١).

٢- برهان عظمة:

غادر السيد الإمام الخميني عليه السلام هذه الحياة بعد أن سجّل بمواقفه الصادقة وبطولاته الكبيرة، وإخلاصه العظيم، ووعيه الواسع، ورؤيته الدقيقة، وإرادته الخيرة الصلبة، ونزاهته وتعفّفه وتقواه، وتمردّه على جواذب الأرض ومغريات المادة شهادة حقّ ناطقةً بينة على عظمة الإسلام، وتربيته العالية، وعلى العطاء الثرّ للانتماء الصادق لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فنعم التلميذ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام والذي استطاع من خلال حياته العامرة بالكفاح والتقوى والنزاهة أن يبرهن من بين عظماء كثيرين وأدلة غفيرة على عظمة مدرسة أهل البيت صلوات الله

(١) خطبة الجمعة (٣٧٢) ١٨ جمادي الثاني ١٤٣٠ هـ - ١٢ يونيو ٢٠٠٩ م.

وسلامه عليهم أجمعين مدرسة القرآن والسنة المطهرة^(١).

القيادة بعد رحيل الإمام الخميني قدس

الإمام الخميني قدس صنع خمينياً بل خمينيين: وإن الإمام الخميني لم يرحل حتى أحيا الله به أمة من المؤمنين، وهياً رجالاً صالحاً يقود المسيرة الإيمانية الصاعدة على طريق الله مواصلاً الجهاد في سبيله بعده، ومثبتاً لأركان الإسلام في الأرض.

وإن تاريخ الإمام الخميني، وتاريخ الثورة الإسلامية في إيران والدولة المباركة ليقول للناس جميعاً أوجد رجالاً قرآنياً واحداً توجد أمة إيمانية حية أبية ناهضة فاعلة واعية مريدة صامدة سباقة على طريق القوة والكمال في اتجاه الله.

والقيادة لن تتراجع والأمة لن تنكفي، والله هو الولي الناصر، وغد الأمة المؤمنة ما جدت وأخلصت لله أفضل من يومها، والمستقبل أمامها مشرق ما اهدت بهدي ربها العظيم^(٢).

١- القائد الوفي:

ها هو اليوم القائد العظيم آية الله سماحة السيد علي الخامنئي وهو أحد رجالات الثورة المباركة وفدائبيها وناشطيها، صورة حية

(١) خطبة الجمعة (٢٠٢) ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ - ٣ يونيو ٢٠٠٥م.

(٢) خطبة الجمعة (١٨٥) ٢٤ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ٤ فبراير ٢٠٠٥م.



من الإمام الراحل الكبير وعياً وصموداً وغيره شديدة على الإسلام، ومواجهة عنيفة للاستكبار، وحنكة سياسية، ورؤية علمية، وشجاعة في الحق وأمانة على مصالح الدين ومكتسبات الثورة، وبعداً عن المحاباة، وشدة خشونة في ذات الله، نعم إنه القائل صدقاً بعد تجربة من العمل الشاهد حقاً: "ماضون على نهج الإمام حتى الرمق الاخير"^(١) ذلك الإمام الذي قال فيه عند إصداره لحكم تنصيبه رئيساً للجمهورية: "وقد من الله علينا إذ هدى الرأي العام لانتخاب رئيس جمهورية ملتزم ومكافح وعلى خط الإسلام المستقيم وعالم في الدين والسياسة"^{(٢)(٣)}.

٢- القائد الطود:

والقيادة العملاقة للإمام الخميني مثلت نقلة كبيرة في عالم اليوم، وأعطت هدىً لهذا العالم، وأعطت عزّة وكرامة لهذه الأمة وعلمت الدنيا دروساً لا تنساها، وقيادة الإمام الخميني وهو يقف طوداً عنيداً أمام إرادة الكفر العالمي كله^(٤).

(١) الثقافة الإسلامية، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١١هـ ص ٧.

(٢) الوثائق الرسمية، القزويني، ص ١١١، عن مقتل الحسين، الأمين، ص ٩٠.

(٣) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٩٩-١٠٠.

(٤) خطبة الجمعة رقم (٢٥٢) ٥ شهر رمضان ١٤٢٧هـ - ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٦م.

٣- القائد الأبّي:

في سنواتنا المحدودة وجدنا مواقف متعدّدة من مجاهدين صادقين، وفقهاء أفاض، وجدنا... السيّد الإمام وثورته الدائمة وتضحياتها الكبيرة، ودولته المباركة ومواجهتها المستمرة لأمريكا والكفر العالمي، والسيّد الخامنئي القائد والمرشد للجمهورية الإسلامية والتزامه خطّ الإمام الخميني بأصالته وإيائه وكبريائه الإيماني^(١).

القيادة الخمينية قبس من القيادة الحسينية

الكلام هنا من أجل أن تتعلّم الدنيا شيئاً من الكثير الذي تملكه قيادة الفقيه العادل الكفو، ومن الأكثر الأكثر مما تفيض به قيادة الإمام المعصوم من خلفاء الرسول الأعظم ﷺ بالحق، ومن أجل أن تتعلم الأمة من تَقَدُّم ووراء من تسير، وأي يد تبايع، ولمن تُسَلِّم أمانةً دنيّاً ودين، وأي رجل تختار رائداً وأميناً على ما تملك من مقدّرات ومقدّرات فيها وجودها الثمين.

والحديث في المورد لا يقصد أنّه يكون مستوعباً مستقصياً -ولا يقارب أن يكون كذلك، وأنّي له لو أراد؟!- ما يطرح الحديث عنه بُعدان من غير استفاضة:

● المبدئية القياسية الثابتة.

(١) خطبة الجمعة (١٨٧) ٩ محرم ١٤٢٦هـ - ١٨ فبراير ٢٠٠٥م.



• والرؤية الموضوعية المتقدمة.

١- المبدئية القياسية الثابتة

أ- الحاكمية للمبدأ الحق سبحانه:

الحاكمية أساساً إنما هي للمبدأ الذي هو كلمة الله ونهجه وأمره ونهيه؛ فمن هو الحاكم عندئذ إلا من كان يمثل تجسيدا كاملاً دقيقاً للمبدأ، وكان على مبدئية تامة هو بها والمبدأ على حدّ سواء ميزان عدل وحق لا ميل فيه ولا خلل، يرجع إليه في وزن القضايا والمواقف والأشخاص والمقدمات والنتائج على الإطلاق.

ب- الحاكمية لمن يمثل الحق تمثيلاً كاملاً وهو

المعصوم عليه السلام:

ولا شخصية تمثل الإسلام تمثيلاً كاملاً شاملاً دقيقاً وافياً كما هي شخصية المعصوم عليه السلام؛ لذا فلا إمام -إذا حضر- غيره، ولا قيادة سواه، ومزاحمته ظلم وعدوان، والتخلف عنه فسوق وعصيان، والمعصوم وحده هو الذي تحرز مصداقيته الكاملة مطلقاً لما في كلمة أبي عبد الله عليه السلام: «فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله»^(١).

(١) الإرشاد، المفيد، ج ٢، ص ٣٩.

ولما كان المعصوم بتمامه من صياغة المبدأ فطاعته ومتابعته إنما هما طاعة ومتابعة للمبدأ، وحاكميته حاكميته، فما هو الحاكم في الناس عندئذ ليس إلا المبدأ.

ج- المبدئية القياسية للفقهاء في غياب المعصوم عليه السلام:

تلك هي المبدئية القياسية المطلقة، وهي شرط الإمامة في حضور المعصوم عليه السلام، وفي غيابه يكون التَّنَزُّلُ بإذن الدليل الشرعي إلى مبدئية قياسية دونها؛ تلك المبدئية التي يدخل في قوامها بعد الفقهة والعدالة والحنكة والخبرة والرؤية الإسلامية في مختلف الأمور، والمستوى النفسي المتميز وتكامل الشخصية بكل أبعادها بحيث يتحصّل من متوسط هذه المواهب والمقومات ما يقدم هذا أو ذاك بعينه لموقع القيادة لتفوق متوسط ما هو عليه بما يدخل في صلاحية الموقع بالنسبة إلى غيره ممن تكون له تلك المعطيات بدرجة أو أخرى؛ ومن صلبها الفقهة والعدالة.

تجليات المبدئية في القيادة الربانية

للمبدئية في صاحبها تجليات لا تخفى في ساحة العمل وعند التحديات، ولتتابع بعضاً من هذه التجليات استرشاداً واستنارة في الإمام المعصوم الحسين عليه السلام، وفي الفقيه الورع الكفؤ القائد الراحل قدس:



أ - التحمل العلمي للمبدأ:

١- معرفة الإمام الحسين عليه السلام بالدين:

الإمام الحسين عليه السلام واحد من الأمناء التامين على خزائن علم الرسالات وهو وارث النبيين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو من ثقل العترة الذين ثبت قول الرسول صلى الله عليه وآله، فيهم: «إني تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١)، وهو الداخل في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس -ومنه الجهل- وطهرهم تطهيراً، فلا كلام في تمثيله عليه السلام الإسلام تمثيلاً علمياً كاملاً، وفي مرجعيته المطلقة في تلقي واقعه القطعي عقيدة وأحكاماً ومفاهيم وخلقاً وتفسيراً وتأويلاً.

٢- معرفة السيد الخميني تدوّن بالدين:

وأما السيد الإمام فالقدر الذي لا كلام لأحد فيه هو أنه من الصفّ الأمامي من فقهاء الطائفة الذين لا يعدلهم فقهاء، وواحد من متضلعي الفقه والأصول، وغواصي الفلسفة، وهو ربّان في العرفان، ومن أبرز من تهيأ له فهم الإسلام الشامل في أبعاده المتعددة في

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٣، ص ١٠٦.

صورتها المترابطة بعيداً عن النظرة التجزيئية الضيقة داخل الإطار الفقهي الخاص، أو الإطار الإسلامي العام، وبعيداً عن مؤثرات الهزيمة النفسية وضيق الأفق الموضوعي والنظرة التقليدية الساذجة، مع استرفاد البصيرة الفقهية من نقاوة الروح وصفاء السريرة وصدق النية؛ وقد أثرى المكتبة الإسلامية بكتبه العلمية وكتاباته المعمّقة ونتائج قلمه المبدع والمدقق في مجالات العرفان والأخلاق والفلسفة والفقه الاستدلالي وأصول الفقه والحكومة والشعر^(١)؛ هذا إلى جانب خطبه وخطاباته طوال عمر حركته المباركة وثورته المظفّرة وحكومته العادلة، وفيها الحكمة، والتربية، والفهم الاجتماعي الدقيق، والنظرة السياسية الحاذقة، والبعد الروحي المتألق.

ب - الاندكاك في المبدأ:

الاندكاك في المبدأ مظهر القيادة الصادقة:

من أبرز ما يظهر المبدئية النفسية الصادقة في القائد أن تغيب في مواقفه وتأكيداته شخصيته وراء شعاع المبدأ، لا أن يغيب شمس المبدأ وراء شخصيته؛ فالذات التي تتصنّم وإن رفعت راية المبدأ فإنّها تتخذ من ذلك طريقاً لاستراق عظمة المبدأ وقديسيته ومهابته في العقول والنفوس، حتى يكون الاحتلال الكامل لمواقع المبدأ المتقدّمة، فتكون

(١) الثقافة الإسلامية، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١١هـ ص ٦٨-٦٩.

القدسية والعظمة قدسية للقائد أولاً وبالذات ثم للقضية ثانياً وبالعرض إن لم يقتصر الاجلال والتعظيم على شخص القائد وينس المبدأ.

أما الذات التي تزكى فأول ما تطارده في نفوس الاتباع أن تتعظم ليصغر المبدأ، وأن تذكر لتُنسى الفكرة، وأن يتجاوز بها حد الفقر والإمكان ويرتفع بها عن صعيد الرقية وذل العبودية؛ فكلما كاد أن يتسلل إلى نفوس الاتباع شعور كاذب برد النصر إلى تدبير القائد وعظمة مواهبه، انقض على هذا الشعور يحطمه وينسفه ويحل محله توحيد الله، ويرد العقول والقلوب لرؤية بارئها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾^(٣).

نعم، القيادة الإسلامية الكفوءة الصادقة تبهر وتسحر، فما لم ير

(١) سورة الكهف: ١١٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٣) سورة الجن: ٢٠ - ٢١.

المبدأ الذي يمدّها بالعظمة والجمال يقف النظر عندها ولا يطلب المزيد في مسؤوليتها أن تشهد العشاق جمال المبدأ الذي يمدّها وعظمته التي تسترشد منها بما هي فيض الله ونعمائه ليكون التوحيد ويكون الإخلاص والتسبيح والحمد لله.

لذا ترى الضراعة والاستكانة وإظهار الفقر والضعف أمام الله تبارك وتعالى سيرة دائمة لكل قائد إسلامي حق من رسول أو إمام أو فقيه، وفي كل مواقع القيادة على تفاوتها إسراراً وإجهاراً، ولكل من الإسرار والإجهار في المورد شأن وأي شأن؟!

١- الاندكاك في المبدأ عند الإمام الحسين عليه السلام:

هذا أبو عبد الله عليه السلام يقدم لنا دروسه الثرة في هذا الميدان الكبير؛ فمن أول نصوص الثورة هذا القول لأخيه محمد بن الحنفية: «ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وما توفقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»^(١).

وقال وهو يسلك الطريق الأعظم إلى مكة في خروجه من المدينة لا يلوذ بفرار إلى طريق غامض لواذ المرتجفين: «لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله، تالياً قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٣٠.



رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١)»^(٢)، مبدئياً ضعفه إلى الله والخطر الموضوعي الذي يتهدده، معرضاً عن ذكر صلابته وعلو همته وإيائه.

وقال وهو يخطب خطبته اللاهبة في مكة: «رضا الله رضانا أهل البيت»^(٣) فما ينبغي أن يتوجه إليه الناس كل الناس إنما هو رضا الله الذي يقع رضاه عَلَيْهِ السَّلَام في طريقه، وما على القلوب أن تنشغل به عمّن سواه؛ إنما هو الله الذي لا يُطلب إلا رضاه، ورضاً فيه رضاه توصلاً إليه.

ويقول في خطبته الثالثة أمام الحرّ وجنوده: «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم»^(٤) واللواذ بالله، وإليه اللجأ والانقطاع، وها هو يمدُّ يد الضراعة إلى الله تبارك وتعالى في أصحابه وأهل بيته: «اللهم إنا عترة نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقد أزعجنا وطردنا وأخرجنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين»^(٥).

(١) سورة القصص: ٢١.

(٢) الإرشاد، المفيد، ج ٢، ص ٣٥.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٦٧.

(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

وعندما يجد تكاثر القوم عليه ينقطع إلى ربه قائلاً: «اللهم أنت
ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة...»^(١)، واسمعه وهو يختم
خطابه في الجيش الأموي بلغة المستخف بالأعداء وما يتهددونه به
من الموت مطمئناً إلى رعاية الله ولطفه، متعلقاً بحبته وطاعته: «وإن
لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا
تُنْظِرُون﴾»^(٢)، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ﴾^{(٣)(٤)}.

وعندما يأتي جوابه أبيّاً صارماً على قوله قيس بن الأشعث: "أو
لا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل
إليك منهم مكروه، قائلاً: «لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا
أفرّ فرار العبيد»^(٥)، تجده يعوذ بربه الكريم متذللاً بين يديه: «عباد الله

(١) الإرشاد، المفيد، ج ٢، ص ٩٦.

(٢) سورة يونس: ٧١.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، ص ١١٦، وتاريخ الطبري، ج ٤،

ص ٣٢٢، والكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦١.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ١٩١.

إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»^(١).

ذلك هو الإمام الحسين عليه السلام لا يكسره أمام الخلق شيء، وكله انكسار أمام الخالق، وهو الصمود والفولاذية موقفاً وكلمة أمام تحديات المبطلين البطّاشين، إلاّ أنّه القلب المرتجف المرتعش بين يدي الله عز وجل على مرأى العدو والصدیق، مظهرّاً ضعفه ووهنه أمام ربّه في أشدّ المواقف استفزازاً لأننا معلناً حقيقة أنّه لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وحتى عندما يعلن إباءه وشموخه الكبير فيقول: «هيهات منا الذلة»^(٢) إنّما يرجع الأمر إلى الأدب الذي أدبه به ربّه والرعاية التي يراعاه بها: «يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت...»^(٣).

٢- الإندكاك في المبدأ عند السيّد الإمام رحمته الله:

هذا التغييب للشخصية وراء عظمة القضية تطالعنا به مواقف الإمام الراحل وهو يعكس أنوار السيرة المعصومة من خلالها، انظره متمشياً مع قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ

(١) مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، ص ١١٦، وتاريخ الطبري، ج ٤،

ص ٣٢٢، والكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦١.

(٢) مثير الأحران، ابن نما الحلبي، ص: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه.

تَوَّابًا^(١) إذ يلفت نظر شعبه أن ليس له ولا للشعب في الأصل من الأمر شيء، فيخاطبه: "علينا أن نشكر الله الذي منّ علينا فأنعم على هذا البلد بذرة من قدرته الأزليّة فأصبحت قدرتكم اليوم قدرة إلهية لا تقبل الضرر"^(٢)، وانظره ينطلق بالأفئدة إلى بارئها دون أن يقطع عليها طريقها إلى الحقّ تبارك وتعالى: "إنّ الله هو الذي غير قلوب أبناء هذا الشعب بين عشية وضحاها، وجعل الشعب كلّ يقف بوجه القوى الشيطانية الكبيرة ويكفّ أيديها عن بلادنا، وإنّها القدرة الإلهية التي ألهمت أعزاءنا الصبر والصمود"^(٣) ويمضي قائلاً بعد كلمات: "وإنّها القدرة الإلهية التي جعلتكم أيها الشباب في خدمة المستضعفين وفي مؤسسة المستضعفين.. إنّ الله تبارك وتعالى بقدرته وعنايته وهب القوة لأبناء شعبنا وجعلهم يعملون في رحابه"^(٤) ويقول في هذا السياق: "وإنّها لقدرة الله تبارك وتعالى التي جعلت شبابنا يعشق الشهادة"^(٥).

وها هو السيّد الإمام يتجاوز بآمال الناس وأمانيتهم كلّ الأوزان والأحجام ليشدّها بما لله الأمر وحده: "فلو غاب رجائي، ولو غاب

(١) سورة النصر: ١-٣.

(٢) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٥، ٢٩ صفر ١٤٠٤هـ.

(٣) صوت الأمة، العدد ٢٦، ٨ صفر ١٤٠٢هـ.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.



الآخرون فإنّ الله موجود^(١) ومَن يعينهم رضوان الله عليه من الآخرين نفسه وتغاضى عن هذا الذكر لما يتضمنه من الالتفات إلى النفس وخصوصيتها.

وها هو يطارد الصنمية في شعور القوات المسلحة: "وعلى قواتنا المسلحة في جبهات القتال أن تعلم بأنّها تقاتل في سبيل الله لا من أجل رئيس الجمهورية ولا من أجل رئيس الوزراء، ولا من أجل الآخرين"^(٢) وهو يدخل هنا نفسه أيضاً في الآخرين إمعاناً في صرف النظر عن الذات.

ولتقارن الأمة في كلّ بلادها بين هذه الكلمات التوحيدية وبين الشعارات التي تغرس في أعماق وأفئدة أبناء القوات المسلّحة هنا وهناك الولاء للحزب أو الفرد، وإذا ذكر الله معه فإنّما يذكر ذكراً إعلامياً توصلياً.

واسمعه مرةً أخرى في هذا السياق: "إنّ جمهوريتكم الإسلامية خالدة لأنّ سندها الله، ولأنّكم أقمتموها بسواعدكم القويّة من أجل خدمة دين الله، فهي لذلك ستبقى إلى الأبد ولا خوف عليها من أيّ شيء"^(٣).

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٣، ذو الحجة ١٤٠١هـ، ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صوت الأمة، العدد ٢٠، ذو القعدة ١٤٠١هـ، ص ٩.

ج - الذوبان حباً في المبدأ:

الذات التي ترى ذاتها مفصولة معنىً وقيمة حاضراً ومستقبلاً عن المبدأ قد تلتقي مصلحةً معه وقد تنفصل؛ فإن وقعت مصلحة القضية جسراً لمصلحتها فذاك، وإلا فلا أمة ولا مبدأ ولا قيم؛ لذا ما لم تذب القيادة حباً في المبدأ ويملك عليها وعيها وشعورها، ويتمثل وجودها في وجوده فإنما يكون الظهور لها على حسابها، ويكون الحساب لمصلحتها لا لمصلحته، ولشخصيتها لا لشخصيته؛ فذاك التغييب لشخصية القيادة في شخصية المبدأ، والتأكيد لحجمه ووزنه وقيمه والتفاني في وجوده إنما هو شأن قيادة التحمت وجوداً بوجود المبدأ وهامت فيه، ولم تر لها وجوداً ولا حياة على انفصال منه، وإذا كانت كذلك لم يكن مبلغها أن تهون عليها التضحية في سبيله فحسب، وإنما ترى موتها حياة إذا كان فيها حياته فيهنأ الموت وتلذذ المتاعب.

ومن هنا رأى سيد الشهداء عليه السلام شهادته وشهادة أصحابه فتحاً: «ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح»^(١) ورأى من شدائد الألم الجسدي والنفسي في ظلّ نشوة الروح وغبطتها أمراً هيناً: «هون [علي]»^(٢) ما نزل بي أنه بعين الله»^(٣) وكان يعيش الروحية الناطقة بمؤدى هذين

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٣٠.

(٢) هكذا في المصدر.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٥، ص ٤٦.



البيتين:

تركت الخلق طراً في هواك وأيتمت العيال لكي أراك
فلو قطعني في الحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك
ذلك الحب العارم لم يبق في يد الإمام الحسين عليه السلام شيئاً إلا
وضحى به في سبيل الله، ومن أجل عزة الإسلام سعيداً رضىً وأن
تتفنى روحه الطاهرة بذكر الله الجليل الجميل الكبير المتعال، وهو
على مقربة من لفظ النفس الأخير مسبحاً مقدساً حامداً شاكراً واثقاً
راغباً لائذاً متملقاً موحداً صادقاً، في مناجاة متأججة تنطلق لاهبةً
من الروح الصاعدة إلى رضوان من لم يشغلها يوماً همٌّ عن رضاه.

وتلتقينا في تلميذ عاشوراء وخريج مدرسة الحسين عليه السلام السيد
الإمام قدس روح الفداء في سبيل الله بلا شرط، والتضحية من أجل
الإسلام بلا حد؛ ولقد واصل الدرب الطويل لم يهن ولم يكل ولم يعله
سأم ولا ضجر ولا فتور، وما شكى يوماً من فداحة الخسائر المادية
أيام الثورة، وأيام الحرب المفروضة، وفي عمليات الاغتيال، بل كان
يرى في كل ما يحدث من تضحيات وعطاء كبير مفخرة وعزاً، وفي
روح الشهادة المتحفزة تقدماً ونصراً وحياة ومجداً، وما كثرت
التضحيات الهائلة في نظر له، وإنما دأبه أن كان يستقل الكثير في سبيل
الله.

يقول قدس في صبيحة اليوم الثاني لاستشهاد محمد علي رجائي

ومحمد جواد باهنر -رئيسي الجمهورية والوزراء ذاك الوقت-: "فالشعب الذي يعتبر نفسه وكلّ ما يملك لله ﷻ ويعتقد بأنّ الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد، مثل هذا الشعب لا يمكن لأحد أن يتحداه مطلقاً"^(١)، وسيّدنا الكريم من أوائل أبناء الشعب الذين يعتقدون بأنّ الرحيل عن هذه الدنيا نحو الخالق والمحبوب هو الهدف والمراد.

ويضيف في السياق نفسه: "فخطأ العدو يكمن في عدم معرفته بالإسلام، فالذين يحتضنون الشهادة ويعانقونها كما يعانقون الأحبة، مثل هؤلاء لا تستطيع أيّ قدرة الوقوف بوجههم"^(٢)، فالشهادة التي تعني أكبر طفرة في وجود الذات وتحولها إلى إشعاع من إشعاعات الإسلام، وتعني لقاءً أبدياً روحياً بجمال الله وجلاله، وفوزاً برحمته ورضوانه هي هدف يُطلب لا مخوف يُحذر.

والتضحيات عنده ﷺ في سبيل الله بلا حدّ كما تقرّره كلمته: "ويجب أن ندافع عن هذا الدين ولو قتلنا جميعاً"^(٣) قتل للجميع في إيران، أو في أيّ بلد آخر فيه حياة الدين وإنقاذ الأرض من الضلال، وفيه رضا الله، وعزّ الإسلام وهيئته وحيث لا تبديل يدخل في القليل

(١) رسالة الثورة الإسلامية العدد ٣، ذو القعدة ١٤٠١هـ ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صوت الأمة، العدد ٢٠، ذو القعدة ١٤٠١هـ ص ١١٨.



ولا يستكثر، ولا محذور ولا مخوف حيث يكون القصد لوجه الله والعاقبة رضوانه: "إِنَّ اللَّهَ معنا، نحن نعيش مع إسلامنا ونعمل لله، ولماذا يخاف من يعمل لله؟ وممن يخاف من يسير في طريق الله؟" (١).

والجهاد مستمر وتمزيق الأجساد لا يمثل تهديداً ما كانت مصلحة الإسلام في المواجهة: "نحن لن نخضع ساعة واحدة للظلم، دع الأسلحة الأمريكية والإسرائيلية تمزق أجسادنا، فنحن مصممون على الجهاد ولا يُرعبنا أي شيء أبداً" (٢).

وإنَّ الشهادة لغنيمة الأحرار ومحطَّ أمل المتقين من ذوي الشهامة، ولا وحشة على الطريق، طريق الله ولقائه ولو خلا من السائرين: "لقد وضعت دمي وروحي الرخيصة على الأكف في انتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق وأداء فريضة الذود عن حياض المسلمين، ولتكن القدرات والقوى الكبرى وعملاؤها على ثقة بأنَّ الخميني سيواصل طريق الجهاد ضدَّ الكفر والظلم والشرك وعبادة الأصنام حتى لو ظلَّ وحيداً" (٣).

ويظلَّ الإسلام ومقتضى مصلحته هو المنظور الوحيد في التعامل

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٢٧، ذو الحجة ١٤٠٣هـ، ص ٤٠.

(٢) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ١٢٢، ١٤١٠هـ ص ١٥.

(٣) البديل الإسلامي، العدد ٣٤، ٢٦ ذي القعدة ١٤٠٩هـ عن مجلة الوحدة الإسلامية.

مع الأحداث؛ وإذا هدد الإسلام في صلب وجوده لم يستثن ثمن لانقاذه، يجيب عليه على مجزرة الفيضية عام ١٩٦٣م قائلاً: "إنّ مبادئ الإسلام معرضة اليوم للخطر، القرآن والدين في خطر، ومن هنا فالتقية حرام والكشف عن الحقيقة واجب مهما كلف الأمر"^(١).

د - التحلي بأخلاقية المبدأ:

أخلاقية المبدأ قد تكفّ اليد عن نصر قريب غير مكلف، وتفرض الاستعلاء على فرص كبيرة مواتية حفاظاً على الأصالة، وإيقاءً على النقاوة، وهي سرُّ الخلود وأساس الدور المطلوب من المبادئ.

وقد ترفع رسولٌ وعي الحسين وأخلاقيته الكريمة مسلماً بن عقيل على نصر فيه رائحة الخيانة، وسقى شهيد الطف عطشاناً أعداءً جاءوا يطلبون دمه ظلماً من ماء يمدُّهم ببقاء الحياة، ووقف الثائر الحسيني وقد دكت صواريخ صدام مدنه وقراه وحصدت الآمنين، يزود عن كل مدينة وقرية في العراق قذيفة تنالها من جنود الإسلام، أو موتاً يلحق بريئاً واحداً، وإن صنع ضرب المدن العراقية ضغطاً على الجيش المقابل.

"إنّ انتقامكم يجب أن تأخذوه من صدام ومن حزب البعث، والآن

(١) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ١٢٢، ١٤١٠هـ ص ١٥.



أنتم في عملياتكم تأخذون الانتقام احذروا من أن تطلقوا قذيفة واحدة على مدنهم، إنَّ مدنهم هي كمدننا، فكما هي بهبهان مظلومة كذلك هي البصرة مظلومة أيضاً ومندلي مظلومة، إنَّهم كلَّهم مظلومون^(١).

وتلازم الأخلاقية الإسلامية السامية هذا القائد الرسالي الفذَّ في أصعب الظروف وأشدّها ضغطاً، وفي الوقت الذي أجمع فيه الاستكبار العالمي على القضاء على إيران الإسلام وثورتها الإسلامية المباركة عن طريق العدوان الصدامي المخطط والمدعوم عالمياً؛ فلا هذا الإجماع والدعم، ولا التهور والانفلات الجنوني في العدوان الصدامي على المدنيين الآمنين بأسلحة الفتك والدمار، وخرقه لكلّ الموازين والقيم إلا قيم الغاب وحضارة الغرب الحيوانية المتهتكة، فلا هذا ولا ذاك استطاع أن يحيد بالقائد المبدئي الصلب عن أخلاقه وقيمه وتساميه: "نحن يجب أن نحفظ الجوانب الإنسانية حتى الموت والشهادة"^(٢)، "إنني أريد أن أقول إنَّ حراسنا هم أعزاء جداً علينا، وكذلك هم القوات المسلحة، ينبغي أن يعوا وأن يعرفوا أنَّ السلاح الذي يحملونه يجب أن لا يصحبه غرور"^(٣).

إنَّ الشخصية الفولاذية هي التي لا تنهار أمام عدو وبطشه، ولا

(١) الشهيد، العدد ١١٧، ٢ ربيع الأول ١٤٠٤هـ، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

تستطيع استفزازاته أن تميل بها شيئاً ما عن خطّ مبدئيتها؛ أمّا الذي يستطيع أن يصمد ويحارب ولكن بغير قيمة فهو ضعيف منهار؛ فالسيدّ الإمام كبير جداً وحديدي جداً بكلّ معاني الكلمة وأبعادها، وإنّه ليرى القوة كلّ القوة في الوقوف مع المبادئ مهما كلف الأمر وأنّ الضعف والانهيار في أن يستفزّك عدوك للتخلي عن قيمك: "إنّ قصف المدن الإيرانية واستشهاد أعزائكم يجب أن لا يفقدكم السيطرة على أعصابكم وتندفعوا إلى الانتقام لذلك... ويجب أن تدركوا جيداً بأنّ عليكم أن لا توجّهوا حتى رصاصة واحدة إلى المدن العراقية"^(١) "وإنّني أقول لأولئك الأبطال الذين ينزلون الضربات الساحقة بصدام ومرتزفته بأن قوّتكم وقدرتكم يجب ألا تكون دافعاً للانتقام خلافاً لما تنصّ عليه الأحكام الإلهية"^(٢)، وما أروع ما تسجله كلمته الآتية في نفس السياق من صرامة مبدئية وصدق رسالي وخلق نبوي كريم، يأبى أن يطلب النصر بالهزيمة والحقّ بشيء من الباطل الوبيء: "إنّ الجمهورية الإسلامية ستواصل التزامها بالجوانب الإسلامية والإنسانية مهما كلف الأمر حتى لو كتبت لها الشهادة أو الموت على هذا الطريق، فإنّ جمهوريتنا جمهورية إسلامية، وإنّ الإسلام هو الذي يحكمها، وإنّ

(١) صوت الوحدة الإسلامية، العدد ٤٦، محرّم ١٤٠٤هـ ص ٢.

(٢) المصدر نفسه.



المقاييس لدينا هي مقاييس إسلامية بحثة^(١).

هـ - الشدة في ذات الله:

لا تكون مبدئية ما لم تكن نفس تتحمل ثقل المبدأ في كل الظروف، وتستعصي على المهادنة للقريب والبعيد في سبيله، وتتمرد على الرغب والرهب في الذات وفي الحبيب وفي الصديق وفاء للأمانة ونهوضاً بالمسؤولية، ومستوى آخر هو الأليق بموقع القيادة ذلك الذي لا يجد أي معاناة داخلية وهو يقدم مصلحة المبدأ على كل شيء؛ لأن أي شيء لا يملك أن يزاحم موقع المبدأ في نفسه أو يقاربه؛ فكل ما له حب واحد، واحترام واحد، هو منبع كل حب وكل احترام آخر؛ ذلك هو حب المبدأ واحترامه المترشح عن حب الله وإجلاله. والقيادة أمر ثقيل مرهق للعظماء، إن يتحمّله متحمّل فمن ذلك المستوى، أو ممن لا يأبه لدين ولا معيار عدا هواه وسفاهه.

مضى الإمام الحسين عليه السلام لا يلوي على شيء في طريق الشهادة وقد حاولت دنيا الأعداء والأصدقاء وشفقة المشفقين، وشماتة الشامتين، وأمنيات المغرضين، وعويل أرامل المستقبل ویتاماه، وتحذيل المخذّلين، وخيانة الخائنين أن تستوقفه في نقطة وأخرى من الطريق؛ إلا أنّها لم تجد منه الرجل الذي يسمع شيئاً من ذلك فضلاً

(١) المصدر نفسه، ص ٧.

عن أن يسبب له موازنة ومراجعة.

وها هو قائد الثورة الشعاع لا يزايل بصره مرضاة ربه، ولا يرمي بطرفه إلى غير أمر الله ونهيه، وكأنه ليس في دنيا الناس برغائبها ومخاوفها، وما تعارفت عليه من مطالبات وتمنيات ومجاملات تهدم من المبدئية ولا ترممها.

هذه كلمة، وكم تحمل هذه الكلمة من انقضاظ عفيف على المؤلف الذي قد يؤلم الكثير من الطيبين -طيبة بلا دقة- أن يتجاوز، فكيف بهذا الانقضاظ الشديد: "وأخيراً يجب أن أقول هذا الكلام والله يعلم بذلك، بأنني لست شديداً على الناس العاديين بقدر ما أكون شديداً على علماء الدين الفاسدين، فالساواك عندي أكثر احتراماً من علماء الدين المنحرفين"^(١)، وكلمة أخرى موجهة للسيد رجائي الذي يضع فيه ثقته: "في هذا اليوم يجب أن أقول شيئاً إلى السيد رجائي كالذي قلته إلى الرئيس السابق، إن منصب رئاسة الجمهورية سيؤدي إلى الضلال إذا أصبح همّاً دنيوياً لنا"^(٢)، ويضيف مخاطباً له: "لقد كنت بالأمس رئيساً للوزراء وقبلها وزيراً وقبلها معلماً وقبلها طالباً ولا يمكنك التنبؤ بما يصيبك بعد ذلك، فلربما انفجرت هنا قنبلة وقُضي على الجميع، إذا كان الأمر كذلك فلماذا يختلف الإنسان قبل وبعد تصديّه لمنصب رئاسة

(١) الشهيد، ٢ ذي الحجة ١٣٩٩هـ، ص ٨٥.

(٢) الشهيد، ١٨ شوال ١٤٠١هـ، ص ٢.



الجمهورية؟ إنَّ من دخل نور التوحيد إلى قلبه يرى جميع العالم شيئاً صغيراً جداً أمام عظمة الباري عزَّ وجلَّ" (١).

ويقول في السياق نفسه: "فلو لم يعمل رئيس الجمهورية طبقاً للإسلام فإنَّ ثلاثة عشر مليوناً سيحاسبون في اليوم الآخر، وإذا وطئت قدمك طريق الضلال فإنَّ الثلاثة عشر مليوناً سيهتفون غداً بالموت لك" (٢).

هذه مساحة وفي مساحة أخرى يقول لرسول البابا يوحنا بولس الثاني: "لماذا لا يفكر قداسة البابا في حماية الشعوب المستضعفة في العالم" (٣)، "وكنا نتوقع أن يسأل كارتر ويستجوبه لماذا سلطتم هذا الشخص -أيَّ الشاه المخلوع- على هذا الشعب؟ وأن يسأل كارتر الآن لماذا أخذتم شخصاً خان وأجرم خلال أكثر من ثلاثين عاماً واحتفظتم به؟ وتريدون التآمر من هناك؟" (٤).

وكانت من السيّد الإمام فتوى ليس غيره أعلم بما تكلف من ثمن، ولكنه الرجل الذي لا يغلو في نظره من أجل عزّة الإسلام والذود عن حماه ثمن، فانطلق في فتواه بإعدام سلمان رشدي مبدئياً، وثبت

(١) المصدر نفسه، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشهيد، العدد ٣٠، ٨ محرم ١٤٠٠ هـ ص ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨.

عليها فولاذياً، وميزته في هذا الموقف ككل موقف له الخشونة الصلبة في ذات الله، وقد وهم الكفر العالمي أن إعلامه ومختلف تهديداته وضغوطه يمكن أن تردّ قراراً لسليّل الحسين عليه السلام وراءه وعي مدرسته وتقواها وعزيمتها، وكأنّ كلمات القائد الكبير أرادت هزءاً بالكفر حينما قال: "إنّ الاستكبار العالمي يتصور أنّه إذا جيء باسم السوق المشتركة والحصار الاقتصادي فإننا سنتراجع ونغض النظر عن تطبيق الأحكام الإلهية"^(١)، واستبق الأحداث محذراً ضعاف النفوس من انهيار مستقبلهم أمام لغة الأرض وحساباتها: "إنني أخشى أن يأتي محللو هذه الأيام بعد عشر سنوات ليقولوا إنّ حكم الله -يقصد في حقّ سلمان رشدي- كانت له آثاره وتبعاته السيئة على علاقاتنا مع السوق الأوروبية المشتركة والدول الغربية، وأنّه كان ينبغي علينا أن نغضّ النظر عن الذين وجّهوا الإهانة والإساءة للإسلام"^(٢).

ذلك هو الإمام القائد الذي لا يفوت وعيه أيّ شيطان مارّد وراء القذر سلمان رشدي، وأيّ تحطيم أريد لهيبة الإسلام، وأيّ اختبار استهدفه الأشرار، والرجل الذي لا تضعف عزيمته أن يواجه الاستكبار كلّ، ولا يكبر تقواه أن لا يخشى إلاّ ربّه، عشقه لله وثقته به تجعلانه في مواطن الرضا الإلهي لا يسأل: من سيضاده؟ ولا ما هي

(١) العمل الإسلامي، العدد ٢٩٢، ١٤٠٩هـ.

(٢) المصدر نفسه.



الخسائر الدنيوية المترتبة على موقفه؟ ومن تكون التخطئة ومن يكون التصويب؟

و - التسليم والرضا:

من القيادات من يتمتع بالمعنويات الكبيرة ما دام نصر وتفوق، وإذا كانت هزيمة استولى عليه ما يستولي على الصغار من الاندكاك، وقد يؤدي به الأمر إلى الانتحار؛ ذلك نمط من القيادات أكبر ما في طموحه أن ينتصر، والنصر عنده غلبة خارجية فيها الظهور والمكسب المادي والانتفاخ.

وأما الذين لا يرون لهم نصراً إلا في مرضاة الله، ولا هزيمة إلا في غضبه فلا يصغرون بشيء ما داموا على طريقه، وكلّ سعيهم أن يؤديوا حقّ المولى، ويستفرغوا الوسع في نصرته دينه ليستقبلوا النتائج الخارجية من بعد ذلك لهم أو عليهم برضاً وتسليم، مواصلين السعي ما ملكوا جهداً على طريق الله، ومن سخط وهو لا يجد باباً مفتوحاً على ما يرغب ذاب وانفجر وانتحر، وهذا لا يأتي على مجاهد في سبيل الله وفّى وأخلص وإن أحاطت به الهزيمة من كلّ صوب؛ لأنّ ما في وعيه وشعوره أنّه في موطن الشكر لما وفق، وأما النصر الفائق فهو أمر ربّه الذي لا يتحمّل هو ضمانته، ولا يشكّ في قدرة الله عليه وحكمته في تأخيرهِ.

هذان التسليم والرضا سمتان بارزتان في القيادة المبدئية يحفظان

منها توازنها دائماً، ويبقيانها على الوقار، ويحميان معنوياتها من التصدّع، فلا تعرف من هزيمة الداخل شيئاً، ولا من شعور الخسارة ولو فتيلًا.

وهذه وقفة مع أبي عبد الله (عليه السلام) في عاصفات الشدائد: «كأنني بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشا جوفاء وأجربة سغبى لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت»^(١).

وفي جواب كلمة الفرزدق: "قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية" قال (عليه السلام): «إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريره»^(٢) والمطلوب كل المطلوب عنده (عليه السلام) الاستقامة على الدرب وأن لا ينحدر حدث مهما طغى بالمرء عن الخط.

وجاء من كلماته سلام الله عليه في اللحظات الأخيرة من حياته

(١) اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ص ٣٨، وعنه في بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٦٧.

(٢) مقتل الحسين □، أبو مخنف، ص ٦٨، وتاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٩٠، وبحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٦٥.



الشريفة في الدنيا وقد اجتمعت عليه كل أصناف الآلام ولم تبق إلا روحه الطاهرة القدسية لم يمسه ضنى، ولم تنل منها الكوارث فكانت منبع الصبر والاحتمال ومحل الرضا والاطمئنان؛ جاء من كلماته: «صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له...»^(١) والكلمة تتجاوز الصبر والنهوض بثقل الآلام والهموم بكفاءة، إلى الإقرار بالمن من الله والعناية واللفظ: «مالي رب سواك»، فالمقام عنده عليه السلام وهو من أشد الكُرب مقام اعتراف بالجميل الإلهي حيث الربوبية المتفردة والامداد والتدبير والعناية والإكرام، ومقام التوحيد العبادي الذي ينطوي على الشكر الخالص والحمد الجليل والثناء الجميل والتكبير والتقديس والتنزيه.

وينطلق الإمام الراحل في التسليم لبارئه والرضا بقضائه وقدره من عبودية الكائنات المحضة المطلقة للمالك الحق الذي لا تخرج من ملكه ذرة ولا ما هو أقل، وفي ظل هذا الوعي المتجذر والشعور المتمكن الضارب تخف على النفس الهلوعة آلامها وتفقد النوازل الثقيلة وزنها: "إن ما يخفف لوعة هذا المصاب وفداحته هو أننا لا نملك شيئاً من أنفسنا وأننا لله وأننا إليه راجعون؛ وكل ما نملكه أمانة من عند

(١) الوثائق الرسمية لشورة الإمام الحسين عليه السلام، عبد الكريم القزويني، ص ٧٧،

عن أسرار الشهادة، ص ٤٢٣، ورياض المصائب، ص ٣٣.

اللَّهُ تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْنَا وَنَعُودُ كُلُّنَا إِلَيْهِ ثَانِيَةً"^(١).

وكيف يسخط عبد لم يأت عليه آن يملك فيه مما أوتي من نفسه وغيره شيئاً إذا ما استردَّ المالك ما أتى عدلاً وحكمة ولطفاً؟!

ما ينبغي أن يقال هنا هو أن مهمات القيادة مهمات ثقال وأن آلام الموقع آلام تدكّ الجبال، فإمّا قائد لا يشعر بمحنة ما سلمت له نفسه وشهوته، وذاك في راحة البهائم حتى يحاصر الخطر حياته ومنصبه فيكون الانهيار والتضعع، وإمّا قائد يحمل همّ الأمة، ويشعر بكلّ جراحتها لكن بقلب كبير يمدّه وثوقه بالله، ورضاه بقدره، وتسليمه له صبراً وتفوقاً واستعلاء على ضغط المحن، واستحالة على الدوبان.

٢- الرؤية الموضوعية المتقدمة

هذا هو البعد الثاني من بعدين قلنا بالاختصار عليهما في الكلام عن محور القيادة والقيادة الأصيلة كما أنّها فهم مبدئي معمق شامل، وخبرة إسلامية واسعة، واستيعاب دقيق للأطروحة عقيدة، ومفاهيم، وأخلاقية وأحكاماً، وكما أنّها روح زكية نقية وتقوى ونزاهة، ونفسية عالية صلبة، ومعنويات كبيرة فكذلك لا بدّ من توفرها على الرؤية الموضوعية الدقيقة والخبرة الميدانية الصادقة والتقدير العملي

(١) كيهان العربي، العدد ٢٢، الثلاثاء - ٢ جمادى الثاني ١٤٠١هـ.



المتميز، وتشخيص الأوضاع الحاضرة، والنظر الثاقب للتحوّلات المتوقعة، وما يمكن أن يتمخض عنه لونُ التحرك من نتائج من نوع السلب والإيجاب.

وتختلف دراسة الموضوع الاجتماعي ومداخلاته عن دراسة الموضوع العلمي البحت؛ لدخول البعد النفسي بشدة في الدراسات الاجتماعية دونها عادة في الدراسات المقابلة؛ وترتبط الدراسة الاجتماعية وتشخيص الموضوع المتصل بها بالبعد النفسي بدرجة أشد، حين ترتبط نتائج هذه الدراسة في بعض فروضها بما يقتضي التضحيات الضخمة والمخاطر الهائلة، ولا سيما إذا كان المظنون أو المتيقن أن الكلفة الباهظة تعني عطاء بلا أخذ في هذه الحياة الدنيا.

في ميدان العلوم البحتة يحتاج الوصول إلى التشخيص الموضوعي إلى الفهم والدقة والخبرة، ويزيد أمر التشخيص الملامس للواقع مؤونة وعدة في مورد الدراسات الاجتماعية والسياسية مما يراد أن يرتب عليها تحركٌ تغيري لا يغري بمصالح ذاتية وإن أغرى بمصلحة المبدأ. تشخيص الموضوع هنا محتاج إلى المبدئية التي تقدّمت بعض ملامحها، وإلى بصيرة نافذة وخبرة جامعة، بالإضافة إلى نفسية مقاومة لا تغزوها التشكيكات الواهمة فتحول علمها جهلاً، وطمأنينتها اضطراباً، واليقين عندها وهماً، وإلى شجاعة فائقة لا يردّها خطر، ولا يصيبها خور.

فمن غير تلك المبدئية ينقلب الأبيض أسود في النفس التي لا تحرز في التحرك مصلحة دنيوية، وسطحية النظر وضالة الخبرة لا يمكن أن تقع على حقيقة موضوع بهذا العمق وله امتداداته المستقبلية الغامضة، والنفس الموهونة لا تصمد لها قناعة أمام التشكيك، وهو كثير في هذا المجال من الصديق والعدو ومن له شأن ومن ليس له شأن، وإذا لم تكن شجاعة بحجم التحديات، فإن الرأي المستتبع للمخاطر ترده النفس وتسفهه فلا يكتسب حد القناعة.

وما كان رأيي فيه مواجهة لموت محتم وهزيمة مادية واضحة، وتضحية بالولد والعشيرة والأحبة والمخلصين من أهل المودة وتعريض الخلف من الصغار والمحريم للأذى البالغ، كما كان في الرأي الذي تشخص عند الإمام الحسين عليه السلام وثبت عليه قبل وبعد ما وصلت إليه المعلومات الدقيقة الموثوقة بقتل رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل، والارتداد عن بيعته تحت عوامل الترغيب والترهيب وأساليب البطش الطاغوتي التي مارسها عبيد الله بن زياد.

وقد كان للإمام الحسين عليه السلام من موفور المواهب الإلهية في ذاته من دون العصمة فوق ما يطمع فيه الكثير من ذوي النباهات والإدراكات المتميزة، وهو الذي عايش تقلبات الساحة الاجتماعية والسياسية منذ نعومة الأظفار، ووقف على مراكز القوى ونمط العلاقات، وما يطبع مختلف التيارات والطبقات المهمة بالشأن



السياسي آنذاك، وتلك التي تمثّل وفود التحركات، وذلك من خلال الاحتكاك برجالات تلك القوى باللقاء والمواجهات، ومن خلال موقعه الملتصق بمركز صنع القرار حيناً، والمعارضة حيناً آخر.

وهذا فضلاً عما له من جهة موروث الوحي ومعين العصمة جعل الوصول إلى صوابية تشخيصه والحكمة الفائقة في قرار الاستشهاد، وما حفّ ذلك من تحضيرات وإعداد كأخذه النساء والأطفال إلى ساحة المعركة في صحراء كربلاء، لا يتمّ لذوي النظر الثاقب إلاّ من بعد زمن من استشهاد عليه السلام.

ولقد كان له من يقين الرؤية، ويقين الوظيفة والتكليف، ومن بنائه النفسي المحكم، وفولاذية شخصيته ما أفقد الكلمات المخذلة، والاقتراحات بتغيير المسار ولو أتت من أكثر الناس شفقة وأصدقهم نصحاً وخبرة أن تنال من يقينه، أو تميل بوجهة نظره، وقد سمع منها الكثير المبالغ في الالحاح والتمني.

ولقد جاء النصّ المبكّر عنه عليه السلام الذي يجمع بين شهادته وشهادة صحبه وبين الفتح المبين، فتمّت الشهادة، وكان النصر الذي لم يكن يراه قبل أحد من أهل النظر الحديد، هذه كلمته التي حدّدت الوسيلة وأعلنت النتيجة في أول الطريق: «فإنّه من لحق بي منكم استشهاد

ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح»^(١)، فهو الفجر الذي يشع به دم الشهادة والنصر المنطلق من أحضانها.

ونظر قائد الثورة الشعاع بعد زمن فرأى وقته الإقدام كما كان قد رأى الإقدام سيده الحسين عليه السلام، نظر فشخص، وشخص فقرّر، رأى مأساة أمة، وشخص ما بيد الإصلاح، وما تملكه يد الإفساد الضارب المستطير، وقرّر أن تكون ثورة.

ثورة كلمة ودم في وجه عدة وعتاد، ودعم عالمي ليزيد عصره في إيران، في وجه سادس نظام تسليحي في العالم، ورأى أن يكون فتح لا يلزم أن يكون الفتح العسكري القريب، ولكنّه الفتح الأعمق الذي عبر عنه بفتح الفتوح، ألا وهو حياة الأرواح وحياة القلوب، وحيث يكون هذا الفتح الغاية الذي سبق أن استهدفته كربلاء الحسين عليه السلام لا بدّ أن يكون نصرٌ عسكري ولو من بعد حين.

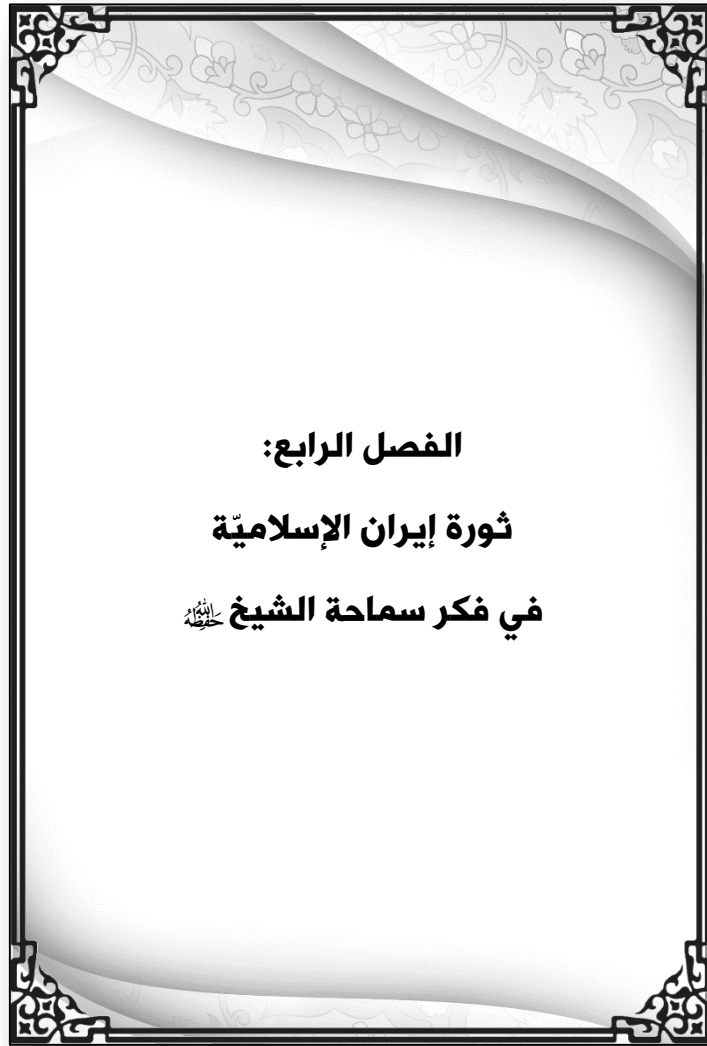
ومضى السيد القائد مع رؤيته وقراره منطلقاً وحده في أول الطريق، وكلّما أسرع الخطا امتدّت إليه السنة يصل سمعه منها نداءات بتريّث، ونداءات بإشفاق وتخاذيل، ونداءات بنقد لاذع مريب، ولكن شيئاً منها لا يخترق فؤاده الحصين، حتّى توغلّ به طريق الكفاح ولحقت به

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٤، ص ٣٣٠.



قوافل الشائرين إلى أن كان التيار المتعاضم والطوفان الكبير^(١).

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٨٣.



الفصل الرابع:

ثورة إيران الإسلامية

في فكر سماحة الشيخ رحمته الله حنظل

الفصل الرابع:

ثورة إيران الإسلامية في فكر سماحة الشيخ رحمته الله

مقدمة

ثورة فجرها بطلٌ من أبطال الإيمان والعلم والعزيمة والصمود، وعاشقٌ من عشاق خطِّ أجداده الكرام محمدٍ وعليٍّ وأبنائه الهداة عليهم السلام.
ثورة مباركةٌ أطاحت بواحدٍ من أشدَّ طواغيت عالمنا الإسلامي، وأكثرهم دعماً من الشيطان الأكبر أمريكا كما سماها السيد الإمام الخميني العظيم.

ثورةٌ ركّعت أمريكا في إيران، وقطعت يدها الجانية عن العتب بمقدّرات الإسلام وقيمه الغالية في ذلك البلد وعن نهب خيرات الشعب الإيراني المسلم الكريم وثرواته الهائلة بصورةٍ استفزازية بشعة.

لقد كانت أمريكا تسحق كرامة الإنسان المسلم في إيران - كما هو حالها الآن في كثير من بلدان الإسلام - وتستخفّ بدينه ودمه وعرقه في صورةٍ متغطرسة حتى جاءت الثورة العملاقة لتردّ على الغطرسة الأمريكية رداً كافياً بليغاً مهيناً للاستكبار، ومؤكداً على عزّة الإسلام والمسلمين^(١).

وانتصار الثورة الإسلامية في إيران شأنٌ مهمٌّ من شؤون المسلمين

(١) خطبة الجمعة (١٤١) ٢٢ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ - ١٣ فبراير ٢٠٠٤ م.

عامة، وقضية كبرى من قضايا أمة القرآن قاطبة، فإنَّ هذا الانتصار قد سجل انعطافة عملاقة فريدة في صالح الإسلام والمسلمين، وكان فاتحة بعث إسلامي كبير على مستوى جماهير الأمة ووعيتها وصحتها وإرادتها الإيمانية المباركة وروح التحرر فيها، وانطلاقة قوية لنمو هائل في ثقة الإنسان المسلم بقدرة الإسلام على المواجهة والنصر والاكتمال والإمساك بكفاءة بزمام الأمور، وقيادة الحياة.

أمّا أمريكا التي خرجت من إيران الإسلام بسقوط الشاه عبدها المطيع فقد صار في عزمها وتصميمها أن تقيم في كلِّ بلد إسلامي شاهاً ديمقراطياً له نفس الدور للشاه الديكتاتوري المقبور ولو برؤوس الحراب، وها هي قد بدأت شنَّ حروبها على هذا الطريق، وفي هذا الاتجاه وصياغة المنطقة كما تريد، والأمة مهزومة لا تنصر دينها إلا القليل، وربُّ الدين غالب غير مغلوب^(١).

ثورة شعاع من ثورة أم

حدثت ثورات بعد كربلاء وآخر ثورة هي ثورة الإمام الخميني عليه السلام وهي كثيرة العطاء، وفيرة الخير، غنية بالبركات ولكنها فيما عبرت عنه في بحث "ثورة أم وثورة شعاع" ثورة الإمام الخميني ثورة شعاع، وثورة الإمام الحسين هي الثورة الأم.

(١) خطبة الجمعة (٩٧) ٥ ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - ٧ فبراير ٢٠٠٣ م.



هذه الثورة بقدرتها الهائلة على العطاء والتي برهنت على ذلك من خلال استقاء وتغذي أربعة عشر قرناً تقريباً، وراء هذا الحسّ الإسلامي الواضح عندكم كشريحة من شرائح الأمة واسعة، والحب الإلهي، والروح الفدائية، الاستعداد للعطاء الذي تعيشونه، كانت كربلاء وراء ثورة الإمام الخميني ووراء الثورات القريبة التي تلتها ووراء انتصار جنوب لبنان وحزب الله ووراء هذا الشعور الكريم اللاهب والذوبان في الإسلام والحضور الفدائي في انتخابات العراق، وراء روح العزة والكرامة التي بدت تسري في الأمة، كربلاء تشارك القرآن الكريم والسنة المطهرة في إحياء الأمة لكل هذا المدى الزمني الطويل^(١).

لماذا الثورة الإسلامية؟

الهدف الثابت فيهما [الثورة الحسينية والثورة الخمينية] هو:

١. تجلية الإسلام وتمكينه.

٢. وتحرير الإنسان وتكميله.

وذلك في إطار ما فجر الثورتان من طلب مرضاة الله العزيز العظيم.

وللإنسان والإسلام مصير واحد مشترك في الأرض، فلا يكون

(١) محاضرة في مأتم بن سلوم ٢٣ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ - ٣ فبراير ٢٠٠٥ م.

إنسان بلا إسلام، ولا يبقى إسلام بلا إنسان، الإنسان السوي هو خريج مدرسة واحدة ومحض واحد، هو محض الإسلام، والإسلام أمانة ثقيلة كبرى إذا كان لأحد في الأرض أن يتحملها فلا يكون إلا إنساناً محتفظاً بمقومات إنسانيته، أما المصابون بالمسخ في لب إنسانيتهم فلا ينهض بهم الإسلام.

وما جاء الرسل وما تنزلت الرسالات وما كان جهاد الأنبياء والأولياء إلا لصناعة الإنسان وتربيته وتكميله.

لذا فما من ثورة تصدق مع الإسلام إلا وتصدق مع الإنسان، وآية الزور في أي ثورة تحمل شعار الإسلام أن تستغل الإنسان أو تهمله، والإنسان كل مترابط لا تكاد تستقيم أخراه بلا أولاه، ولا أولاه بلا أخراه، لا يكاد يكمل في معزل تام عن دنياءه، أو تستقر له حياة بدن في حالة من فوضى الروح وسقمها وتبعثرها.

نصوص الثورة الحسينية والخمينية في أهداف الثورتين:

وإنك لتجد نصوص الثورتين تنظر إلى الإسلام وإلى الإنسان شقي قضيتي واحدة، وتعطي من همها لهما على حد سواء؛ وإليك من هذه النصوص:

عن سيد الشهداء عليه السلام: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً



ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام»^(١)،
«...وحششتم علينا ناراً، اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم
إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح
لكم فيهم»^(٢).

ويقول المستلهم بحقّ لدروس الثورة في كربلاء الإمام
الحسين عليه السلام ودروس الوعي في حكومة القرآن لأمير المؤمنين عليه السلام:

١- النص الأول: في نصّ القرار الذي سَمّي فيه محمد علي
رجائي عليه السلام رئيساً للجمهورية في صباح يوم عيد الفطر الموافق
١٩٨١/٨/٢م: "إنّ هذا الحكم يكون ساري المفعول طالما كان يسير في
خطّ الإسلام العظيم وملتزماً بأحكامه المقدسة... وساعياً لخدمة مصالح
بلده وشعبه العظيم... وإذا لا سمح الله عمل خلاف ذلك فأسحب الثقة
والمشروعية عنه".

ويضيف في نفس النصّ وفي سياق الإلزام: "... وأن يفخر ويعتزّ
بخدمة عباد الله وبالأخص المستضعفين منهم، فإنّ هؤلاء هم الأوفياء
للإسلام وحماة جمهورية إيران الإسلامية"^(٣).

(١) مقتل الحسين عليه السلام، المقرّم، ص ١٣٩.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص ٢٤٠.

(٣) صوت الأمة، العدد ١٨، شوال ١٤٠١هـ.

٢- النص الثاني: ويقول: "من أعظم الخيانات أن يجعلوا طاقتنا الإنسانية متخلفة ويحولوا دون إصلاحها ونموها"^(١).

٣- النص الثالث: "إننا مع إعلاننا للبراءة من المشركين، وما نزال مصممين على تحرير الطاقات المكبوتة للعالم الإسلامي"^(٢).

٤- النص الرابع: "انتصار القلوب أكبر من انتصار الحرب، وفتح القلوب أكبر من فتح البلدان"^(٣).

وهو يرى أن مهمة الإسلام تتمثل في أنه "يربي الإنسان ليكون إنساناً في جميع الحالات"^(٤).

تقف بنا نصوص الثائر الإمام المعلم عليه السلام، ونصوص الثائر التلميذ عليه السلام على الوعي الإسلامي الأصيل، الذي يعمل من أجل أن يسمو بأوضاع الأرض والإنسان لا أن يحلّ منفصلاً عنها^(٥).

الإسلام والإنسان في قراءة الإمام الخميني رحمه الله

ويأتي الإنسان في كلمات الإمام الراحل محطّ النظر للإسلام

(١) رسالة الحرمين، العدد ٢٣، ص ٤٢.

(٢) منقولة من مصدر ضيّعته بعد ذلك. «منه حفظه الله»

(٣) صوت الأمة، العدد ١٠-١١، ١٤٠١هـ ص ٧.

(٤) رسالة الحرمين العدد ٢٣، ص ٤٢.

(٥) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٣١-٣٥.



والثورة لا في جانب منه دون جانب ولا حيثية دون أخرى، الإنسان كلُّ مترابط بأبعاده الروحية والجسدية، والاهتمام به لا يتجزأ؛ لأنَّ هذه التجزئة المقابلة بتربط وجوده فاشلة حتماً في تربيته وتكميله، ومن هنا يكون السعي لخدمة مصالح البلد والشعب يعني محاولة الإثراء الشامل والإصلاح الكامل للوضع الإنساني والمعيشي لأبنائه، وإحداث التغيير الإيجابي في البنى التحتية والفوقية من وجود الإنسان وحياته داخله وخارجه.

ولا يكون الإصلاح جاداً، بل لا صدق له أصلاً ما لم يكن المستضعفون والمحرومون محلَّ العناية القصوى والاهتمام الشديد، وإلاَّ فهو شعار غير الوفي للأوفياء، والوعد المكذوب للصادقين.

والإنسان على ترابطه بكلِّ أبعاد كيانه هو روح قبل أن يكون بدنًا، وهو بعقله وقلبه ونفسه أكبر منه برجله ويده، بل هو ذاك الروح والقلب والعقل؛ أمَّا ما هو من البدن فوسائل اتصال وأدوات وفعل وآلات إنتاج، لذا يكون من مهمَّة الثورة وهي تحارب الفساد كلَّه، وتستهدف الإصلاح كلَّه أن تركز عنايتها كثيرًا في معالجة عطب الداخل في كينونة الإنسان، وإصلاح الخلل فيما هو اللبُّ منه وهو أصل إنسانيته ومعناه، وأنت تجد هذا واضحاً في النصوص الأخيرة المنقولة للإمام الراحل قدس سره، ولا سيما في ما ركَّز على انتصار القلوب وفتحها وتربية الإنسان؛ ليحيي إنسانيته وغيها وهدفها وقيمها، غنياً

ومفتقراً، مغلوباً وغالباً، محكوماً وحاكماً، وفي جميع الأحوال^(١).

مُستلزمات الثورة

أولاً: الإعداد:

كلُّ معركة لها إعداد، وكلُّ نصرٍ له ثمن، ولا يدخلُ المعركةَ بلا إعداد إلا مَنْ لا يُريد حلَّ الصِّراع، ومن طلب النصرَ الكبير من غير أن يكونَ إعدادُه بمستوى مطلوبه، فهو مقصّر.

كيف كان إعداد الإمام لمعركته وثورته؟

كان النصرُ المطلوب للسَّيد الإمام عليه السلام نصراً كبيراً وشاملاً، وكانت المعركة التي أخذَ على نفسه أن يخوضها معركةً ضاريةً حاميةً، فكان عليه أن يُعدَّ كثيراً، وقد بدأ طريق الجهاد شاباً، وما كان طموحه لينتهي عند نصرٍ في حياته، وما كان النصرُ الكبير الذي حققه الله تبارك وتعالى على يديه -فيما يفهم من بعض الكلمات المنسوبة له- مأمولاً له.

وإنما كان يرى أن من الواجب، بما وهبه الله عز وجل من كفاءات، أن يضعَ قدمه وقدم الأمة على طريق النصر، سواء كانت المعجزة بأن تحقّق النصر في حياته، أو كان تحقيق النصر من بعد أمدٍ طويل، لا بدّ من تفاؤل، ولكن الدافع للجهاد ليس حالةً عابرةً من التفاؤل، السعيُّ

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ٣٧-٣٨.



على طريق الجهاد وطلب النصر للإسلام، لإنقاذ الإنسان، والسعي لإنقاذ الإنسان واجبٌ كفائيٌّ ثابتٌ في كلِّ الظروف.

ثانياً: البذل في سبيل تحقيق النصر:

ولقد بذلَ أنبياءُ ورسلُ عظام هم القدوة الإنسانية العليا، وبذلَ أوصياءُ الأنبياء - ومنهم أئمةُ أهل البيت عليهم السلام - أعماراً غالية في سبيل تحقيق نصرٍ غير مأمولٍ في المدى القريب.

والنصر الذي تحقق على يد السيد الإمام عليه السلام لم يكن وليدَ مدى قصيرٍ من الجهاد، ولقد شارك في تحقيق النصر ألوفٌ وألوف من العاملين في سبيل الله منذ يوم الأئمة عليهم السلام إلى يوم السيد الإمام.

ولو كان الجهاد بكلِّ أنواعه موقوفاً على أمل تحقيق النصر القريب للغى جهاد الكثيرين من الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام، ما كان أحدٌ يرى من غير نظارة الغيب أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة كربلاء وما تعرض له الأئمة الهداة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - من تضيقٍ وخنق، وإلغاء دورٍ في مساحةٍ أوسع، في ظلِّ تلك الظروف والحالة الواقعية، ما كان أحدٌ يرى من غير نظارة غيب أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام سيأتي يومٌ على الأمة تكون فيه أقوى المقارعين للطغيان في الأرض وللاستكبار العالمي.

النصر ليس أمنيةً وتفاؤلاً فارغاً، النصر نتيجة واقعية لعملٍ

ميدانيّ مكثّف، وواعد، وهادف، وثابت، وقائم على التخطيط، وهو عملٌ يستنزف من إمكانات الأمة ما يستنزف، وله ثمنٌ كبيرٌ من جهد الأمة وتعبها وثروتها ودمها.

ثالثاً: مراعاة الإنسانية وضوابط الدين الحنيف:

وإذا تحدّثنا عن البطولة، فالبطولة أن لا تخسر معركتك مع نفسك من أجل أن تريح معركتك في الخارج مع عدو، كل الذين يخسرون أنفسهم ومعركتهم مع النفس، ويسجلّون على أنفسهم في هذه المعركة فشلاً ذريعاً، ويحقّقون نصراً ساحقاً في الخارج، هم ليسوا من النمط الإيماني والإسلامي، يزيد قد حقّق نصراً عسكرياً واضحاً في معركته مع الحسين عليه السلام، ولكنه هو الذي خسر معركته مع نفسه، وسقط دونياً - شيئاً دونياً - في هذه المعركة، وأخرجته هذه المعركة من دينه وإنسانيته، ومن أخرجته معركته مع الخصوم، أيّاً كان لون معركته؛ دموياً، كلامياً، اجتماعياً، سياسياً، ومن أخرجته معركته مع الخصوم من دينه ومن إنسانيته فهو المغلوب في النظر الإسلامي.

مسلم بن عقيل حين اجتهد ألا يقتل ابن زياد غيلةً وسبّب له ذلك على مستوى الأسلحة المكشوفة أن يكون هو الشهيد بدل أن يكون ابن زياد هو القاتل، كان منتصراً على نفسه في معركته مع الأعداء، وإن خسر النصر الخارجي في تلك المعركة، صحيح أن مسلم (رضي الله عنه وأرضاه) قد قُتل، وقد أصبح مغلوباً على أمره في البعد



العسكري، ولكن قد انتصر المبدأ على يديه، وسجل من خلال موقفه أن الإسلام أكبر من أن يغدر، وأن الإسلام حتى في حربه شريف ويلتزم المبدئية، يخوض معركته بقيمه وبكل آدابه.

ماذا حقق الإمام الخميني من نصر أولاً؟

هنا علينا أن نتساءل عن موقف السيد الإمام من هذه القضية، وأنه كان المبدئي في حربه، كان الملتزم بقيم الإسلام، كان المنتصر للمبدأ قبل أن ينتصر للنفس، كان حفاظه على لون الرؤية، على صبغة الرؤية والإسلامية، أو على حامل الرؤية؟

الذي قال بأنه لا يوقف الحرب مع صدام، عاد يوماً من الأيام ليقول بأن عليه أن يتجرع كأس السم، ويقبل بإيقاف الحرب، لو كان التحرك من منطلق غرور، ومن منطلق الأنا، لكان هذا الإيقاف وراءه روح مستخذلة، وجبن طارئ، ورعدة أصابت النفس حتى كتمت غرورها، لكن حياة السيد الإمام تنفي ذلك؛ لأنه لم تسجل حياته موقفاً واحداً، عند مؤرخيه، وعند معاشيه، وعند الذين كانوا يطلبونه، من جبن ومن فشل ومن ابتعاد، وكان يقف في المعركة وحده أو يكاد ولا يتراجع كما كان في مواقفه المواجهة للشاه.

كان المطلوب عنده في مثل هذا الموقف وأمثاله، وهو القوي الشجاع الأسد الذي يحمل روحه على كتفه في سبيل الله، كان موقفه، كان صراعه، كان طلب النصر عنده لا لنفسه وإنما للإسلام، كان

صراعه للإسلام، وكان النصر المطلوب له نصراً للإسلام، والنفس لا تمتحن كما تمتحن في الشدائد.

وكما يشهد موقف الإمام الحسن عليه السلام، وإبائوه إباء أبيه، وشجاعته شجاعة أخيه، وإيمانه بالغ، وله شرف لا يرضى صاحبه بأن يُدفن، ذاك الجبل الأشم، والروح الشاحنة، والإرادة الفولاذية، يُقدم صاحبها على الصلح مع معاوية مع وجود الاعتراضات، لقد كان جرح الإمام الحسن عليه السلام عميقاً لا يُشاركه في مأساته معه إلا قلة، وقد جاءت الكلمات، من مخلصين، سهاماً نافذة إلى روح الإباء والشموخ والكرامة والعزة التي كانت بين جنبي الإمام الحسن عليه السلام، ذلك صبر لا يفوقه صبر الإمام الحسين عليه السلام، وتضحية لا تفوقها تضحية الإمام الحسين عليه السلام، تضحية الإمام الحسين عليه السلام معها ذكر عريض، ومعها ظهور كبير، ومعها تألق في عالم السمعة والشهرة، وإن كان كل ذلك لا يُساوي شيئاً في نفس الإمام الحسين عليه السلام، أما صبر الحسن عليه السلام فكان معه الذل الظاهري، واللوم من الصديق، والشماتة من العدو.

وكان للسيد الإمام (رضي الله عنه وأرضاه) موقف من موقف الإمام الحسين عليه السلام وموقف كذلك من موقف الإمام الحسن عليه السلام، وهو ابنهما، وتلميذهما، ومنهما ومن آداب الكرام يستمد، وهم وهو، الممدُّ الأول لهم بالعزة والكرامة والشجاعة والإباء والشموخ والصلابة والأصالة والثبات القرآن العظيم والسنة المطهرة. كل الاستمداد من



الصّلة بالله عليه السلام ^(١).

رابعاً: تحمّل المجاهير لمسؤوليتها:

أمّا المجاهير، فلا نصرَ بدونها، ولا استمرارَ لنتائج النصر بلا حراستها، ومن دون أن تبقى سيفاً مسلولة دائماً بيد قيادتها تخسرُ الأمة النصرَ وكلّ النتائج التي انبنت عليه، لكنّ المجاهير دائماً تحتاجُ إلى ما ينتظم أمرها، إلى ما يضمّ خرزها المتناثرة في نظامٍ -خيط السّبحه يُسمّى نظاماً- يُعطي ذلك الخرز تناسقه وانتظامه وجماله و[...الخ].

المجاهيرُ تحتاجُ إلى: منبعٍ وعي، وإلى قدوة مبدئية، دائماً تحتاجُ إلى نبي، دائماً تحتاجُ إلى وصي، دائماً تحتاجُ إلى فقيه، دائماً تحتاجُ إلى قيادة.

خامساً: بناءُ إنسانِ الدّولة:

إنسان الدولة أهمُّ من دولة بلا إنسان:

أن تبني إنسانَ الدّولة التي تطمحُ لها، أهمُّ من أن تقيمَ دولةً بلا إنسانٍ تلك الدّولة، والدّولة يمكن أن تسقط بمن شاركوا في بنائها، وأن تتحقّق على أيديهم هزيمتها الكبرى المخزية، والذي يبني دولةً من

(١) ذكرى رحيل الإمام الخميني قدس سره، مسجد مؤمن - المنامة عام ٢٠٠٩م.

هذا النوع لم يبن شيئاً.

مثال قيادة النبي ﷺ ونخبة الصحابة:

قلتُ أن تبني إنسانَ الدولة التي تطمح لها أهم من أن تُقيمَ دولةً بلا إنسان الدولة، إن الرسول ﷺ يريد دولة إيمان، لو أقام دولة باسم الرسالة والرسول ﷺ، لكن لم يُعدَّ علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يُنجز سلمان، ولا أبا ذر، لم يوجد النخبة المؤمنة التي كانت تحاول دائماً أن تقترب ما استطاعت من مستوى فهم رسول الله ﷺ، وعيه بقضيته، إيمانه، تضحيته، إلى آخر ذلك، لو أغرى الرسول ﷺ جهلةً وأناساً سُذجاً بمال خديجة مثلاً، وبوعود محسودة، وأقام دولة باسم الإسلام ورسول الإسلام ﷺ، وعلمها صلاةً وصوماً وحجاً سطحيّاً، ورحل، لو ترك صحابةً من الذين يُناقفون زمن حياة رسول الله ﷺ، وطائفةً واسعةً من الناس تعيش حالة السذاجة، إعداد الدولة هذا لا يساوي شيئاً، لا قيمة له، هذه الدولة لا تعتقد الإسلام، لا تحمل راية الإسلام، تُسقط الإسلام، من يقرأها ويقرأ القرآن، ويجد التهافت بينها وبين القرآن، يقول عن القرآن الكريم بأنه كتاب مدلس، يتحدث بشيء ويخلق نماذج من لون آخر.

أن يُعدَّ رسول الله ﷺ إنسانَ الدولة، ألا يتمكن رسول الله ﷺ من إقامة الدولة، في حياته، ولكنه يوجد إنسان الدولة، الذي يحمل قضية الإسلام، الدولة الإسلامية، يحمل همها، يحمل قيمها، يحمل هدفها،



يعيش مستواها الإيماني والروحي... إلخ.

نتائج إنسان الدولة، ودولة بلا إنسان

في الفرض الأول، الدولة تنهدم كدولة إسلامية، الصورة الثانية، الفرض الثاني، الدولة تنبني، لذلك في ظروف الإمام جعفر الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام التي كانت تسمح -خاصة في ظروف الإمام جعفر الصادق عليه السلام - كانت تسمح بإقامة دولة باسم الإسلام، لكن فاقدة للروح الإسلامية، يكسب فيها النفعيون، الانتهازيون، الذين يقتاتون على الدين، ويلبسون ثوب الدين للدنيا، كان يمكن للإمامين عليه السلام أن يُقيما دولة من هذا النوع، وما كانت الفرص أمام بني العباس لإقامة مثل هذه الدولة، وباسم الإسلام، بأوسع منها بيد الإمام جعفر الصادق عليه السلام لمن راجع التاريخ، ولكنها دولة تهدم الإسلام، دولة برجال لا يعيشون الوعي الإسلامي، ولا الأخلاقية الإسلامية، ولا الروح الإسلامية، ولا القيم الإسلامية، هي دولة تهدم الإسلام.

وامتد الزمن بصبر الأئمة عليه السلام إلى قرون ليبنوا الدولة التي تقترب من النموذج الإسلامي بقدر ما تستطيع، وأصروا كل حياتهم على العمل الدؤوب والمجاد، والجهد بكل الأنواع الممكنة، والتي تساعد على الإعداد الحقيقي للدولة الإسلامية المثلى، والتي نترقبها على يد الإمام القائم (عجل الله له الفرج وسهل له المخرج).

السيد الإمام: بنى الإنسان قبل الدولة:

نعم، ما اكتفى السيد الإمام بأن يبني دولةً باسم الإسلام، وإنما حرص على أن يوجد الرجال الذين يحفظون أمانة هذه الدولة بعده، ويتحملون كلفة الحفاظ عليها، وعلى ثقل تلك الكلفة، وهي مما تنوء به [الأبطال].

دائماً عليك أن تبني رجالاً للإسلام، يفهمون الإسلام، وأن تهتم بتنشئة الحس الإسلامي في الجماهير، والولاء للجماهير بالإسلام، وأن تقدم للجماهير وعياً إسلامياً بقدر المستطاع، وكلما أوجدت من كوادر الوعي، والنخب الرسالية، ورجالات الإيمان، عدداً أكبر ضمنت المستقبل.

طبيعة ثورة الإمام الخميني

ثورة السيد الإمام من أي نوع؟

ثورة السيد الإمام، ثورة جياح؟ ثورة بطون؟ صحيح كانت ثورة الإمام تتحدث عن هذا الجانب، عن النهب والغصب والظلم، وعن المترفين والمحرومين المستضعفين، لكن كان تركيز السيد الإمام على إنقاذ الإنسان، أن يبقى الإنسان بمستوى الحيوان ويكون كلّ لهم أن يشبع؟! وأنت إذا أعطيت حلاً لمشكلة سطحية، هذه المشكلة السطحية ما دام الجذر موجوداً، الأصل موجوداً، الفساد في العمق موجوداً، تظهر مرة ثانية، في القريب تظهر، تظهر مكانها ظاهرة سيئة



أخرى.

ثورة السيد الإمام لم تأخذ قدسيّتها من كونها أشبعت البطون، واضحٌ أنّ في إيران بطوناً لم تشبع إلى حدّ شبع بطون في أمريكا - وإن كانت بطون أمريكا أيضاً صارت تشتكي - لكن ماذا أوجدت؟ أوجدت إنساناً حراً.

الذي يعاين الوضع الاقتصادي، طبعاً الوضع الاقتصادي في إيران سببه معروف، يعني إذا كان هناك درجة من عدم النمو الكافي، سببه معروف، وهو عداوة كلّ الاستكبار العالمي لهذا النظام، وكونه لم يُعطَ فرصة في يومٍ من الأيام لبناء داخله، ولكن له الشرف أنّه رغم كلّ الأعاصير وكلّ الزوابع وكلّ الصّواعق، قد بنى نفسه في كلّ الأبعاد، وواجه حرباً شبه عالمية في كلّ المسارات وبكفاءة، من أين جاء هذا؟ جاء هذا من بناء الإنسان، من اهتمام الثورة والدولة ببناء الإنسان^(١).

بماذا تميّزت الثورة الإسلامية في إيران عن بقية الثورات؟

لا تستوي الثورات عمقاً وسعة، ولا عظمة وسمواً، ولا بقاءً وخلوداً، ولا إشعاعاً وعطاءً، وهي إذ تتفاوت في ذلك كلّ لا يأتي تفاوتها جزافاً، وإنما يعود لأسباب لعلّ ما يأتي أهمها:

(١) المصدر نفسه.

١- أصالة القضية:

أول ما يتفاوت بين الثورات في مستوياتها القضية التي تتفجر الثورة في إطارها؛ فالثورة وهي تأخذ من ترسيخ القضية والتمكين لها هدفها الأخير لا يمكن أن تكبر إطار قضيتها؛ وبمقدار ما يكون للقضية التي تمثل ضمير الثورة وهمها ورسالتها من تأصل وامتداد في فكر الإنسان، في استقامته وفطرته الأولى وروحه وضميره وضروراته وتطلعه؛ يمكن أن يكون للثورة التي تجسد تلك القضية وتحمل نداءها.

القضية نوعان:

أ- من الثورات ما ينطلق من هم تقويم الأوضاع وأعادتها إلى نصابها؛ وفقاً لموازين العدل والإنصاف والاستقامة في مقطع زمني خاص، أو رقعة جغرافية معينة، أو في حدود قوم من بين الأقوام، وهذه الثورة تبقى لو تعالت وتوسعت ثورة داخل هذا الإطار - ما لم تتجاوز همها هذا المحدود الصغير - ويكون إشعاعها واستقطابها غير قادر على الانتشار الكبير.

ب - القضية التي يمكن أن تحطم حدود المكان والزمان وتخلد إلى الأبد متجاوزة بموج الثورة إلى كل الأجيال والأمم في كل زمان وفي كل مكان، هي قضية تلتقي بصلاح الإنسان وفلاحه، وبهم بنائه وعمارته في طريقها الصاعد إلى مرضاة الله عبر الانسجام الكامل مع نداء رسالته.



وهي قضية تستوعب أبعاد الإنسان وواقعية الزمان والمكان وما يرتبط بهما وتدخلها في الحساب من دون أن تقف عندها في الهدف الأخير أو تتأطر بإطار هذه الحياة.

٢- عظمة المثال:

لسان القضية المؤدّي البليغ في الناس هو مثالها منهم، المجسّد لها فيهم، الذي يشعُّ بوعيتها وأدبها وإيحائها وهداها وصدقها وأصالتها وسموها، ويوصل نداءها إليهم، ويلتقي في خطابه ولمحاته وإشاراتِهِ وإيماءاته وإيحاءاته التي هي من خطابها وإيحائها بعميق وجدانهم، وأصيل فطرتهم، وصادق همهم وطموحهم وتطلعهم.

ولا يمكن للثورة أن يتأصل فيها وعي القضية وأخلاقيتها بأزيد مما يكون لمثالها في الناس الحامل لرسالتها؛ إذ كما لا يمكن أن يزيد حجم الثورة وعطاؤها على حجم قضيتها كذلك لا يزيد على مقدار القائد المفجّر للثورة ونصيبه من وعي القضية وأدبها لأنّه المقدار الذي ستخوض به القضية صراعها، وتشيع به الثورة في تفجيرها.

فالقضية وإن تكن أكبر قضية لا يمكن أن تكون ثورة كبيرة بقدرها ما لم تجد نفساً بشرية مثلاً تتسع لها، وتحمل قيمها وهداها ورسالتها في كلّ كلمة وفي كلّ موقف وفي كلّ منعطف، وعند كلّ منزلق، وبقدر ما يغيب من هدى القضية وقيمها في رجل القضية يغيب منها عن مرأى الناس ومسمعهم ونفوسهم وأفئدتهم، ويثلم من

قدر الثورة، ويخسر من وزنها وفعاليتها وأثرها.

هذا الرجل الأول في القضية والثورة هو معبر وعيها وأدبها للناس، وأثرها فيهم إنما هو بقدر ما تفيض به نفسه مما له منها من خير لا يقف عند مكان ولا زمان، ولا شعب ولا أمة، ومن هدى ونور وغوث ونصرة تنبسط بهما يد العطاء لكل طالب، بل يتفقد مواضع الحاجة إليهما منه قلب كبير يسع القريب والبعيد.

فكلما كان هناك مستوى إنساني قافز له من اللحاق بمستوى القضية البعيدة المتميزة نصيب أكبر، وكان مثال القضية ورمز الثورة كان أمل لموج الثورة وإشعاعاتها، وأكسبها قدرة على البقاء والتمرد على أعاصير الأيام وأحداثها المزمجرة؛ وإذا وجد المثال الإنساني القمة الذي يقف مع القضية في سماء رفيعة واحدة غنية بالعطاء الذي تحتاجه الأرض ولا تستغني عنه أبداً أبى للثورة أن تذوب، وأن يجوز عليها ذبول أبداً.

وكلما كان للقضية نخب تضم صوته إلى بطلها، كان أعطى للثورة أن تفهم وتمتد بدرجة أكبر في العقول والقلوب والنفوس، وأن تتمثل أفكاراً هادية، وقيماً عملية، ومشاعر إيجابية واقعة في ذوات الكثيرين^(١).

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١٤-١٨.



دور النخبة والأمة الإيرانية في الثورة الإسلامية:

النخبة:

تتمتع الثورة الشعاع [الثورة الإسلامية في إيران] بنخبة من سنخ هذه النخبة لتبرز نموذجاً إنسانياً رفيعاً يعلم الوعي والمبدئية والوفاء والفداء، وهذه بعض كلمات القائد الكبير التي تسجل شهادات الرفع والسمو لعدد من هذه النخبة:

١- "إن ذكرى الشهيد مطهري تركت في نفسي وحياتي القصيرة ذكريات خالدة؛ فقد كان هذا الرجل شعاعاً نيراً حيّ الضمير، له نفس تعشق الرسالة السماوية... لقد كان الأمل أن نقطف من هذه الشجرة الغنيّة بثمار العلم والإيمان أكثر من الثمار التي في أيدينا الآن"^(١).

٢- "لقد اختطف يد الإجرام الأمريكية اليوم، يوم الجمعة، يوم العبادة والصلاة، إحدى الشخصيات القيّمة الذي كان مريئاً كبيراً وعالماً عاملاً وملتزماً بالاسلام"^(٢) وهو يعني هنا السيد دست غيب عليه السلام.

٣- "ومن أولى بالشهادة من شهيدنا الكبير والفقير الرسالي وفدائي الإسلام الشهيد العزيز صدوقي رضوان الله عليه"^(٣).

(١) صوت الأمة، العدد ١٥، شعبان ١٤٠١هـ.

(٢) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ٦، ربيع الأول ١٤٠٢هـ، ص ٥.

(٣) كيهان العربي، العدد ٨٦، ١٦ شهر رمضان ١٤٠٢هـ، ٨ تموز ١٩٨٢م.

٤- "لقد سفكوا دماء أكثر من سبعين مؤمناً ملتزماً وابناً باراً للإسلام كان كلّ منهم شجرة غزيرة الثمر"^(١).

٥- "وהל خسرت ثورة إيران العظيمة عندما قدّمت سبعين شهيداً في لحظة واحدة والآلاف من الشباب العاشقين لله ﷺ؟"^(٢).

٦- وها هو اليوم القائد العظيم آية الله سماحة السيّد علي الخامنئي وهو أحد رجالات الثورة المباركة وفدائييها وناشطيهها، صورة حياة من الإمام الراحل الكبير وعياً وصموداً وغيره شديدة على الإسلام، ومواجهة عنيفة للاستكبار، وحنكة سياسية، ورؤية علمية، وشجاعة في الحقّ وأمانة على مصالح الدين ومكتسبات الثورة، وبعداً عن المحاباة، وشدة خشونة في ذات الله، نعم إنه القائل صدقاً بعد تجربة من العمل الشاهد حقاً: "ماضون على نهج الإمام حتى الرمي الأخير"^(٣) ذلك الإمام الذي قال فيه عند إصداره لحكم تنصيبه رئيساً للجمهورية: "وقد منّ الله علينا إذ هدى الرأي العام لانتخاب رئيس جمهورية ملتزم ومكافح وعلى خطّ الإسلام المستقيم وعالم في الدين

(١) رسالة الثورة الإسلامية العدد ١٢-١٣، شهر رمضان - شوال ١٤٠٢هـ ص ٦. وقد قال الإمام ﷺ هذا القول بعد مقتل الشهيد بهشتي مع اثنين وسبعين آخرين من أعضاء الحزب الجمهوري في طهران عام ١٩٨١م.

(٢) كيهان العربي، العدد ٨٦، ١٦ شهر رمضان ١٤٠٢هـ ٨ تموز ١٩٨٢م.

(٣) الثقافة الإسلامية، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١١هـ ص ٧.



والسياسة" (١).

الأمة:

نعم قد نالت يدُ التغريب والتخريب الآثمة من أبناء إيران الإسلام، وهي يد النظام الشاهنشاهي القذرة، بما أفسد وخرّب وشوّه بالفعل وأحدث في هذا الشعب غربة بشعة عن الإسلام، وبعداً عملياً عن قيمه في مساحة كبيرة من حياة الكثير من أبنائه، إلا أن أمصال الثورة كانت تصل بمادة الحياة والتعلّق بالكرامة والحرية والمبدئية إلى أعماق إنسان هذه البلاد من أجيال ثورة كربلاء، عبر منبر الثورة وموكبها وشعارها وثقافتها وروحيتها وهادفيتها وتضحياتها مما لم يمكن للخسف أن يصل بتدميره إلى الجذور، وأن ينال أصل الاستعداد للتفجر يوم البركان ويوم ينادي سليل الحسين عليه السلام الخميني الكبير بـ «يا لثارات الحسين»، فكانت كربلاء الثورة الأمّ تحضيراً للأمة تحمل رسالتها في يوم من الأيام وتتحمل أعباءها الثقيلة بكفاءة كما كان أنصار الحسين، وتحقق نصراً ساحقاً تحت قيادة مؤمنة فولاذية من صناعة مدرسة الحسين عليه السلام.

والإمام الخميني قدس سره أعرف بعباء كربلاء، وأكثر إيماناً بفضلها، وقد حرص أن تسجل كلماته الشريفة هذا الإيمان العميق تعليماً للأمة

(١) الوثائق الرسمية، القزويني، ص ١١١، عن مقتل الحسين، الأمين، ص ٩٠.

وتذكيراً لها وإصراراً على انشدادها بيوم الحسين عليه السلام.

١- يقول تَنْدُسُ: "وثقوا أنَّ انتفاضة (١٥) خرداد لم تكن لتحدث لولا هذه المجالس والمواكب، ولولاها أيضاً لما استطعنا أن نحبط كل تلك المؤامرات العالمية التي تحاك ضدنا من جميع الجهات"^(١)، وهو يرى أنَّ هذا البكاء يصنع شعب الملاحم^(٢).

٢- وكلمة أخرى: "البكاء على الشهيد هو لإبقاء الثورة حية، وحتى الذي يُظهر الحزن على قسَمات وجهه ويتباكى فهو يحافظ بدوره على هذه الثورة، ويشارك في المحافظة على ثورة الحسين"^(٣).

٣- ومن هذه الكلمات المشاعل: "يجب أن نعلم جميعاً أنَّ طريق الوحدة بين المسلمين هو هذه المراسم السياسية، مراسم عزاء الأئمة الأطهار عليهم السلام ولا سيما سيد المظلومين وسيد الشهداء أبي عبد الله عليه السلام، وهي الصائنة لهوية المسلمين وبالأخص شيعة الأئمة الاثني عشر عليهم صلوات الله"^(٤).

٤- والمآتم عنده عليه السلام تستثير عواطف الخير على طريق الثورة الإسلامية المباركة وتحشد الهمم، وتزرع التوق اللاهب للشهادة: "إنَّ

(١) رسالة الثورة الإسلامية، العدد ١٢-١٣، شهر رمضان - شوال ١٤٠٢هـ.

(٢) سلسلة الولاية للثقافة ١٥، ص ٥-٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧-٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩-١٠.



إقامة المآتم هي التي تحرك عواطف الناس وتجعلهم على استعداد للقيام بكل شيء، والناس حينما يرون أن سيد الشهداء ضحى بشبابه هكذا، فستهون عليهم التضحية بشبابهم، وهذا هو المعنى الذي انعكس على جميع جوانب ثورتنا، وإن جميع أبناء شعبنا يتمنون الاستشهاد في سبيل الله^(١).

٥- أمة الثورة الخمينية المباركة هي من صناعة الثورة الحسينية المعطاء، وهذا ما تصرّح به ثانية الكلمة الآتية: "إن مجالس العزاء والنياح على سيد المظلومين وإبراز مظلومية إنسان ضحى بنفسه وأولاده وأصحابه في سبيل الله ورضوانه، هي التي صنعت الشباب الذين توجهوا نحو جبهات القتال وهدفهم نيل الشهادة في سبيل الله، ويفتخرون بالاستشهاد ويحزنون إن لم يستشهدوا في هذا الطريق، وهي التي صنعت الأمهات اللاتي حينما يفقدن شبابهن يقلن: ما زال لدينا واحد أو اثنان من الأولاد، إن مآتم العزاء ودعاء كميل وسائر الأدعية هي التي تربي الناس بهذه الصورة"^(٢).

فثورة كربلاء وهي المدرسة الحية المتحركة قادرة بما تزخر من دروس الفداء والتضحية والتلاحم والإيثار وتجاوز الذات، وبما يتفجر عنها من هدى ونور وأشواق إلى الله، وتتدفق به من معاني المروءة

(١) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٢) صوت الأمة، العدد ١٠-١١، صفر - ربيع الأول ١٤٠١هـ، ص ٩.

والشجاعة والإباء، ويشعُّ من كلِّ جنباتها من وعي وبصيرة؛ قادرة على أن توجد أمة الثورة، وأجيال الجهاد.

ولقد كان إيمان السيد الإمام بالأمة التي صنعتها كربلاء وقيمها الرفيعة ودروسها الحية إيماناً كبيراً وثقته بها عالية، واهتمامه شديداً، وعنايته فائقة وتعويله عليها بعد الله واضحاً، ولم يفتأ تشيدُ كلماته بشعب الثورة وتضحياته الكبار وملاحمه البطولية الرائعة، وتهافته على الشهادة في سبيل الله وإعزاز دينه، ومن أجل الأرض الإسلامية الغالية ومكتسبات الثورة المقدسة.

٦- وهذه كلماته التي يعبرُ فيها عن إعجاب كبير بشعب الحسين عليه السلام شعب الثورة الشعاع فيقول: "لم ير التاريخ الإسلامي - سوى في برهة من تاريخ صدر الإسلام - شباباً مثل شباب إيران اليوم، ولم يسجل التاريخ في طياته عن شعب مثل شعبنا؛ ففي أي جزء من التاريخ يمكنكم العثور على شباب يندفعون بمثل هذا العشق للدفاع عن وطنهم وفي أي مكان شاهدتم شعباً يعشق الشهادة؟! "^(١).

٧- ويقول: "إن المرأة التي فقدت ابنها في الحرب تأتي وتقدمُ أبناءها الآخرين في سبيل الله (الإسلام)، ويأتي الشيخ الذي فقد ولده في الحرب ويطلب أن يذهب بنفسه إلى القتال ليستشهد في سبيل الإسلام،

(١) الشهيد، العدد ٧٣، ١٣ محرم ١٤٠٢هـ.



ويأتي شباب يطالبون بالدعاء لهم لكي يستشهدوا في سبيل الله^(١).

٨-وها هو يخاطب خريجي مدرسة عاشوراء في الفداء والعشق الالهي:
 "أعزائي... يا من تنير للعالمين مجالس ذكركم ودعائكم ومناجاتكم في
 الليالي... وتضيء كالنجمة اللامعة في الجبهات... ويصمد يومكم كيوم
 عاشوراء أمام اليزيديين"^(٢)، وتراه يسجل بكل تواضع اعترافاً للأمة
 بدورها الضخم وينسى ذاته وعطاءاته الثرة وثوريته المحركة وقيادته
 الحكيمة أمام الشهيد (حسين فهميده) الذي له من العمر ١٢ عاماً
 فيقول: "إن قائد الأمة هو ذلك الطفل الذي له ١٢ سنة من العمر، وإنه
 بقلبه الصغير أكبر قدراً من مئات ألسنتنا وأقلامنا"^(٣).

كلمات السيد الإمام عليه السلام في مكانة شعبه:

يأتي تعبيره عن الاهتمام بالشعب المضحي والأمة المجاهدة
 واضحاً صريحاً مشفوعاً بالإشادة والتكريم:

١- الكلمة الأولى: "هذا الشعب أوصلنا إلى هذه المنزلة، فالعمل
 لصالحهم واجب وخدمتهم واجبة، فليعلم السيد رئيس الجمهورية بأن
 أبناء الشعب الذين يسرون في الأزقة والأسواق هم الذين أتوا به إلى هنا

(١) الشهيد، العدد ٨٦، ١٦ شعبان ١٤٠٢هـ.

(٢) سلسلة الولاية للثقافة ٧، ص ٢٦.

(٣) صوت الأمة، العدد ١٠-١١، ١٤٠١هـ، ص ٧.

من باريس ليصبح رئيساً لهم فعليه القيام بخدمتهم، كما أن على السيد رئيس الوزراء أن يفكر بهذا الأمر جيداً؛ لأنه يعلم أن هذا الشعب هو الذي تمكن أن يطلق سراحه من السجن ويجعله الآن رئيساً للوزراء، وكذلك أنتم أيها السادة المحترمون كانت بلادنا سجنًا ومعتقلًا عظيمًا ونحن السجناء فيه، وهذه الأيام التي نعيشها هي من صنع إرادة شعبنا^(١)، هذا من خطاب لبني صدر وبازركان.

٢- الكلمة الثانية: في خطاب لرجائي تغمده الله برحمته ولسائر المسؤولين عند رئاسته للجمهورية قال: "يجب عليكم أن تعملوا وتسعوا من أجل هذا الشعب الذي عانى طوال تاريخه، وضحي بشبابه للقضاء على النظام البائد وجاء بكم إلى الحكم"، وأضاف في السياق نفسه: "فيجب عليكم جميعاً أن تبذلوا كل ما في طاقتكم من أجل خدمة المستضعفين والمحرومين الذين عانوا طويلاً من الاستضعاف والحرمان ولم يحسب لهم أي حساب، فكل ما كان يُنفذ كان يصب في صالح الطبقات المرفهة والغنية من المجتمع، عليكم دعم ومساندة المستضعفين الذين يضحون بأرواحهم على الجبهات وخلفها"^(٢).

وهكذا يصب الإمام الكبير اهتماماً مركزاً على أمة الإيمان والجهاد والعطاء والعناية بأمر دينها ودنياها، ملتفتاً كثيراً إلى

(١) الشهيد، ١٨ شوال ١٤٠١هـ، ص ٣.

(٢) الوثائق الرسمية، القزويني، ص ١٠٠.



الطبقات المستضعفة والمحرومة لأنها وقود الثورة وخزين مادتها،
ولأنّها أول ما يكون عنها التشاغل والتغافل؛ فكم كانت الأمة
وفية لقائدها؟! وكم كان قائدها وفياً لها بحق وصدق؟!^(١).

بماذا برهن الإمام الخميني بثورته؟

وقد أقام الإمام قدس سره برهاناً عملياً للمسلمين على قدرة الإسلام
وصدقه وأصالته وجديته وعزه وكفاءته على تغيير الأوضاع السيئة
والخروج بالناس من مأزقهم الذي تسببه الأطروحات الأرضية،
والأطماع الاستكبارية، والأنظمة السياسية المهترئة.

وقد أحسن الإمام إلى الإنسانية بأن أشعر شعوب الأرض
بكرامتها الإنسانية، وحقّها في الحياة الكريمة، والتحرّر من قبضته
الطاغوتية الظالمة، ومن عبادة الأوثان، وأنّ عليها أن ترفض حالة
الاستضعاف التي يفرضها المستكبرون، وأن تتحرّك جادة في سبيل
استنقاذ الحقوق المسلوبة، والكرامة المهذورة، والإنسانية المضیعة^(٢).

ماذا كلفتا: الثورة الإسلامية والدولة الإسلامية؟

شيء ممّا كلّفته الثورة والدولة هو هذا:

اضطراب أمني هائل مزلزل في إيران. انقسامات حادة خطيرة

(١) ثورة أم وثورة شعاع، ص ١٠٤-١١٠.

(٢) خطبة الجمعة (٤١٠) ٢٠ جمادى الثاني ١٤٣١ هـ - ٤ يونيو ٢٠١٠ م.

على بعض المستويات. دماء غزيرة عزيزة من رجال ونساء. حرق ثروة هائلة. خسارة البعض لدينه في الصراع. سقوط شواهد من رجال كبار. وقوع في سلبات دينية من هذه الفئة أو تلك، ومن هذا أو ذاك. ممارسة قتل بظلم من البعض لا نستبعده في حمّة الصراع. عداوة القوى العظمى ومن يدور في فلكها. فرض أنواع الحصار كالسياسي والاقتصادي والعلمي. الاستهداف المباشر عن طريق العدوان العسكري. محاولة فرض العزلة على الدولة. حرب إعلامية شرسة واسعة. التآمر المستمر على الحكم والإثارة الدائمة للداخل، وبثّ شبكات الفساد. كلّ هذا هو شيء مما كلفت الثورة والدولة، ولا زالتا تكلفان مثله.

ماذا أعطتنا (الثورة والدولة)؟

أ- إقامة دولة بصيغة إسلامية فقدتها العالم الإسلامي لقرون متعاقبة وكادت تكون من المستحيلات حتى في ذهنية علماء الأمة ومثقفها الإسلاميين.

ب - استقلال حقيقي لشعب مسلم وحكومة بلد مسلم عن التبعية الأجنبية فكراً، إرادةً، سياسةً، وفي مختلف الأبعاد.

ج - انتقل الشعب من خانة الإلغاء والتهميش التي كانت مفروضة عليه إلى المشاركة الفاعلة في صنع الواقع السياسي وغيره مما يؤمن به ذلك الشعب ويرضاه، ومما كان مغيباً ومقصياً عنه في السابق.



د- اكتسب الشعب تصدّر الحركة الإسلامية في العالم، والموقع الأول في مواجهة الكفر العالمي، واحتلّ موقعاً مهماً جداً في الخارطة السياسية بما يفرض على الآخرين أن يحسبوا له ألف حساب بعد أن كان الكمّ التابع والمهمّل.

هـ - تحقّق للدولة -حكومةً وشعباً- مركزٌ علمي وصناعي سبّاق ما كان يحلم به لو بقي الوضع السياسي الداخلي هو الوضع.

و- أحدثت الثورة والدولة إيقاظاً عاماً لروح العزة والكرامة والاستقلال لدى أبناء الأمة من مختلف التلاوين.

ز- أيقظت الثورة والدولة حسّ التدين وأعطت احتراماً وتقديراً للدين في مختلف أوساط العالم.

ح - نشطت الثورة والدولة بطبيعتهما وانعكاساتهما التلقائية الإيجابية ووسعت حركة المقاومة في الأمة لتخلّف الداخل، وعدوان الخارج، وتعمّم فكر التغيير الصالح بصورة واسعة داخل الأمة وخارجها.

ط - أعطتنا امتداداً للإسلام في أوساط الغير، بما خلقت من أجواء انفتحت بكثيرين على التدين به بعد دينهم الأول، أو حالة اللادين التي كانوا يعيشونها.

ي - هزم الطرح الإسلامي المنتصر والمنقذ الطروحات الأخرى

المتنافسة على الساحة الإسلامية وقياداتها.

ك - أنقذتنا من ضياع شبه كامل للأمة لو امتدت بها الحال السابقة مع مضاعفات التطور السلبي الخطير على خط الانحراف عن الدين، والبعد عنه، وتنامي الهيمنة الاستكبارية على الأمة.

نحن لا نستطيع أن نتصور مدى انحذارة الأمة والمنسحق الخطير الذي كان يمكن أن تصل إليه لو لم تحدث الثورة الإسلامية المباركة، ولولا أن قامت الدولة الميمونة، لقد كان العدُّ التنازلي لمستوى الأمة سريعاً جداً وكلّ العوامل كانت كفيلة بأن تنحدر بالأمة انحذارة سحيقة مروعة.

ل - أعادت خلقاً كثيراً إلى حظيرة دين الله تبارك وتعالى والخطّ العابد الصاعد إليه سبحانه بعد مغادرة غيبة عن الإسلام، بعد انفصال خاسر عن الإسلام، بعد التيه الذي أصاب كثيراً من أبناء الأمة.

م - نشطتنا ووسّعنا ونضجتنا وعمّقنا الحركة الفكرية الإسلامية والإنتاج العلمي في إطار هذا الفكر، ودفعنا بالفقه إلى ارتياد مساحات جديدة، والانفتاح على آفاق الفقه الحركي، وفقه الدولة بما أثرى هذا البعد من الفقه، والذي كان يعاني من غياب كبير من اهتمام الفقهاء بالقياس إلى مسأله المستجدة إلا ما شذّ، لكون هذه المساحة من الفقه لم تكن محلّ الحاجة العملية في تقدير الكثير من فقهاء الأمة.



ن - استعادت ثقة جماهير الأمة بنفسها ودينها وانتمائها، وقدرتها على العودة إلى صدارة الركب الحضاري من جديد.

س - رسّختنا الإيمان والثقة عند أبناء الأمة بقيادتها الدينية الصادقة المتمثلة في فقهاء الصالحين الأتقياء الأكفاء الورعين، وقدرة هذه القيادة على تحمّل الأمانة بصدق وثبات ومبدئية تمنع أصحابها من المساومة على مقدّسات الأمة ومصالحها العليا واستقلالها وكرامتها وكم من ثورات ودول تحت قيادات أخرى باعت الدين والأمة بثمان بنحس وهي تحمل شعار الإسلام!!

ع - قطعنا يد الأجنبي عن التلاعب بثروات البلد الذي أقيمت على أرضه التجربة الإسلامية الحديثة الرائعة والتي هي في طريق التكامل إن شاء الله.

ف - قربتنا وأكّدتنا أمل الحكومة الإسلامية العالمية والنموذجية على يد قائم آل محمد صلّى الله عليه وآله، وعجل فرج قائمهم، وأعطتنا انشداداً أكبر، ورفعت من المستوى الفكري والنفسي والعملي ليوم الظهور المبارك.

ص - أوضحنا وبرهنتنا بكلّ جلاء على صدق وأهمية وأصالة الأطروحة التي قدّمها أهل البيت عليهم السلام لمعالجة مشكلة زمن الغيبة عندما ربطوا الأمة وعياً وشعوراً وموقفاً عملياً بخط الفقهاء العدول ومرجعيتهم الشاملة.

وكشف ذلك عن التخطيط الرائع والذي ينظر بعين الله للمستقبل، والذي كان على يد الأئمة عليهم السلام في زمن الغيبة.

أيهما أكبر ما كلّفنا أو ما أعطنا؟ البذل أم الكسب؟

أ- المشروع ضخم، وقد كلّف الكثير بمقتضى حجمه وأهميته، وهو بذل لا بد منه في كل المشاريع المماثلة والمشابهة، وكذلك ما هو أقلّ وزناً، وأخفض هدفاً.

ب - الحرية والاستقلالية والكرامة الإنسانية والدين العظيم لا يعادله ثمن، والإنسان بإنسانيته وحرّيته وكرامته ومبدئيته ورسالته ودينه قبل أن يكون بما يأكل ويشرب ويلبس ويسكن، ونحن أمة تبّيع دنيّاها بأخراها، ولا تبّيع أخراها بدنيّاها، أمة تضحي بضرورة الجسد لضرورة الدين والروح، ولا ترتكب العكس إلا بمقدار ما انسلخت عن هويتها.

ج - ولا طريق لتحرير الثروة، وردّ العدوان عنها، وقطع يد سرّاقها والمستولين ظلماً عليها وهم أكبر سرّاق العالم وناهبيه إلا بالبذل الكبير الذي يحفظ تدفق عائدها المستقبلي على مدى الأجيال المتعاقبة لصالح أصحابها الأرض وتاريخها الحقيقيين.

إنّه جيل واحد يضحيّ بشيء من ثروة البلد من أجل حفظ هذه الثروة لكل الأجيال القادمة، ومن أجل أن تتنامى على يده ويدها



المخلصتين الحرتين الفاعلتين.

د - وإذا عانت البلاد التي استطاعت تحرير اقتصادها من الهيمنة والسطو الأجنبي من مشكلات اقتصادية للحروب المفروضة من العدو، وألوان الحصار والتآمر، والحاجة إلى الإنفاق على التسلّح مما يحمي أمن البلاد فإنّ ذلك مرهون بوقت معين، وحتى التغلب على هذه المشكلات المثارة.

ولنتذكر حصار شعب أبي طالب الذي نال من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والهاشميين ما نال من سطوة الجوع والضعف، ولكن من نتائج ذلك الحصار أن قامت دولة عملاقة وكبرت الثروة في يد المسلمين حتى أصابت بعضهم بالجنون؛ جنون التلهي بالدين، ونسيان الآخرة.

ولا يقاس ذلك بحالة الاستسلام للعدو الجاثم على صدر أي بلد وشعب والمستنزف لخيراته، والمتصرف فيها تصرف المالك المطلق، والذي لا يبقى للشعب المستعبد إلا الفتات الذي يسمح عدوه باستمرار استثماره له.

وأنت إذا نظرت إلى شعوب البلاد الغنية بثرواتها الطبيعية وما يستخرج منها، وما هي عليه من وضع معيشي وجدتها في جمهورها العريض فقيرة جداً بالقياس إلى طبيعتها تلك الثروة ومصنعها.

وأما البلاد الفقيرة بطبيعتها فلا ينقذها استعباد الطغاة العالمين

من فقرها إذا لم تزد بذلك فقراً على الفقر، وفاقة على الفاقة، هذا إلى جانب الذلّ المقيم، والهوان الساحق.

والطغاة لا يبحثون عن بلدان يعالجون فقرها، وإنما همهم بلدان يستثمرونها، ويستغنون بها، ويستثمرون شعوبها لمطامعهم^(١).

أين صارت الأمة بعد الثورة الإسلامية؟

السيد الخميني عليه السلام وضع الأمة في موضع جديد هو موقع العزة والكرامة، ووضع عالم الكفر في موضع جديد، حجم من موقعه الظاهري وقزم من هيئته التي كانت، لكن وهو يفعل ذلك جعل الكفر يزيد تحدياً لأمة الإسلام، أمة الإسلام حينما تكون هملاً يكون لها حسابها، وعندما تكون وزناً ثقيلاً يكون لها حسابها الآخر.

إنّ الكفر لم يفتر في يوم من الأيام عن مطاردة وجود هذه الأمة، ولم يخل قلبه في يوم من الأيام من هذه الأمة، ولم تسقط هذه الأمة في يوم من الأيام في نظر الكفر سقوطاً كاملاً وفيها القرآن وفيها السنة وفيها الكعبة وفيها شعائرها، وفيها ثلة من العلماء الذين أعطوا ولا زالوا يعطون وحرصوا ولا زالوا يحرسون، لكن والأمة كذلك إلا أنّها تأتي عليها أوقات يخفّ وزنها كثيراً في نظر الكفر.

أما وقد جاءت ثورة السيد الخميني عليه السلام فكانت ثورة في داخل

(١) خطبة الجمعة (٣٢٨) ٢ جمادى الثاني ١٤٢٩ هـ - ٦ يونيو ٢٠٠٨ م.



كلّ مسلم، ثورة أشعلت فتيل الضمير عند كلّ مسلم، وأشعلت زناد الفكر عند كلّ مسلم، وفجّرت عين الروح في كلّ مسلم، مسلم - عندما أقول مسلم أيّ مسلم: مسلم، مهيء وقابل إلى أن يمتص، إلى أن يتمثل شعاع الشمس، إلى أن يستقبل المد - أقول: أما وقد جاءت ثورة الإمام الخميني عليه السلام على هذا المستوى وبهذا التأثير والموج الطاعني فلا بدّ أن تكبر حسابات الكفر لهذه الأمة، وكلما كبرت حسابات الكفر لهذه الأمة طبعاً كثرت تآمراتها وكبر كيدها، وجندت طاقاتها بشكل أكبر من أجل الإجهاز، أو التوفيق الآني - قصير المدى أو طويل المدى - لحركة وتيار الأمة.

وهنا تكبر [التحديات] كما كبرت مسؤولية الإنسان المسلم أو كبر موقع الإنسان المسلم كبر موقع الأمة فكبر تحدي الكفر للأمة واشتدت ضراوة الكفر على الأمة، وكانت المطاردة وكانت الاعتقالات وتضاعف الغزو اللاأخلاقي والخطط المدمرة لضمير الإنسان المسلم وأخلاقية الإنسان المسلم وهذا أكبر سلاح يفتك بالمسلمين، والخطط التي تنزل في كلّ أرض كبيرة وصغيرة من بلاد المسلمين لتحطّم أخلاقيتهم، لتغزو إرادة وإباء وهادفية الإنسان المسلم الشاب والشابة، ثمّ تتجاوزهما إلى الكهل والكهلة، إلى الشيخ والشيخة، وهي تشهدونها في كلّ بلاد الإسلام حيث يغيب الحكم الإسلامي.

أقول: بعد أن كبر موقع الأمة فكبر تحدي الكفر لها، واشتدت

حرب الكفر ضراوة وشدة على الإسلام والمسلمين، حرباً مكشوفة وغير مكشوفة، حرباً على المستوى الإعلامي، حرباً على المستوى السياسي، حرباً على المستوى العسكري، الاقتصادي، التكنولوجي، الثقافي، حرباً على كل الأصعدة والمستويات، هنا تكبر محنة الأمة ويعظم الامتحان والابتلاء فيسقط الكثيرون، فيقدر للكثيرين أن يسقطوا أمام الامتحان الصعب.

إذاً.. ما العمل عندما كبرت المسؤولية والتحديات؟

هنا لا بدّ من مضاعفة مستوى الإرادة، هنا لا بدّ من مضاعفة مستوى الحراسة، هنا لا بدّ من مضاعفة مستوى اليقظة، هنا لا بدّ من مضاعفة العناد والإصرار على الدرب، هنا لا بدّ من التماسك الشديد أمام التيار الصيدي اللاأخلاقي العنيف الغازي.

ثورة الإسلام الأول تجددت بالثورة الإسلامية

جاء الإسلام أكبر ثورة على يد الرسول الأعظم ﷺ، وكانت تحديات للإنسان العربي على مستواه، هل بقي مستوى التحديات هو هو؟! مستوى التحديات للإنسان المسلم بقي كما كان؟! كان الإنسان العربي ينفق اليوم والشهر من عمره والسنة والسنتين لا يحملهما كبيراً، وإذا حصل على بعض العنزات وحصل على شيء من الكلاء قرّت عينه وهدأت أعصابه، أكانت حياة المسلم الجهادية المبدئية في



ظلّ الإسلام هي تلك الحياة؟! أم أنّها حياة صعبت وأضنت وتطلّبت مستوى جديداً من الإنسان؟! ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - ولقد فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أن صعد بالإنسان حتى يتحمّل المشاكل الجديدة والتحديات الجديدة.

وهكذا كان السيد الخميني عليه السلام يركّز ويركز، ويثير ويثير، يغذي ويغذي، يسقي ويسقي، يرفد ويرفد نفسية الإنسان المسلم، روحية الإنسان المسلم، أخلاقية الإنسان المسلم، من أجل أن يصنع الإنسان الجديد القادر على مواجهة التحدي.

إنّك تدخل مع ابن عمك في نزاع، فإذا أريد لك أن تكون إنساناً في هذا النزاع لا بدّ من ماذا؟ لا بدّ من طاقة جديدة، ولا بدّ من مستوى جديد يحفظ لك توازنك في صراعك مع ابن عمك، فكيف في صراع يضعك وجهاً لوجه أمام تحدي العالم الكافر البطاش القهار الجبار المنتفخ المستكبر؟؟

السيد عليه السلام صحيح [أنه] دفع وأعطى موقعاً جديداً، لكن طبيعة الأمور تقتضي - كما اقتضت في أول الإسلام - أن يكبر التحدي، وأن يرتقب السقوط لكل الشخصيات غير المبنية، غير المرصوة فكرياً، غير المتفجرة روحياً، غير المتقدمة نفسياً، هذا يضعنا أمام ماذا؟ نحن الآن - ومن آثار الثورة المباركة المعطاءة - أمام تحدي لم نعهده يا إخوة.

اختلاف تحديات الإسلام بعد الثورة الإسلامية

أكان الكفر أمس -قبل ثورة السيد الامام الله- يلفت العالم الإسلامي نظره؟ يلفت هذا المسجد الصغير في هذه الزاوية المهملة نظره؟ ذاك المسجد الأصغر منه أكان يلفت نظر الكفر بقدر ما يلفت اليوم؟؟ طبعاً لا، التخطيط اليوم لكل جنبه ولكل زاوية من زوايا العالم الإسلامي.

أقول: إذا كان من آثار الثورة المباركة أن أعطت موقعاً جديداً من العزة والكرامة والايجابية والشعور بالثقة والعودة إلى أصالة الذات والرؤية الجديدة لهذا الإنسان المسلم، فهي أيضاً قد وضعت في امتحان صعب! وليس ذنب الثورة أن تفعل ذلك، إنها طبيعة الأمور في كل مرة تأتي ثورة تتقدم بالإنسان، فكلما كبر الإنسان تكبر همومه وتحدياته، وأنت عالم همك غيرك وأنت جاهل، وأنت غني مسؤوليتك غيرك وأنت فقير، وأنت مفتول العضل مسؤوليتك ودورك غيرك وأنت منخور العظام، أليس كذلك؟! وألم نقل بأن الإنسان المسلم في ظل الإسلام الذي دعا إليه الرسول الأعظم ﷺ وأوجد من خلاله الإنسان الحديد، ألم تتضاعف مسؤوليات ذلك الإنسان؟! ألم تكبر تحدياته؟! بلى، ألم يدخل في امتحان أن يعادي أخاه من أجل الإيمان؟! أن يخرج من كل علاقاته الدنيوية من أجل الإيمان؟!

كان ذلك -يا أخي- وكانت المواجهة الحادة، وكان التقتيل وكان



التشديد، وكان الخروج من الأموال.

فنحن الآن نعيش تحديات ضخمة لم نكن نعرفها قبل الثلاثين سنة، وما بقيت الأمة تصرّ على أن تحيا وعلى أن تتقدّم، تصرّ على أن تكون شيئاً ملموساً تحت شعاع الشمس، ما أصرت الأمة على العودة الصادقة إلى قرآنها، وقرآنها يعطيها الحياة، العودة لسنة رسولها الأعظم صلّى الله عليه وآله والمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي سنة تفجر الحياة؛ فإنّ التحديات ستكبر والامتحانات ستتضاعف صعوبة وسيثقل ما على كاهل الأمة، ومعالجة هذا الأمر تكون بالمعالجة التي فعلها رسول الله صلّى الله عليه وآله، بالتحضير الذي فعله رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعله كلّ إمام معصوم عليه السلام، فعلته قيادة الإمام الخميني عليه السلام، عناية بالجانب الروحي، صناعة للإرادة الإيمانية، التصاق أكبر بالله تبارك وتعالى^(١).

عظيمة أنتجت ما هو عظيم

تلك هي ثورة الإمام الخميني على الوضع الجاهلي المتخلف من صنع الشاه في إيران فجاءت نتائجها مثلها عظيمة.

كانت ثورة عظيمة بمبدئيتها الإلهية، ورسالتها الإسلامية، وبقائدها الشرعي المتميز الذي كان من صنع الإسلام العظيم، وخريج

(١) خطاب مسجل.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام الأصيلة الصادقة.

وكانت عظيمة بالنخبة الناضجة المخلصة الواعية، وبقاعدتها الشعبية العريضة المؤمنة الوفيّة المضحية، وبالاتفاف الوثائق القويّ من النخبة والقاعدة بقيادتها الكفوءة الموحدة النموذجية ذات البصيرة الدينية والميدانية النافذة والمتفانية في سبيل الله بدرجة عالية نادرة. وجاءت نتائج الثورة عظيمةً من جنسها، وأذكر هنا بعض الأمثلة لنجاحاتها:

١- **النقاء:** أهمها الاحتفاظ بالنقاء الذي كانت عليه الثورة في مرحلة الدولة، والتزام الخطّ الذي آمنت به في أصعب الظروف رغم ما كان عليها أن تدفعه ضريبةً لهذا الثبات والمبدئية الصادقة وهي ضريبة^(١).

٢- **بعثاً جديداً:** إنها أعطت بعثاً جديداً للإسلام والأمة على مستويات؛ على مستوى الروح، والإرادة الإيمانية الروحية، وصحة الفكر الإسلامي، والتفتح الفقهي الميداني العام، والثقة العالية بالنفس عند الإنسان المسلم والمجتمع المسلم، والحمية والغيرة على الدين، والأمة والوطن الإسلامي الكبير، وهيبة الدين والأمة في صدور الأعداء، وعزة وكرامة الإنسان المسلم، واستيقاظ روح البذل

(١) خطبة الجمعة (٥٨٩) ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٥ هـ - ١٤ فبراير ٢٠١٤ م.



والتضحية والمجاهد، والوعي الحقوقي لأبناء الأمة، والإيمان بقضية التغيير، وفرض الدولة الإسلامية المباركة واقعاً حياً، ومثالاً كريماً، ومنارة مضيئة في الأرض^(١).

٣- أهالت هيبة: إنَّ الثورة الخمينية الثرة أعطت جيلاً جديداً
من المسلمين وفي المسلمين من كلِّ مذاهب الأمة وفي كلِّ أقطارها أبعد من أن ييأس، أو يُنال من إيمانه وشموخه وصلابته، أو يتراجع أمام هول الدمار وعمليات الترويع، أو يستجيب لخطط التدجين والتميع، وأرفع من أن يصدّق بأنَّ هذه الأمة العملاقة العزيزة برهبها هي الأدنى، وبأنَّ شياطين العالم هم أعز وأعلى، وأصعب من أن يستسلم لإرادة الغزاة المفسدين، أو يهرول على طريق الانبهار والطاعة مع المهرولين من مهزومين وطامعين، وباعة الأرض والإنسان والدين والضمير^(٢).

٤- أعادت العزة: تلك انعطافة كبرى عدلت من وضع المسلمين كثيراً، وأعطت للكفر درساً، وفرضت هيبة لهذه الأمة ولهذا الدين، ولذلك أقول بأنَّها رحمة للعالمين، وقد وصلت آثار الرجل والثورة والدولة النورانية إلى كلِّ الأرض.

نعم، لولا ذلك لتعملقت الطاغوتية في الأرض أكبر من تعملقها اليوم، وعمَّ الفساد البر والبحر بدرجة أوسع مما هو متفشٍ اليوم

(١) خطبة الجمعة (٢٧٢) ٢٧ محرم الحرام ١٤٢٨هـ - ١٦ فبراير ٢٠٠٧م.

(٢) خطبة الجمعة (١١٤) ٥ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ - ٦ يونيو ٢٠٠٣م.

بدرجات^(١).

الحفاظ على الثورة الإسلامية مسؤولية كل مسلم

الثورة الإسلامية المظفرة على يد الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في إيران، وسحقه للوجود الاستكباري الجاهلي فيها وإقامة الدولة المباركة كان فيها عودة كبيرة للحضور الإسلامي في الساحة المحلية للثورة والدولة وما حولها وفي العالم، وأكبر انتصار للأمة وللإنسانية أن تشهد حضور الإسلام في واقعها، وتهتدي إليه، وتأخذ به.

وإنَّ الأُمَّة - كلَّ الأُمَّة - لمسئولة أن تحافظ على هذا النصر لأنَّه نصرها، وأن تحرسه وتذود عنه لأنَّ في بقاءه عزاً لها ومكانة وقوة، وهو باب خيرٍ ونهضة وبركة فتحة الله عليها لا يجوز لها التفريط في شأنه والإهمال لمسؤوليته.

أمَّا الموقف من التهديد الاستكباري لأي دولة من دول العالم الإسلامي فالواجب الشرعي الصريح أن تنظر إليه الأُمَّة بكامل حكوماتها وشعوبها على أنَّه تهديد لكل وجودها، ولأي شبر من الأرض التي تقيم عليها، وأن تقف في وجهه بكل ما أوتيت من قوة حماية لنفسها ودينها وكرامتها، وهذا هو التعامل الذي تتعامله كل الأمم والكيانات المشتركة مع أي تهديد يأتيها من الخارج ولو لجزء

(١) خطبة الجمعة (٢٨٧) ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٧م.



منها.

وإنَّ قوة أيِّ بلد إسلامي يجب أن تكون قوة داعمة لحقِّ الأمة ولوجودها الكامل، ولا يُساء استعمالها بأن يتوجَّه منها أيُّ ضرر لأيِّ بلد إسلامي آخر، ولا أن تكون للعدوان الغاشم على أيِّ بلد في العالم، وهكذا يلتزم البلد الإسلامي الحق.

هذا ما نفهمه بكلِّ وضوح وجلاء من الإسلام الذي يتحتَّم على الأمة أن لا يكون لها خيار في التعامل مع كلِّ القضايا غيره^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٩٤) ٢٧ صفر ١٤٣١هـ - ١٢ فبراير ٢٠١٠م.

الفصل الخامس:

ولاية الفقيه في رؤية الفقيه المقاوم حفظه الله

الفصل الخامس:

ولاية الفقيه في رؤية الفقيه المقاوم حفظه الله

تمهيد

هناك توجس وتحسس عند السياسي من الديني في ساحاتنا الإسلامية والعربية بدرجة كبيرة، وهذا التوجس والتحسس يقود إلى التهويل والتأويل، وتقوم عليه خطط خاطئة، وتبنى عليه سياسات غير صحيحة، ويحدث كثيراً من التوترات، والساحة المحلية في مسألة ولاية الفقيه يمكن أن تكون مثالا لذلك^(١).

فما من حكومة إلا وتريد أن تأمن على كرسيها، وقد تكون معتدلة في خوفها على الكرسي، وقد يستبد بها خوفها، وتبلغ حد الهوس. وفئة الانتهازيين من أكلة لحوم الناس سبب في مبالغة الخوف عند الحكومات دائماً.

وفي المقابل ما من شعب إلا ويريد أن يأمن على معيشتة وحقوقه، ويهمه أمنه وكرامته. وما من أهل دين أو مذهب إلا ويريدون أن يأمنوا على سلامة دينهم ومذهبهم واستقلاليتهم في أي وطن كانوا من الأوطان^(٢).

(١) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨م.

(٢) خطبة الجمعة (١٧٨) ٢٧ شوال ١٤٢٥هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠٠٤م.

أما تدخل السياسة في قناعات الناس العلمية في المساحة الدينية وغيرها فهو أمر مستغرب، وبعيد عن الموضوعية، ومن شأنه أن يجر متاعب جمّة في أي بقعة من بقاع العالم حصل فيها هذا الشيء، وهو خروج من السياسة عن اهتماماتها وعن دائرة كلّ الاحتياطات لمصالحها، ولا وجه له على الإطلاق.

والناس -من أي دين ومن أي مشرب ومن أي مذهب ومن أي وجهة نظر علمية أو دينية- ليسوا مستعدين أن يتنازلوا عن قناعاتهم خاصة ما كان منها دينياً ثابتاً.

يدعو إلى هذه الوقفة مع قضية ولاية الفقيه كثير من الكلام بهذا الصدد على لسان الصحافة، وهو كلام يفتقد الدقة والموضوعية، ويأخذ بالتزويد والإضافة والتخرصات والتهويل والتضخيم ليبيّن نتائج كثيرة واهمة^(١).

وعلى الحكومة أن تفرق بين أمرين، الفرق بينهما شائع جداً، وهما: المطالبة بالحقوق المتفق عليها والتي لا بدّ منها، ثم تهديد النظام، فلا ترتقب من الشعب أن ينام عن حقوقه، ولا فخر في حكم شعب لا يعي حقوقه ولا يطالب بها.

والعلماء يدركون كلّ هذا، ويهتمهم ما يهم غيرهم من أبناء

(١) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩ هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨ م.



الشعب من الحفاظ على الحقوق، والتأمين على مستوى معيشي كريم للشعب، وأن يأمن أهل الأديان السماوية وأهل المذاهب على أديانهم ومذاهبهم، فلا تصدر حرية الشعائر، ولا يمتلك على أهل دين أو مذهب أمر دينهم ومذهبهم، وتكون رعاية مصالح الأديان والمذاهب بغير يد أهلها، وعلى خلاف نظرها.

وعلى الحكومة أن تطمئن الشعب على اهتمامها فعلاً بأمر معيشتهم، ورعاية حقوقه السياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها، وتطمئن أهل كل دين على دينهم، وأهل كل مذهب على مذهبهم. ولن تجد من حرية المذاهب واستقلالية قرارها في رعاية شؤونها ومصالحها الدينية ما يضر بأمنها.

بينما - وللأسف الشديد - يقوم الفساد الإداري، والمالي، والبطالة، وغياب التأمين المعيشي للعاطلين والعاجزين، والتجنيس والتهميش السياسي للشعب، على مستوى الدستور، والتدخل في الشؤون المذهبية، ومضايقة الشأن الديني عامة، شواهد حية صارخة على عدم وفاء الحكومة بتعهداتها لحد الآن^(١).

الفكر السياسي الشيعي والأنظمة الوراثية

لألامس وتراً أكثر حساسية في الموضوع المطروح، وهو أن النظام

(١) خطبة الجمعة (١٧٨) ٢٧ شوال ١٤٢٥ هـ - ١٠ ديسمبر ٢٠٠٤ م.

ربما عاش هواجس خاصةً من الفكر السياسي الشيعي، بما فيه من مسألة الإمامة وولاية الفقيه، مما قد يفكر بأنه لا يستقيم مع تقبل الحكم الوراثي في البلد.

وقبل معالجة هذا الأمر المثير للحساسية جداً، لا بدّ أن نلتفت إلا أن الفكر السياسي السني يرتبط بالخلافة الراشدة وشروطها، وإن الفكر الديمقراطي لا يقبل بتعيين الحكومات، ولا يصلح قاعدةً في أفقه الواسع، ومعناه العميق، قاعدةً للحكم الوراثي، ولا يعتبر الشرعية لما تفرضه لغة الأمر الواقع.

فالإشكال من هذه الناحية ليس خاصاً بالمذهب الشيعي، إنما يعم المذهب السني، ويعم الديمقراطية الغربية.

أما ما يعالج إشكالية المفارقة بين الفكر السياسي الشيعي، وصيغة الحكم الوراثي، وما تثيره هذه المفارقة من شك في الموقف العملي الشيعي في المسألة، فالكلام فيه يمكن أن يكون بالنحو التالي:

يجب أن نفرق بين الشرعية الدينية لنظام الحكم، وكونه حكماً إلهياً، ومن صناعة قرآنية، وبين شرعية قبوله عملياً، والتعامل معه، مما يحفظ مصلحة الوطن والأمة، ويؤمن الاستقرار، ويبقى من الكوارث، ويساعد على التقدم.

وليس على الناس وغير مطلوب منهم أن يعتقدوا في داخلهم



بأن النظام الفلاني منزل من عند الله، ولو كان هذا هو المطلوب، فإنه غير حاصل من الشيعي ولا من السني بالنسبة لكل الأنظمة الوضعية على الإطلاق.

فكما أن الشيعي لا يعتقد بأن النظام الوضعي الذي يحكمه هو نظام قرآني، منزل من عند الله، كذلك السني لا يعتقد بأن النظام الوضعي منزل من عند الله، وأنه نظام قرآني.

فالشرعية الدينية لا يمكن اتصاف أي نظام بها، ما لم تكن البيعة له مقيدة بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله، وعلى أساسهما في كل المذاهب. كل المذاهب ترى أن أقل ما يحقق صفة الشرعية الإسلامية والإلهية لأي نظام، هو أن تكون البيعة معه على أساس كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وآله، لا على أساس دساتير وضعية، فإن البيعة على أساس الدستور الوضعي لا يمكن أن تحقق الشرعية الإلهية كما هو بديهي عند جميع المسلمين. وليس الأمر خاصاً بمذهب دون مذهب. فالنظام لا يكون دينياً في ظل دستور وضعي عند المسلمين على الإطلاق.

ثانياً: إن سادة المذهب الإمامي وأئمة المعصومين عليهم السلام، قد عاشوا في ظل حكم غيرهم لقرون، ولم يقودوا ثورة ضد أنظمة الحكم التي عايشوها، ولم يسجل عليهم أن حاكوا مؤامرة للإطاحة بها. وثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لخصوصية في يزيد وحكمه، الذي كان

يهدد الإسلام والمسلمين بالمحق الكامل، ولما أراد من إكراه الإمام الحسين عليه السلام على البيعة، وما كان عليه وضع الأمة من الاقتراب إلى الهاوية. والحسين عليه السلام نفسه لم يسمع لمن أراد أن يثور على حكم معاوية. والأئمة اثنا عشر، والثائر منهم على الحكم المخالف هو إمام واحد، والإمام الثائر سيرته حجة، والأئمة الآخرون سيرتهم حجة.

وحين يهدد الإسلام، ويعمل أي نظام على اقتلعه من جذوره، فحينئذ لا يتوقف شيعي ولا سني عن الثورة ضد ذلك النظام.

أما في الظروف العادية فإنه كما يمكن للسني أن يتعايش مع الأنظمة القائمة بإذن من مذهبه، فكذلك يمكن للشيعي أن يتعايش مع الأنظمة القائمة بإذن من مذهبه. وفي سيرة المعصومين عليه السلام حجة قاطعة، وهي ثابتة في هذا المجال^(١).

الشيعية والولاء للوطن:

١. هل الشيعية من طبيعة أخرى غير الناس؟

كل الناس مجبولون على حب أوطانهم، والارتباط بعاطفة خاصة تربطهم بالتربة التي يعيشون فيها، وهي مسألة وجدانية لا تكاد تخلو منها نفس. فعجيب هذا الذي يثار بقوة بالتشكيك في حب الشيعي لوطنه.

(١) المصدر نفسه.



٢. وما هو الولاء للوطن؟

أن أسجد أن أركع للأشخاص؟ أن أسبح أن أقدّس ليل نهار
للأشخاص؟ إن التسبيح والتقدّيس لله وحده.

ما هو الولاء للوطن؟

هو الميل النفسي له بحسب الطبيعة البشرية، ثم الحرص على
سلامة مصالحه، وطلب تقدم أوضاعه الكريمة، لا الساقطة والخبثية،
السعي في منفعة ووحدة وصلاح أبنائه، عدم عون أعدائه عليه،
الدفاع عنه. وماذا يُراد من الشيعة أكثر من ذلك؟ وماذا يراد من السنة
أكثر من ذلك؟ ماذا يُراد من السنة في دولة شيعية أكثر من ذلك؟
وماذا يراد من الشيعة في دولة تحكمها حكومة سنية أكثر من ذلك؟
والشيعة كما أثبت واقعهم غير مستعدين أن يُسلموا شبراً واحداً
من الأوطان التي تضمهم إلى أي طامع. أمام الدنيا ثورة العشرين في
ظل الحكومة العثمانية، والتي قادها الفقهاء، وأعطى العراق من شيعته
تضحيات ضخمة في سبيل إنقاذ البلد المسلم من الاستعمار الكافر.

هناك وثيقة فيما أتذكر لصاحب الكفاية الشيخ الآخوند
وأضرابه، تحت الشيعة على الانتصار لإخوتهم في المغرب العربي أمام
الزحف الفرنسي.

ماهو الموقف في جنوب لبنان؟ ومن أصبر من الشيعة في مواجهة

إسرائيل في تلك الساحة الساخنة؛ ساحة الدماء والأشلاء؟ كيف كان شيعة الكويت في الموقف من الغزو العربي للبلد العربي، من غزو حارس البوابة الشرقية للكويت؟

٣. دعونا نقف وقفة تسأل عن العلاقة بين الولاء للوطن

والدين؟

بين الولاء للوطن والولاء للأمة المسلمة، والولاء للوطن والمطالبة بالحقوق. الولاء للدين وللمذهب الذي أراه الدين، وأراه الصورة الأنصع للدين كما يرى أصحاب المذاهب الأخرى أن مذاهبهم هي الصورة الأنصع للدين، ومن حقّي أن أرى مذهبي هو ما يمثل الدين الحقّ في صورته الدقيقة الكاملة، وإن كان كلّ الآخرين من أصحاب المذاهب الأخرى مسلمين، كما هو من حق الآخرين أن يروا مذاهبهم هذا الموقع وهذا الوزن.

ولائي للدين ينقض ولائي للوطن؟! إن الدين ليدفع في اتجاه ولاء الوطن، ويقوم على تعاليمه ولاء الوطن، ولكن ولاء الوطن الذي لا يعني بيعه للأجانب -الذي يعني وجود القواعد الاستعمارية في الأرض الإسلامية- هذا هو ما يسمى الولاء للوطن؟! والذي يدافع عن أصالة وطنه، وعن إسلامه، وعن الأخلاق الموروثة لهذا البلد هو الذي يرمى بعدم الولاء؟!!



الذين يبيعون الأوطان للأجانب، للكفرة، ويثبتون أقدامهم في أرض الإسلام هم أصحاب الولاء؟! والمواطن السنّي، والمواطن الشيعي الذي ينكر على استعمار المستعمر لبلاد الإسلام يمكن أن يتهم بفقد الولاء؟!

وهل الولاء للوطن يقطعني عن الولاء للأمة المسلمة؟! البحرين جزء من الوطن العام الإسلامي، وحبّي للبحرين حبّ للناس، لمصر، حبّ للسعودية، حبّ لكل بلد آخر، أنا عندي حبّان لهذا الوطن: حبّ جبليّ، حبّ عادي هو الحب الذي يورثه حب الارتباط بالترربة منذ نعومة الأظفار، ولأنه وطن الآباء والأجداد، والشيعه هنا من العصر الأول في الإسلام، فهم لا بدّ أن يحبّوا هذا الوطن من هذا المنطلق.

وهناك حبّ آخر أشرق وأركز وأوعى وهو أن حبي للبحرين لأنّها بلد الإسلام والإيمان، وهذا الحبّ منتشر على كل شبر من الأرض الإسلامية الكبرى.

الذين يريدون لي أن أحبّ البحرين لأبغض مصر، أن أحبّ البحرين لأبغض السعودية، لأبغض أفغانستان، لأبغض إيران، لأبغض أي شبر آخر من أرض الإسلام فهم يطلبون مُحالاً.

وإذا طالبت بحقوق مُضيعة، وإذا طالبت بموقعي الوطني اللائق بي، وإذا طالبت باللقمة، وإذا طالبت بالدار، وإذا طالبت بحق أولادي في

التعليم وفي التوظيف، وإذا طالبت بدستور عادل أكون قد فقدت ولائي للوطن؟! وهل الولاء للوطن مربوط بالظلم؟ وبالسكوت عن الحقوق؟ فهم لا يمكن أن يقبل.

٤. الشيعة في البحرين:

وهم مواطنون من العصر الأول الإسلامي في هذا البلد، قديماً دافعوا عن هذا الوطن بكل بسالة، وأعطوا لهذه التربة العرق والدماء. وحديثاً تظاهروا ضد الغزو الأمريكي للعراق ليقولوا بأن العراق والبحرين وطن واحد، وأن قدم الأجنبي كما لا يقبل المواطن العربي المسلم أن تُدنس أرض البحرين عليه أن لا يقبل أن تُدنس أرض العراق.

اختاروا للبحرين على المستوى القومي الانتماء العربي وقالوا باستقلالها عن إيران.

صوّتت أغلبيتهم الساحقة مع الميثاق طلباً للإصلاح الوطني، وما تخلّف متخلف إلا لملاحظات موضوعية داخلية لا ربط بها بالخارج على الإطلاق، ومنها ما حدث من ذهاب وعود رسمية أدراج الرياح، وهو ما كان متوقعاً، ومنها خروج عن مؤدى مواد رئيسة في الميثاق. وهذا مما كان منظوراً إليه.



٥. ماذا يراد من الشيعة حتى يكونوا مواطنين صادقين،
ولتصدق وطنيتهم؟

أن يعلنوا البراءة من أي بلد إسلامي، وأن يعلنوا الولاء
لإسرائيل؟ أبراءة من الإسلام والمسلمين وولاء لإسرائيل وأمريكا هو
شرط الوطنية؟!

الله أكبر. أنت توالي إسرائيل وأمريكا، وتتبرأ من قضايا إسلامية
كبرى وتُفسح الطريق للاستعمار الأمريكي للبلاد الإسلامية وأنت
مواطن! وأنا الغيور على البحرين وعلى مصر، وعلى تركيا، وعلى
أفغانستان، وعلى إيران وعلى كل شبر من بلاد الإسلام لا أكون
مواطناً في بلد الإسلام؟!

براءة من الإسلام، ومن المسلمين، وولاء لإسرائيل، ولأمريكا
إرضاءً للرجبة الأمريكية، أهذه هي العروبة؟ أهذه هي الوطنية؟ أهذا
هو الإسلام؟ لا يمكن أن نبرأ من الإسلام والمصالح الإسلامية في أي
شبر من أرض الإسلام، ومعبودنا الله وحده لا أمريكا ولا غير
أمريكا.

٦. [تصريح الرئيس المصري^(١)]:

ولو جئنا لتصريح الرئيس المصري فإنه خطير بمقاييس كثيرة:

(١) العنوان منا، والمقصود الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك.

خطير في صراحته التي صدمت ملايين من العرب المسلمين، ومثلت خطراً جدياً عليهم، وتحريضاً خطيراً جداً، والتصريح خطير في توقيته، لأن العراق تلتهب طائفيًا، ولأن العراق تحترق طائفيًا، خطير بحسب الموقع الرسمي الكبير الذي يشغله صاحبه بما هو رئيس أكبر دولة عربية^(١).

أصب للزيت المشتعل على محرقة الطائفية في العراق؟!
أحرق أكثر للشيعة والسنة في بلاد الرافدين؟! الكلمة لا تحرق الشيعة فقط، وخاصة في العراق، إنما تحرق الشيعة والسنة.
أتوسيع للمحرقة لتلتهم نارها المنطقة بكاملها وكل بلد فيه شيعة وسنة، وحتى سنة فقط؟! لأن من السنة من له الوعي الكافي، والغيرة الإسلامية الكافية، ويوم يجد تحريك الاقتتال في داخل البلدان التي تعيش سنة وشيعة ربما وقف هذا في البلد الواحد السني مع السنة، وربما وقف آخر فيه كذلك مع الشيعة لو تبين له أنهم المظلومون^(٢).
أبعثرة وتشظية أكثر إمعاناً، لأمة مزقتها الخلافات المفتعلة والفتن المثارة؟

(١) والتصريح خطير في نفسه حتى من دون هذه الحيليات. «منه حفظه الله»
(٢) قد تجد من السنة من ينتصر لإخوانه الشيعة في خلاف يكون فيه السني ظالماً، والشيعي مظلوماً، وقد يجد من الشيعة من هم كذلك لو انعكس الأمر، وإن كان هذا ليس كثيراً في الطرفين لبعده عن الإسلام. «منه حفظه الله»



أَتتناغم الكلمة من المسؤول الرسمي الكبير جداً على مستوى الأمة العربية مع المطمح الأمريكي والإسرائيلي بأن لا تقوم لهذه الأمة قائمة من بعد فتنة شاملة مهلكة قاضية تبدأ ولا تنتهي؟ إن هذا مترتب سواء كان مقصود الكلمة هذا أو لم يكن هو المقصود ولا نريد أن تحكم على النيات والله هو العالم.

نحن متأكدون أن تصريح الرئيس ليس على خطّ شعبه رأياً، وضميراً وتوجّهاً، وهدفاً، وموقفاً عملياً، وكلمةً ناطقة. الشعب المصري المسلم شعبٌ غيور على عروبته، غيور على إسلامه، صادق الوعي، يقظ الشعور.

٧. [كلمة أخرى إيجابية]:

وإننا نثمن عالياً لرئيس الوزراء الكويتي كلمته الإيجابية الصريحة بحق الشيعة في الكويت التي برّأتهم تماماً كما هم برّاء حقاً من التهمة الجزافية لكلمة الرئيس، وفي نفس الوقت نأسف كل الأسف أن لم يكن تصريح من حكومة البحرين في حق شيعة هذا الوطن بنفس المستوى الرسمي، ودرجة التبكير، والقوة والنقاوة التي كان عليها التصريح لرئيس وزراء الكويت.

٨. [تعليق أخير]:

والتعليق الأخير في هذا الموضوع المؤلم المؤرق، الذي مثل إنذاراً

بزلال كبير داخل الأمة: أن الشيعة سيقون هم الشيعة المخلصين لأوطانهم التي هي أوطان المسلمين جميعاً، لا يُضحّي أحدهم بتراب وطن من هذه الأوطان، ولا يبيعه على أحد من خارج الأمة أو من داخلها، ويدافع عن حريمه، ويحرص على وحدته ووحدّة الأمة، ويخدم مصالح أرضه كما علّمه الإسلام الذي يتلقّاه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة المعصومين من أهله التي هي عينُ سنته^(١).

وإذا كانت أرض من أرض الإسلام لا يسكنها شيعيٌّ واحد فهي أرض الشيعة كما هي أرض سائر المسلمين في نظرنا، يهمنّا أمرها، وألا تقع في اليد غير الإسلامية. والدعمُ الشيعي لقضية فلسطين من أول أيامها واضح للعيان على كلّ المستويات الشيعية ابتداءً من مؤسسة الفقهاء، وهذا شيء لا غبار عليه والمنطلق للوقوف مع الحق الفلسطيني إسلاميٌّ لا يمكن أن يتغير في يوم من الأيام على الإطلاق^(٢).

لماذا الاعتراض على ولاية الفقيه؟

الاعتراض في جهتين:

(١) وليس كما تعلّمه أمريكا، وكما يريد الإسلام لا كما تريد أمريكا أو غيرها من بلاد الاستكبار. «منه حفظه الله»

(٢) خطبة الجمعة (٢٣٨) ١٥ ربيع الأول ١٤٢٧هـ - ١٤ ابريل ٢٠٠٦م.



- الاعتراض إما أن يكون من المسلم أو غير المسلم هذا من جهة.

- ومن جهة أخرى:

١. إما أن يكون اعتراضاً على أصل النظام الديني، والحكم باسم الدين، ومن منشئه، وتحت نظره، وأخذ الشرعية منه، وإن كان بتوسيط البيعة الحرة التي تعني التصويت الانتخابي الحر.

٢. وإما أن يكون اعتراضاً على وصف الفقاهة أو العدالة في المحاكم، للتأثير السلبي لكلا الوصفين أو أحدهما على كفاءة الحكم ونزاهته وعدم تفرده.

وقالوا بأن ولاية الفقيه لون من فرض الوصاية على الآخرين، واتهام لهم بالقصور، وهو نوع من تهميش كفاءات الآخرين وعزلها وإقصائها.

أولاً: الكلام مع غير المسلم في اعتراضه على المنشأ الديني الإسلامي للحكم يسبقه الكلام عن قيمة الدين والإسلام ودورها في الحياة، ولهذا الكلام مكان آخر، وكذلك بالنسبة للكلام عن شرط الفقاهة وإيجابيته وسلبيته التي تلحق بالحكم، أما العدالة فلا أظن بعقل ممن يرجح الخير على الشر يسجل اعتراضاً عليه.

ثانياً: أما الكلام مع المسلم في اعتراضه على حكومة الفقيه

وولايته:

١. فإن كان من جهة المنشأ الديني لهذه الحكومة، وأن الدين لا يصلح منشأ للحكم مطلقاً للفقهاء أو غير الفقهاء، لعادل أو غير عادل، فإن كان ذلك بحجة دينية فلو ثبتت وهي على خلاف الضرورة الدينية في الإسلام فإن فيها تخطئة لرسول الله ﷺ الذي حكم باسم الدين وأخذ شرعية حكمه منه، وتخطئة لكل من نظرت الإمامة، والخلافة عند المسلمين، لأن الخلافة عند من يقول بها إنما تقوم على أن الدين يحكم، وكذلك الإمامة، فلو خطأنا الحكم باسم الدين وعلى أرضية الدين ومن منشأ الدين فقد ألغينا شرعية حكم رسول الله ﷺ فضلاً عما بعده من معصوم أو غير معصوم.

٢. وإن كان بحجة خارج الإسلام وعلى خلاف رأيه ففي ذلك مفارقة واضحة، وعدول من هذا المسلم عن إسلامه ولو في هذه المسألة وهو جرح عظيم في إسلامه، وأمر يدخله في عداد الآخرين في النقاش المتعلق بهذا الموضوع.

٣. ولو كان هذا المسلم لا يبدي اعتراضاً على الرجوع إلى الدين في الحكم، وإضفاء الشرعية على الحكومة من خلاله، ولكن اعتراضه ينصب على الحكومة باسم الإسلام لو اشترط فيها الفقه والعادلة، أو حتى جوزت للفقهاء العادل أن يحكم لكان ذلك من المنكر الذي لا يستقيم مع دين الله في شيء، ولا مع عقل، ولا نظر عقلائي.



الدين يقول بأن العدالة مانعة؟! والدين يقول من فهمني لا يصلح حاكماً؟! العقل يرى أن العدالة مانع للحكم؟! يرى أن العلم والفهم مانع للحكم؟!

منشأ الحديث عن ولاية الفقيه خارج واقعها السياسي

لماذا الكلام والبحث في مسألة ولاية الفقيه وحكومته في ساحة ليس لها في حياتها وواقعها السياسي ارتباط بالمسألة كساحتنا، ولها نظامها الخاص المعروف؟
والجواب كالآتي:

١. الكلام في ولاية الفقيه من حيث البعد الديني للقضية، وهل هي منسجمة مع الطرح الديني أو هي بدعة في الدين ومجافية له، وليس الكلام فيها من حيث البعد العملي السياسي والناحية السياسية التي قد يتفق عليها وضعان سياسيان أو يختلفان.
٢. الساحة الإسلامية العربية عامة بل الإسلامية والعالمية، وليست الساحة المحلية فحسب صارت مشحونة بالهجمة الإعلامية والتهريج والتنديد والسخرية والكذب والاستهزاء والإثارات الاستفزازية المستهدفة للفكرة وحتى باسم الدين. وفي هذا تطاول كبير على الدين، وتحريف له، وتزييف للحقائق لا يصح السكوت عليه.

٣. سبق القول بأن كثيراً من المناقشات في الموضوع تنصب على

أصل الحاكمية للدين بأي وجه من الوجوه، وبأي لون من الطرح، وترفض هذه الحاكمية أساساً وعلى الإطلاق.

٤. إن التعطيل العملي لأي فكرة من أفكار الدين يمثل خطراً عليه، لكن الأخطر من ذلك تشويه هذه الفكرة، ومحاولة إسقاطها حتى على المستوى النظري، وفصلها عنه. وهذا ما صار إليه موقف كثير من أبناء الأمة -من هذه الفكرة- فلا بد أن يتصدى لمثل هذا التشويه للإسلام^(١).

ما هي حكومة الفقيه وولايته^(٢)؟

إنها تعني أن الشريعة -وهي لا ترى في الأصل ولاية لأحد على الناس إلا بأمر الله سبحانه- قد أعطت إذناً للفقيه العادل الخبير الكفؤ في غياب الرسول ﷺ، وعموم المعصوم عليه السلام عن الساحة العملية لحياة المسلمين؛ بحيث لا يمكن الرجوع إليه -أي المعصوم- في الحكم وتدبير الأمور في الزمن الطويل.

أعطته أن يتولى منصب الحكومة حيث يمكنه ذلك، وعلى المسلمين أن يختاروه على غيره لهذا الأمر ويعينوه عليه، ويدخلوا في البيعة له فيه، فإذا ذهب المسلمون عملياً إلى هذا الخيار، أو أخذ به

(١) خطبة الجمعة (٣٧٨) ١ شعبان ١٤٣٠هـ - ٢٤ يوليو ٢٠٠٩م.

(٢) والتي تستحق كل هذا الاستغراب والاستبشاع والإنكار والتهريج والضجيج والاستهجان والمواجهة والمحاربة!! «منه حفظه الله»



بلد من بلدانهم تمت الحكومة الفعلية لمن اختاروه من الفقهاء العدول ولو في حدود المكان الذي تمت له البيعة في إطاره.

ولا بد أن تكون البيعة على كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، ليحكم العلاقة بين الطرفين، ويكون لهما الفصل في محل الخلاف، وإذا وضع دستور معين يأخذ كل أحكامه من الكتاب والسنة وجرت البيعة في إطاره فهي بيعة على الكتاب والسنة والحاكمية إنما تكون لهما عليه.

وعليه فإن الحكومة دستورية على الفرضين، والطريق إلى فعليتها هي البيعة، واختيار الناس.

وإذا تم للفقيه العادل الوصول إلى موقع الحكم بهذه الطريقة، وكان عليه أن يتقيد في حكومته بالصلاحيات المعطاة له دستورياً، ولا يتعداها، وكانت ولايته في مساحة الشأن العام وما يتعلق بها من حياة الأفراد، وحكم من خلال المؤسسات الدستورية، واستعان بأهل الخبرة، وكان تحت رقابة مؤسسة معتمدة من الدستور فما هو محل الاعتراض على هذه الحكومة الإسلامية الشعبية؟ وأين هي الوصاية التي تستقل هذه الحكومة بها عن باقي أنواع الحكومات؟ وكيف تجب طاعة كل الحكومات الأخرى إلا هذا النوع من الحكومة؟!

يمكن فرض الآتي في سبب الاستنكار، وعدم الطاعة:

١. شرط الفقهية: -وهي علم اجتهادي بالشريعة- ولو كان كذلك فمعناه تقديم الجاهل على العالم، واشتراط الجهل في موقع الحكومة.
٢. شرط العدالة: ومعناه أن الفسق والظلم والتحلل مقدّم على العدل والاستقامة والالتزام.
٣. الاحتكام إلى الشريعة: وإذا صح لغير المسلم أن يتفوه بهذا فإنه لا يصح للمسلم. وغير المسلم سبق أن النقاش معه يأتي في الرتبة قبل هذه المسألة.
٤. أخذ الشرعية من الإسلام: والكلام فيه كالكلام في سابقه.
٥. قيام فعلية الحكم وثبوته للفقهاء العادل من بيعة الناس واختيارهم: وهذا إذا طرح من الديكتاتوريين فإنه لا ينبغي طرحه من الديموقراطيين، العيب أن الناس بايعوه!! المانع من طاعة حكومته أن الناس بايعوه، وأن بيعته حرّة؟!
٦. أن تكون للفقهاء العادل حكومة بعد إذن الشريعة واختيار الناس: وهذا من أغرب ما يستغرب. وهل يوجد حاكم بلا حكومة؟! وعدم الاعتراف بصلاحيّة الحكم، وعدم الوجوب الدستوري، أو الشرعي الإلهي لطاعة هذا المنتخب يجعلنا محتاجين إلى منصب آخر تكون له صلاحية نفاذ الحكم مثل منصب رئيس الوزراء. فلما كانت ملكة بريطانيا بلا مسمّى احتاج ذلك البلد إلى من له الاسم والمسمى ليملأ فراغ الحكومة وتنفيذ أوامره الحكومية



على المحكومين في حدود الصلاحيات المتاحة له من ناحية دستورية^(١).

تساؤلات عقلانية حول مسألة ولاية الفقيه

١. ما هو التخريج الذي صارت به خلافة الخلفاء غير المعصومين بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرعية وملزمة، ولا يجوز ردها، ويجب على الأمة الأخذ بمقتضاها من الطاعة والنصرة، ومع ذلك لا يجري في مسألة حكومة الفقيه المسلم العادل؟ والسؤال مطروح على كل من يسلم بخلافة الخلفاء ولا يسجل عليها اعتراضاً دينياً، ويتعبد بشرعيتها.

٢. كيف صارت بيعة الملوك في زماننا مكسبة لحق الحكم ونفوذه، ومصحة لمحاربة الخارج عليه، بينما إذا كانت البيعة لفقيه عادل من فقهاء الأمة - من أي مذهب كان - لا تولّيه على من بايعه؟! وكيف يصلح ذاك ولا يصلح هذا؟! وإذا ولّته كان مسلوب الصلاحيات وممنوع الحكومة؟! وإذا مارسها كان الجبار، والدكتاتور، والمستخف بعقول الناس وأقدارهم وأوزانهم وأنه يفرض الوصاية على غيره؟!

السؤال مطروح على من يعطي الملكية - المرتبطة بلون ما من البيعة ولو الضيقة أو الشكلية - بعداً دينياً صارماً ملزماً وحجية شرعية نافذة.

(١) خطبة الجمعة (٣٧٧) ٢٤ رجب ١٤٣٠ هـ - ١٧ يوليو ٢٠٠٩ م.

٣. ماذا لو رجع أمر الأمة الإسلامية اليوم للاختيار الحر لشعوبها في شأن التولية عليها، واختيار حكومتها الواحدة، أو حكوماتها المتعددة؟ فهل سيجد أهل العلم والدين من كل مذاهبها أو أي مذهب خاص منها أن الفقهية والعدالة مانع من سلطة الحكم، ونفوذ الأوامر والنواهي الولائية أو السلطانية كما هو التعبير الآخر، وأنه حتى تنفذ هذه الأوامر والنواهي شرعاً لا بدّ من شرط عدم الفقهية، وعدم العدالة؟!

هل سيجد أحد منهم من دين الله عز وجل ما يقول له بتقديم الجاهل على العالم، والفاسق على العادل؟!

وهذا سؤال مطروح على كل ذي دين من أتباع كل المذاهب الإسلامية.

إنه لمن الغريب جداً أن ينتهي مسلمون ومن ناحية إسلامية إلى أن ولاية غير الفقيه العادل ثابتة لا مرأى فيها، وأن ولاية الفقيه العادل مُتردّد فيها بل هي من المنكر الفظيع^(١).

هل نحن مخيرون بين الإسلام وغيره؟

أولاً: التخيير التكويني: من ناحية تكوينية نحن مخيرون، يعني أنت تمتلك قدرة على أن تختار الإسلام وعندك الإرادة الكافية لأن

(١) خطبة الجمعة (٣٧٨) ١ شعبان ١٤٣٠هـ - ٢٤ يوليو ٢٠٠٩م.



تختار الإسلام على غيره، أو تختار غيره عليه، وهذا واضح. الكل منا يمتلك إرادة كافية موهوبة من الله بِهِدَايَتِهِ لأن يُقدم الإسلام على غيره في حياته أو أن يقدم غيره عليه.

ثانياً: **عدم التخيير التشريعي**: أما التخيير التشريعي: يعني هل هناك تشريع في الإسلام يُخير الإنسان بين الإسلام وغيره؟ لا، الإسلام من ناحية تشريعية يقول لادين إلا الإسلام، ولا أطروحة إلا الإسلام.

من أراد أن يطيع الله فليس أمامه إلا أن يأخذ بالإسلام. فلا تخيير من ناحية تشريعية وإنما التخيير من ناحية تكوينية. وإذا كان للإسلام طرح سياسي، فهذا الطرح السياسي ليس محل التخيير، وإنما الإنسان لا يقبل منه الإسلام إلا أن يأخذ بنظامه السياسي في حالة الاختيار.

هل هناك تخيير في اختيار السلطة؟

إذا وجد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وطرح نفسه حاكماً فليس لأحد من المسلمين أن يتخلف عن قبول حاكميته. يستطيعون أن يمتنعوا عن حاكمية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يتعاونون معه على مستوى الإرادة التكوينية، أما من ناحية تشريعية فليس لهم أن يتخلفوا عن حاكميته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودعمها.

وإذا وُجد المعصوم عدا النبي ﷺ وطرح نفسه حاكماً فليس لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه وإنما على الجميع مبايعته. هم من ناحية إرادية تكوينية يستطيعون أن يمتنعوا عن مبايعة المعصوم، ويستطيعون محاربته، لكن إذا أرادوا أن يكونوا مؤمنين، مطيعين لله ﷻ فليس أمامهم إلا أن يبايعوه ﷺ.

وإذا قلنا بأن الفقيه خليفة المعصوم في غيابه -من ناحية الدور السياسي، ودور الحاكمية- فإنه إذا طرح نفسه حاكماً وجب على المسلمين أن يبايعوه، وهم يستطيعون أن يمتنعوا عن مبايعته، ويستطيعون محاربته من ناحية تكوينية، أما على المستوى التشريعي فإن الإسلام لا يسمح لهم بالتخلف عن هذه البيعة.

فإذاً، المسلمون لا يتمتعون من الناحية التشريعية، والصلاحية الدينية بأن يقبلوا الحكم الإسلامي أو لا يقبلوه، وإنما عليهم قبوله، ليس لهم أن يتخيروا بين نظام سياسي إسلامي، وبين نظام سياسي علماني مثلاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى شخص الحاكم عند حضور المعصوم ﷺ، أو وضعه عند غيابه، فعند حضور المعصوم يكون متعيناً، وفي حال غيابه تكون أوصاف الحاكم مأخوذة من الشريعة.

نعم إذا وجد أكثر من فقيه كفء للمنصب ورشحوا أنفسهم للملئ، فإن لهم أن يتخيروا بين هؤلاء الفقهاء ويبايعوا من يرونه أنه الأصلح، وهذه البيعة إما أن تأتي على مستوى أهل المشورة، أو تأتي على



مستوى الأمة بكاملها^(١).

أصل عدم ولاية أحدٍ على أحد

الأصل الإسلامي العام: على مستوى المسلمين كلهم هو هذه الكبرى السالبة وهي أنه: «لا حكم لإنسانٍ على إنسانٍ بل لأحدٍ من الممكنات على أحدٍ بالأصل». وهناك استثناء، والاستثناء يحتاج إلى دليل^(٢)، وهو «لا ولاية لأحدٍ على أحدٍ إلا الله الذي له الولاية التكوينية والتشريعية الشاملة الكاملة»^(٣).

الفكر السني عنده أن المخرج من هذه الكلية السالبة الشورى بشروط دون العصمة؛ فإذا بُويع مسلم من المسلمين للحكومة اكتسب حق الحكم في الناس، وكانت له صلاحياته. وذهب البعض إلى أن الغالب بالسيف يكتسب الشرعية.

أما بالنسبة للفكر الشيعي فإنَّ المخرج من هذه القاعدة -قاعدة أن لا حكم لأحد من الممكنات على أحد وأن الحكم في الأصل لله وحده- إنما هو العصمة على مستوى الحكومة الشأنية، والعصمة والبيعة على مستوى الحكومة الفعلية^(٤)، فتثبت الولاية التشريعية

(١) خطبة الجمعة (١٨٢) ٣ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ٤ يناير ٢٠٠٥م.

(٢) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨م.

(٣) خطبة الجمعة (٢٢) ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٢هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١م.

(٤) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨م.

التبعية المتفرعة على ولاية الله لمن جعل الله هذه الولاية فتجب طاعته في أمره ونهيه، وهي بالأصل طاعة الله. فأنت حين تطيع رسول الله ﷺ إنما تطيع أمر الله ﷻ أولاً وبالذات، وما طاعتك لرسول الله ﷺ إلا لما وراءها من خلفية إطاعة الله، والانصياع إلى أمره ونهيه الذي كتب عليك أن تطيع رسول الله. وهذه الولاية التبعية ثابتة لرسول الله ﷺ ولخلفائه المعصومين عليهم السلام بلا أدنى شك عندنا^(١).

يأتي الإشكال في الفكر الشيعي في مرحلة غياب المعصوم عليه السلام، وقد دخل الفقهاء في بحث ولاية الفقيه من مدخل الاستشكال في أن يكون حكم لأحد من الناس دون المعصوم عليه السلام^(٢).

ولاية الفقيه علمية أولاً

يبحث عند الفقهاء: هل ولاية الحكم والأمر والنهي في مجال الحكومة قد جعلت لغير المعصومين الخلفاء لرسول الله ﷺ في حال غيبتهم عليه السلام؟^(٣).

فسألوا: هل للفقيه أن يحكم؟ وسألوا: ما هي صلاحيات الفقيه

(١) خطبة الجمعة (٢٢) ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٢ هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١ م.

(٢) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩ هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨ م.

(٣) خطبة الجمعة (٢٢) ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٢ هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١ م.



إذا حكم؟ هل تثبت له صلاحيات الحاكم المعصوم؟ أو تثبت له صلاحيات دون هذه الدرجة الواسعة؟

والسؤال: هل الفقيه يحكم؟

إنما ينتهي الجواب عليه إلى إثبات شأنية الحكم، وأن من شأن الفقيه العادل أن يحكم، وأن الفقاهة والعدالة تثبت أرضية لصحة حكمه.

فالفكر الشيعي في قمة تشكيكه في مسألة الحكم بعد المعصوم يطرح السؤال حتى بالنسبة للفقيه، وليس معنى ذلك أنه يثبت الحكم لغير الفقيه ولا يثبت للفقيه، إنما يرى وبحسب النظرة الإسلامية في هذا الفكر أن الحكم في الناس إذا أردنا أن نعطيه الصبغة الشرعية وأن نعتبره طريقاً للتعبّد إلى الله عز وجل، وأنه امتثال لأمر الله تعالى أيثبت للفقيه أو لا يثبت للفقيه؟

وإذا قيل بحكم الفقيه، جاء السؤال الثاني كما سبق وهو ما حدود صلاحيات حكمه؟

والسؤالان يشكّلان موضوع البحث في ولاية الفقيه. وهي مسألة علمية قبل أن تكون عملية.

وليس كل من بحث في بحث ولاية الفقيه وانتهى إلى الإيمان بها

فعل هذه الولاية^(١).

أصل ولاية الفقيه ليس فيه خلاف

الخلاف عندهم ليس في أصل الولاية فهم يثبتونها على مستوى تمشية أمور الوقف ومال اليتيم ومجهول المالك والخمس مثلاً. وإنما الخلاف على اتساعها لمسألة إقامة الحكم وتشكيل الحكومة وممارسة الصلاحيات التي تتطلب التصرف في المال والنفوس وإن كان ضمن الأحكام الشرعية المقررة، ونتائج الصناعة الفقهية الدقيقة.

ومع ذلك نجد السيد الخوئي رحمته الله وهو ممن لا يذهب إلى الولاية السياسية، قد تصدى عملياً كما هو المنقول لأعمال الولاية - في الدائرة محل النزاع - عند الحاجة في ظروف الانتفاضة الشعبانية، ولم يتوقف فقهاً في ذلك. فتولى ولاية الفقيه ومارسها بشكل عملي كما هو المنقول.

أدلة ولاية الفقيه

هناك أكثر من دليل على ولاية الفقيه:

١. الدليل اللفظي:

بعض أدلة ولاية الفقيه فيه إطلاق لمساحة كبيرة جداً، [بمعنى

(١) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩ هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨ م.



أنّ هناك دليلٌ لفظيٌ لولاية الفقيه، وهذا الدليل اللفظي هل من لسانه أن يشمل غير الفقيه؟ أو أنّ لسانه وخطابه يقتصر -في جعل الولاية- على الفقيه؟

الاطلاقات الموجودة عندهم والتي يعتمدون عليها هي إطلاقات لا تتجاوز الفقيه.

٢. الدليل العقلي:

هناك دليلٌ عقليٌ على ولاية الفقيه وهذا الدليل العقلي كما يقولون له قدرٌ متيقن وهو الفقيه -إذا أثبت الدليل العقلي ولاية الفقيه وسألنا هذا الدليل العقلي- إذا قام الدليل العقلي على إثبات الولاية لأحدٍ على أحد، يشك هل هذه الولاية التي يراها العقل لأحدٍ على أحدٍ في الناس بعد ولاية الله وبعد ولاية المعصوم عليه السلام هل هي واسعةٌ تشمل الفقيه وغير الفقيه؟ أو هي ضيقةٌ لا تشمل إلا الفقيه؟

يقولون هنا قدرٌ متيقن، يعني نعلم يقيناً أنّ هذا الدليل له مصداقٌ أظهر، له مصداقٌ قطعيٌ، مصداق من له الولاية هو الفقيه أما من دونه فمشكوكٌ، فلا يثبت بدليل العقل ولاية له من دون الفقيه لا يثبت لا بالدليل اللفظي ولا بالدليل العقلي ولاية له وإنما إذا ثبتت الولاية إنما تثبت للفقيه وهي في غيبة المعصوم عليه السلام.

نعم، عند عدم الفقيه يأتي البحث في ولاية عدول المؤمنين ممن

لهم تفقه، ومن الواضح جداً أن أي فقيه تثبت عنده الولاية في غيبة المعصوم عليه السلام لا يقدم أحداً على الفقيه في ذلك، وهو القدر المتيقن الذي لا شك فيه، ومن لم تثبت عنده الولاية للفقيه فهو لا يثبتها لغيره بدرجة أولى وأوضح.

والفقهاء يسمون من ليس فقيهاً عامياً، وإن كان هذا الشخص يتمتع بمستوى علمي جيد، أو كان مهندساً متقدماً، أو طبيباً حاذقاً، أو سياسياً كبيراً وله خبرته وإطلاعه السياسي الممتاز. والعامي هنا ليس بالمعنى السائد في الأوساط العرفية وإنما يعني -هذا اللفظ- الفاقداً للفقاهة بمعناها الاصطلاحي، من كان فاقداً للفقاهة بمعناها الاصلاحي يسمى في عرف الفقهاء بأنه عامي، ولو كان مقارباً للاجتهد -وبعد لم يجتهد- وهي القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المقررة حسب الموازين والطرق المتعارفة عند الفقهاء المتضلعين رغم اختلافهم على المستوى الثقافي، وهذا العامي مقطوعٌ عندهم بأنه لا ولاية له بعد القول بعدم ولاية الفقيه وإن كان من المؤمنين العدول^(١).

شرط فعلية ولاية الفقيه

الولاية الفعلية مشروطة ببسط اليد، ومقدمة بسط اليد البيعة وإلا كانت ولاية الفقيه فكرة لا أكثر. فليؤمن الفقيه بأنه الحاكم

(١) خطبة الجمعة (٢٢) ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٢هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١م.



ولكن المساحة مشغولة بحكومة ثانية، فهنا لا حكومة له على الأرض ولا يمكن أن يشغل الساحة الخاضعة لحكم الغير بحكمه. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي نرى وجوب إمامته، ما كانت له الحكومة الفعلية في زمن الخلفاء الثلاثة، وما زاحم حكمهم بحكمه، وقراراتهم بقراراته. وإنما فعل حكومته حين بايعه الناس وتأتى له بسط اليد، فكيف بالفقيه^(١)!

أن الحاكمية حاكمتان: حاكمية شرعية، وحاكمية فعلية، قد تجتمع الحاكميتان لشخص وقد تفترقان.

النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله كانت له الحاكميتان، الحاكمية الشرعية والحاكمية الفعلية، فلقد كان النبي صلّى الله عليه وآله حاكماً بأمر الله عز وجل قبله الناس أو لم يقبلوه، بايعوه أو لم يبايعوه، فهو حاكم من الناحية الشرعية على كل تقدير. وقد كان يمارس الحكومة فعلاً وعلى الأرض، ذلك ببايعة المؤمنين له، وإعطائهم له النصرة.

والحكومة دائماً تحتاج إلى بيعة ونصرة، وتحتاج إلى السن، وسيوف.

أمير المؤمنين عليه السلام كان حاكماً بالنظر الشرعي في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، ولكنه لم يكن حاكماً من ناحية فعلية، واجتمعت له

(١) خطبة الجمعة (١٨٢) ٣ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ٤ يناير ٢٠٠٥م.

الحكومة الشرعية والفعلية بعد عثمان، وعاش أئمة أطهار بعد أمير المؤمنين عليه السلام والحسن بن علي عليه السلام أئمة شرعيين ولكن ليست لهم حكومة فعلية في الأرض.

ثبوت الحكومة شرعاً لا يتوقف على رأي أقلية ولا أغلبية ولا على سيف ولا رمح، أما الحكومة الفعلية فيمكن أن تتوقف على رأي الأغلبية، وعلى السيف والرمح. هذه نقطة.

وقد فرغنا من أن الأغلبية في الإسلام لا تعطي الشرعية، ولا تولدها ولا تستبعها. الشرعية إما ثابتة قبل الأغلبية أو مفقودة قبل الأغلبية، وبعد الأغلبية.

أما صناديق الاقتراع التي يرتضيها الفقهاء ففي الحالة الطبيعية للمجتمع الإسلامي التي تحدثنا عنها تمثل أسلوباً من أساليب البيعة. إذا كان المجتمع مجتمعاً إسلامياً، لا يهوى غير الإسلام، ولا يأخذ بغير الإسلام، وكل انشداؤه للإسلام فلماذا صناديق الاقتراع؟

تأتي مسألة صناديق الاقتراع لا للتصويت على النظام، لا للتصويت على الأخذ بالأطروحة، وأن الأطروحة الحاكمة هي الإسلام أو غير الإسلام، إنما يأتي التصويت في هذه الحالة على الحاكم، على الفقيه المتولي، وذلك حين يكون عندنا أكثر من فقيه، وكل منهما كفؤ أو يرى لنفسه الكفاءة، وكل منهما قد رشح نفسه للحكومة، فحينئذ نحتاج إلى صناديق الاقتراع لتعين الحاكم الفعلي



من هذين الشخصين اللذين يتمتع كلٌّ منهما بالحاكمية الشرعية أو يرى لنفسه ذلك. هذان فقيهان كفؤان ومتساويان أو غير متساويين، فلاختلافهما على الحكومة الفعلية يكون الاقتراع.

أما في حالة المجتمع الذي تدخل في نسيجه فئات لاتؤمن بالحكم الإسلامي، وتؤمن بأطروحات أخرى، فالحكم عند الله للإسلام، وليس لأطروحة أخرى، لكن كيف يكون الحكم من ناحية فعلية للأطروحة الإسلامية في هذا المجتمع الذي فيه تيار صغر أو كبر يؤمن بغير الإسلام ويحارب من أجل الإسلام؟

هنا يأتي دور صناديق الاقتراع لتحديد مسألتين:

المسألة الأولى: مسألة الأطروحة الحاكمة، الحكم للإسلام أو لغير الإسلام، وهذا قد صوّت عليه في إيران، وتحت إشراف السيد الإمام ذلك لوجود بعض الأصوات النشاز، ولوجود توجه عالمي جاهلي لرفض الإسلام، فحتى يسكت الإمام هذه الأطراف طرح مسألة حكم الإسلام للتصويت.

فيكون التصويت في الحالة الاستثنائية للمجتمع الإسلامي على مسألتين: مسألة أن يكون الحكم للإسلام أو لغيره. ثم مسألة من هو الحاكم الذي يحكم باسم الإسلام. فصناديق الاقتراع يمكن أن يأتي دورها في الحالة الطبيعية، وكذلك في الحالة الاستثنائية.

في الحالة الطبيعية لتعيين شخص الحاكم، وفي الحالة الاستثنائية لإعطاء الأطروحة الإسلامية الحكم الفعلي، ولتعيين شخص الحاكم. الولاية الفعلية مشروطة ببسط اليد، حكومة بلا جيش، حكومة بلا بيعة، بلا سيف، بلا آخره لا وجود لها على الأرض. ونحن نرى أن الحكومة عن طريق البيعة، وليس بتسليط السيف على رقاب الناس، الفقيه لا يسلط سيفه على رقاب الناس، وينحر المسلمون نحرًا، ويضحّي بكلّ المصالح الإسلامية، ويبعثر الحالة الإسلامية من أجل أن يتمتع بالحكم^(١).

حدود بسط الولاية الفعلية

الفقيه حاكم شرعي بالصورة الفعلية في إقليمه الذي تأتي له أن يبسط يده عليه، وأمّا الأقاليم الأخرى فيها حكوماتها الخاصة التي تنفّذ أوامرها ونواهيها دون أن تحكم بأوامر ونواهي ذلك الفقيه، ومن دون أن تحدث ولاية الفقيه في منطقة حكمه الفعلي فوضى التعارض بين أوامر حكومته وأوامر حكومات الأقطار الأخرى غير الداخلة في حكمه، وتحطم حياة المسلمين.

مع قيام حكومة أخرى ولاية الفقيه غير قائمة بنحو الفعل والإمام المعصوم عليه السلام لم يكن يمارس حكومته فعلاً في مثل هذه الحالة،

(١) خطبة عيد الأضحى المبارك ١٠ ذي الحجة ١٤٢٥هـ.



الإمام الصادق، الإمام الباقر، كل الأئمة عليهم السلام بعد أمير المؤمنين وبعد الحسن عليه السلام لم يارسوا ولايتهم بصورة فعلية^(١).

- وبعبارة أخرى:

لماذا يقبل الإسلاميون والفقهاء -بعد هذا الذي قلناه- إرجاع الأمر إلى الشعب؟

السيد الخميني قدس بعد أن قاد الثورة وأسقط الشاه كان حاكماً من ناحية فعلية، واحتضنت قيادته وحاكميته قلوب الملايين، وكان يمكن له أن يفرض أي نظام سياسي على إيران، إلا أنه طرح النظام السياسي وقضية اختيار الإسلام وعدم اختياره نظاماً سياسياً للتصويت. من أين كان للسيد الإمام أن يطرح القضية للتصويت؟ سؤال كبير.

سماحة السيد السيستاني اليوم يطرح قضية الانتخابات، ويدعو الشعب العراقي إليها، ويوجب على الشعب العراقي أن يخرج إلى صناديق الاقتراع للإدلاء بصوتهم للحكومة المنتخبة المؤقتة. من أين للسيد السيستاني عليه السلام أن يدعو لهذه الدعوة في وقت يعلم فيه أن الحكومة لن تكون إسلامية، وأن الحكم في العراق اليوم لن يكون إسلامياً -بالمعنى الدقيق- أيضاً هذا سؤال كبير يفرض نفسه.

(١) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩ هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨ م.

هناك ظرف عادي، وظرف ثانوي، ونحن في ظروف ثانوية، وليست ظروفًا عادية. والحكم الشرعي قد يأخذ صيغة أخرى في ظل الظروف الاستثنائية دون صورته في الظرف العادي، ونحن نقبل في هذا العصر قضايا التصويت على أصل النظام السياسي، وعلى تشخيص السلطة، ومن يكون الحاكم. فحتى لو كان الطرح هو التخيير بين الإسلام وغيره، أو كان الطرح بين فقيه وبين غير فقيه ممن لا يصلح في نظرنا للحكم من ناحية شرعية فنحن نقول للانتخابات نعم.

ووراء الموقفين الحكيمين للسيد الإمام وللسيد السيستاني خلفية تامة. كان عند السيد الإمام اطمئنان كامل بأن خيار الشعب الإيراني وفي ظل تلك الظروف الخاصة لن يعدوا الإسلام، ولن يقدم الإيرانيون على الإسلام شيئاً، وإذا اختاروا الإسلام التفوا حوله، ودافعوا عنه، وأعطوا أنفسهم له؛ ذلك لأنه خيارهم. اطمئنان السيد الإمام أن الشعب الإيراني لن يقدم على الإسلام أمراً آخر كان خلفية من الخلفيات التي تجعله يطرح القضية للتصويت.

وفي ظروف كظروف اليوم، وفي القضية العراقية، المواقف ثلاثة: إما التخلي عن المسألة السياسية من قبل السيد السيستاني رحمته الله والمحوزة العلمية، والتخلي عن المسألة السياسية وترك الأمور تتسبب بدرجة أكبر، وتتجه في الاتجاه الآخر المعاكس للإسلام بدرجة فاحشة



أمر غير جائز.

خيار آخر، القيام بالسيف، وحدوث مواجهة بين الشعب العراقي وبين أمريكا، وهذا جائز جداً بل واجب إذا لم يكن بديل لطرد العدو الكافر.

وهذا أمر موضوعي تدخل فيه الخبرة العملية، ويدلي فيه المختصون برأيهم، ولكل جماعة أن تدرس الواقع في ضوء محصلة معلوماتها وخبراتها، وتنتهي إلى رأي في الموضوع.

ما انتهى إليه رأي السيد السيستاني رحمته الله والحوزة العلمية المباركة هو أن هناك طريقتين، طريق السيف، وطريق الانتخاب، وطريق الانتخاب يُقدم على طريق السيف حتى لو كانت مسافته أطول بشيء ما.

الانتخابات أقل خسائر، وإذا كانت الانتخابات قد تحدث فيها مغالطات، ويمكن أن يفشل الغرض من تحقيق واقع إسلامي بدرجة ما فإن الصراع الدموي لا يسلم أيضاً من المغامرة، وأنه ليس مضمون النتائج.

هناك حرص من المرجعية في العالم الإسلامي ومن العلماء على الحفاظ على تماسك المجتمع الإسلامي. والصراع الذي يمكن أن يجر إلى صراع داخلي بين المسلمين صراع مستبعد في نظر المرجعية

الفقهية.

والصراع في العراق ليس صراعاً مع أمريكا فقط، وإنما هو صراع مع صدام والصداميين الذين لزالوا يمتلكون واقعاً قوياً جداً في الساحة العراقية، وإن تحقيق الانتصار على أمريكا وحدها في العراق لا يعني انتصاراً للإسلام. عليك أن تخوض معركة ثانية مع صدام والصداميين ليتحقق واقع إسلامي هناك، وهذا ما سيجر إلى حرب أهلية لعدم اليقظة الكافية في صفوف المسلمين، وللخلط بين ما هو سني وبين ما هو صدامي في الواقع.

ثم إن نجاح أي حكم قائم على رضا الشعب والأمة، وقد رأينا أمير المؤمنين عليه السلام يعتذر عن قبول الحكم بعد وفاة عثمان، وقد يكون من منطلقات ذلك الامتناع هو عدم ملاءمة الظروف الموضوعية لنجاح الأطروحة الإسلامية، أمير المؤمنين معصوم، وقيادته ناجحة بالكامل، لكن الصف النخبوي الذي يؤمن بالإسلام وبالأطروحة الإسلامية، ويصبر على الأطروحة الإسلامية ويعطي لها كل شيء لم يكن بالدرجة الكافية.

والإسلام لا يريد حكماً شكلياً. الإسلام يريد حكماً حقيقياً، يريد أن يصنع نفوساً، يريد أن يصنع عقولاً، يريد أن يخلق واقعاً إسلامياً ولا يريد أن يحكم حكماً شكلياً فحسب.

وهذا ما يفرض عدم عزل الحكم الإسلامي رضا النصاب الكافي



من الناس لاقامته^(١).

ولاية الفقيه بريئة من التآمر:

هل ولاية الفقيه تدعو للتآمر؟

يمكن جداً أن نعثر على فتاوى من كل الفقهاء الشيعة تمنع من التآمر على الأوطان، وإضعاف الأمة، وتفريقها، ولا يمكن لك أن تعثر على فتوى واحدة علنية أو سرية تحيز ذلك. وأنا بذلك ضمين إلا أن يكون المفتي اسماً بلا مسمى، وبعيداً عن فهم روح الإسلام ومصلحته.

لا تقوم على فكرة ولاية الفقيه فتوى بتمرد الشيعة على قوانين البلدان التي هم مواطنون فيها. وأمر إنكار بعض القوانين غير العادلة أو غير المستقيمة مع الدين مشترك بين الفكر السني والشيوعي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحفاظ على الهوية الإسلامية، والشريعة الإلهية المقدسة.

المواطنون الشيعة كغيرهم من مواطني البلدان التي يعيشون فيها تكون لهم ملاحظاتهم على هذا القانون أو ذاك، وعلى هذا المشروع السياسي أو ذاك، وهذه المسألة السياسية أو تلك، ومطالبتهم بالإصلاح والعدل والمساواة هي على حد مطالبة كل سائر المواطنين في بلدانهم بكل ذلك. وهو أمر لا ربط به بالإيمان بولاية الفقيه وعدم

(١) خطبة الجمعة (١٨٢) ٣ ذي الحجة ١٤٢٥ هـ - ٤ يناير ٢٠٠٥ م.

ولايته، وهو ثابت لا يمكن سقوطه.

العلاقة بين ولاية الفقيه وإرادة التوسع

لا ربط بين الفكرة -فكرة ولاية الفقيه- وبين إرادة التوسع السياسي، لا ربط بين ولاية الفقيه وبين قرار التوسع السياسي، لا ربط بين ولاية الفقيه وقيام ظروف مؤاتية للتوسع السياسي. حتى لو كان هناك طمع، لو كان هناك توجه فهذا الطمع وهذا التوجه لا يلتفت بأي وجه من الوجوه إلى مسألة ولاية الفقيه.

قد يجتمع التوسع السياسي، وقرار التوسع السياسي، ظروف التوسع السياسي مع الفكرة وقد يفترقان ولا تلازم بينهما وليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا. والحكم قد يكون ديمقراطياً ويكون له إرادة التوسع السياسي، وقرار التوسع السياسي، وظروف التوسع السياسي، وقد يكون إسلامياً وقائماً على ولاية الفقيه إلا أنه لا توجد عنده إرادة توسع سياسي، ولا قرار توسع سياسي، ولا ظروف التوسع السياسي، وهذه مسألة راجعة إلى الخارج وليست هي للفكرة في حد ذاتها.

أؤكد أن الفكر السني أكثر وضوحاً في مسألة ولاية الفقيه من الفكر الشيعي، الفكر السني واضح جداً في حكمه بولاية الفقيه، فهذه الولاية مفروغ من ثبوتها في هذا الفكر.



لماذا؟ الفكر السني يوسع الولاية، ويعطيها لغير الفقيه، وهل يعقل في الفكر السني أن يجد من الفقاهة مانعاً من ذلك؟ مائة في المائة لا. فالفكر السني يثبت ولاية الفقيه ويثبت ولاية أوسع وهي ولاية غير الفقيه، وليس أنه يثبت الولاية لغير الفقيه ويمنعها عن الفقيه.

فالأخوة السنة الكرام يثبتون ولاية الفقيه، ولكنهم يعيشون مع الحكومات في أوضاعها المختلفة من غير أن تحدث كل يوم على يدهم ثورة، والشيعية عاشوا أيضاً مع الحكومات ولم تحدث على يدهم كل يوم ثورة، إيران نفسها حكمت بحكومات وضعية ولم يفعل من يؤمن منهم بولاية الفقيه ولايته وحكومته، ولم يحدثوا في كل يوم ثورة.

حين يؤمن الأخوة السنة بولاية من هو أعم من الفقيه فهم يؤمنون جزماً بولاية الفقيه لأن الأخص داخل في حكم الأعم. ولا يأتي في البال، في العقل، في العرف، في العقلاني أن الفقاهة والعدالة مانعان من أصل الحكم أو مضيقتان لصلاحيته.

نتائج عملية

١. ولاية الفقيه لا صلة لها مطلقاً بإرادة التوسع والتمدد السياسي، وإثارة الحروب، وهذه أمور قد تحصل عند الفقيه وقد لا تحصل، وقد تحصل عند غير الفقيه وقد لا تحصل، ونحن نعرف أن الأنظمة الأرضية تحاول دائماً أن تتمدد وتتوسع وحساباتها في هذا المجال

تنصب على البعد السياسي والبعد العسكري فحسب، أما بالنسبة لمن كان فقيهاً عادلاً فحساباته أوسع من ذلك، ووحدة الأمة، ومصصلحة الدين، والحفاظ على هوية الأمة أولويات لا تغيب أبداً في نظر أي فقيه عادل من المؤمنين.

٢. ولاية الفقيه لا صلة لها على الإطلاق بإرادة التوسع والتمدد السياسي، وإثارة الحروب، وممارسة الحكم البديل في بلد محكوم لغير الفقيه يزاحم حكم حكومته. ولو أخذ بتفعيل حكم الفقيه في بلد محكوم لغيره لكان معناه التمزق، معناه تشتت المسلمين، معناه أن تعم الفوضى الطاحنة في كل بلد يتواجد فيه جماعة من الشيعة.

يتوقع من أي حكم ديمقراطي أو غيره لا يمت لولاية الفقيه بصلة ولا للإسلام بصلة أن يستهدف التوسع السياسي في حين نتوقع جداً بأن الفقيه أبعد ما يكون عنده هو التوسع السياسي مراعاةً للموازن الإسلامية وللمصلحة الإسلامية.

ولاية غير الفقيه

أولاً: لا اعتراض في عالمنا الوضعي، وفي عالمنا الديني العادي على ولاية وحكومة غير الفقيه بما هو غير فقيه -ومن حيث هذا السلب- بعد التسليم بنظام الحكم الذي يحكم باسمه، والشرعية القانونية لوصوله لمنصب الحكومة حسب ذلك القانون.



ثم إنه لا حكم بلا حكومة، ولا حكومة بلا حكم.

وإذا كان اعتراض فإنما هو على شرعية النظام، أي نظام، أو شرعية وصول الحاكم إلى الحكم حسب ذلك النظام.

فهناك نظام حكم ديموقراطي يعتمد الخيار الحر للشعوب ولو نظرياً، وهناك حكم يفرض نفسه بالقوة، ويوجد نظام حكم دستوري، وآخر غير دستوري، وحكم وراثي تكسبه صلة الأبوة والبنوة أو الأخوة.

ويوجد اعتراض على نوع هذا النظام أو ذاك؛ وهو اعتراض نظري في الأكثر اليوم.

وقد يطعن في اكتساب الشخص صفة الحكم بعد الاعتراف بشرعية النظام، كما في الاعتراض على نزاهة الانتخابات التي أوصلت الشخص المعين إلى الحكم في النظام الديموقراطي.

أما بعد التسليم بأصل النظام، وصحة الطريق الذي يعتمد في الوصول إلى الحكم فلا اعتراض من أحد على حكم الحاكم وولايته.

ثانياً: وبعد هذا التسليم الواسع في عالمنا اليوم بولاية غير الفقيه وعدم الاعتراض عليه من حيث هذا الوصف يأتي الاعتراض على

حكومة ولاية الفقيه العادل^(١).

أما غيرهم -غير الفقهاء- ولولا كانوا من المؤمنين المتفقهين العدول فلا بحث فيهم إذا لم تثبت ولاية الفقيه، فلا أحد ينتهي إلى هذه النتيجة من الفقهاء، وهي أن الفقيه لا ولاية له أما الذين دونه مرتبة فلهم الولاية. هذه النتيجة مرفوضة نهائياً عند كل الفقهاء. بعد أن لم تثبت ولاية الفقيه لا تثبت لأحد قطعاً من دونه قطعاً وبدرجة أولى.

فكلما قلنا بأنه لا ولاية للفقيه، قلنا لا ولاية لمن دونه من العلماء العدول، فضلاً عن من هو أقل منهم شأنًا كغير العالم الديني ومن فقد العدالة بغير العالم الديني وإنما يكون جاهلاً مثلاً في الدين ومن فقد العدالة التي تؤهله للمراكز الدينية التي يعد مركز الولاية أكبرها وأشدّها طلباً للعدالة. فمن التوهم الساقط جداً أن يقال بأنه لا ولاية للفقيه وهذا يعني أن الولاية ثابتة عند الفقهاء لغيره، ومن الواضح جداً أن أي فقيه تثبت عنده الولاية في غيبة المعصوم عليه السلام لا يقدم أحداً على الفقيه في ذلك وهو القدر المتيقن الذي لا شك فيه، ومن لم تثبت عنده الولاية للفقيه فهو لا يثبتها لغيره بدرجة أولى وأوضح^(٢).

(١) خطبة الجمعة (٣٣٥) ٢١ رجب ١٤٢٩هـ - ٢٥ يوليو ٢٠٠٨م.

(٢) خطبة الجمعة (٢٢) ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٢هـ - ٢٤ أغسطس ٢٠٠١م.



هل سعي دعاة ولاية غير الفقيه يفلح؟

إن الذين يناقشون ولاية الفقيه في عالمنا الإسلامي اليوم لينفوها عن الفقهاء توصلاً في نظرهم لإثباتها لأنفسهم واهمون جداً، قد يتصور البعض أنه إذا انتفت الولاية عن الفقيه، جاز لغير الفقيه أن يمارس هذه الولاية، وأظن أن هذا فهمٌ سائدٌ في بعض أوساط عالمنا الشيعي، وهو خطأ كبيرٌ في التصور، ووهم فاضح.

هؤلاء مخطئون إذا كانوا يراعون النفي من الناحية الشرعية، ولا يريدون مخالفة الحكم الشرعي، نعم، من انطلق في تقرير مسألة الولاية من منطلق آخر، وهو أن الشعب له ولاية على نفسه، أن الفرد من أبناء الأمة له ولاية كاملة على نفسه، يستطيع أن يتصرف فيها على منأى من إرادة الله، لو صار المنطق هو هذا فصحيح أن الانتخاب -انتخاب الكل- يعطي الولاية لهذا الشخص أو ذاك. أما انتخاب البعض، وإن كان الأكثرية، فلا يصح في ميزان العقل أيضاً أن يعطي الشخص المنتخب ولاية على ٤٩٪ بعد أن وافق على الشخص ٥١٪. لماذا تسحب أصوات ٤٩٪ بما فيهم من فلاسفة، بما فيهم من اقتصاديين كبار، بما فيهم من سياسيين كبار، بما فيهم من حكماء، بما فيهم من فقهاء، المهم نحن والميزان الشرعي، الميزان الشرعي لا يسمح بعد انتفاء الولاية عن الفقيه أن تثبت هذه الولاية لأحد من دونه، لأنه إذا كان الفقهاء يحرم اتباعهم في أمر الولاية فهو أكثر حرمةً بالنسبة لمن

يحاولون هذه المحاولة، وهم بذلك حين يحاولون أن يقيموا الدليل على انتفاء ولاية الفقيه هم بذلك يقيمون الدليل على عدم أهلية من ليس بفقيه لهذا المنصب الذي يرون حرمة على من هو أكفأ وأولى^(١).

نتائج التجربة الإسلامية لولاية الفقيه

تقيم التجربة الإسلامية شاهدها الصارخ على الأرض على عظمة الإسلام وقدرته على الصنع الخلاق والتقدم بمستوى الأمة، وعن أي طريق؟ عن طريق حكومة الملالي - كما قالوا - وعن طريق ديكتاتورية ولاية الفقيه كما يزعمون، وزعمهم الكذب الصراح، فإن ولاية الفقيه بعيدة كل البعد عن الديكتاتورية، إنها خاضعة في كل كبيرة وصغيرة إلى حكم الشريعة، خاضعة لأمر الله ونهيه، فاعلية بالعبودية المندكة أمام الله، أمام عظمة الله عز وجل.

وبهذا يكون التمهيد بقناعة الإنسان الحر في العالم الإسلامي والنموذج الجمهورية، وبهذا يكون التمهيد بقناعة الإنسان الحر في العالم الإسلامي وخارجه بعظمة يوم الظهور وقدرته على الإنقاذ الشامل. فدولة التمهيد صورة مصغرة من دولة الظهور.

وإذا طلب طالب صلاحاً وإصلاحاً وطلب أن نخرج من شرقة الأزمات، وكان من المؤمنين فلا يطلبه إلا على طريق الإسلام والتقيد

(١) المصدر نفسه.



بالحكم الشرعي^(١).

عداوة الطاغوتية شهادة تزكية عملية

لابد من العلم وتلقيّ الدرس بأنّه كلما كان واقع دولة إسلامية أو جهة من جهات الإسلام، أو قيادة من قيادات المسلمين أصدق إسلاماً وأقوى وأنفع لحياة الإسلام والمسلمين كلما ازداد غيظ الطغاة والمستكبرين والظلمة العالميين وأذيالهم منها وحقدهم عليها، وشراستهم في عدائها، والأخذ بالموقف المتشددّ والمناهض لها، والاجتماع على محاربتها.

وكلما جاء الموقف لهذه القوى الطاغوتية الاستكبارية من أيّ وجود إسلاميٍّ لجهة إسلامية أشدّ عنفاً وضراوة دلّ على أهميته البالغة وصدقه وإخلاصه وكفاءته.

ويستدلّ على عظمة الشخصية وخطرها على الكفر، ويستدلّ على عظمة الحزب وخطره على الكفر، ويستدلّ على عظمة الدولة وخطرها على الكفر، أن تتوجّه إليها سهام الكفار والمنافقين، والانتهازيين والنفعيين والساقطين بعنف وقوة واستمرار عداة لإسلامها.

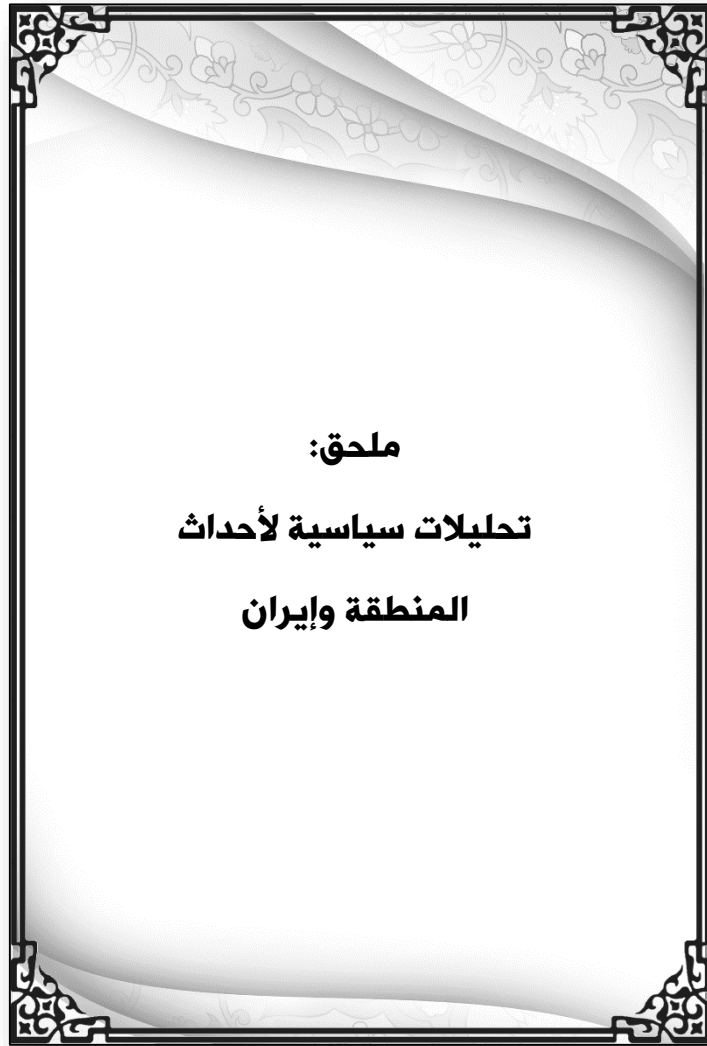
في العادة لنا أن نكتشف عظمة الجهة في حرب العدو مع الأمة

(١) خطبة الجمعة (٣١١) ٣٠ محرم الحرام ١٤٢٩هـ - ٨ فبراير ٢٠٠٨م.

من استهداف الكفر وأتباعه لها لإسقاطها.

فالحملة التي واجه بها الاستكبار أعمدة النظام الإسلامي في إيران وفي مقدمتها مركز القيادة، وولاية الفقيه هي شهادة زكاة وصالح وشموخ وعظمة يتمتع بها هذا النظام، وشهادة خطر منه على الباطل في الأرض^(١).

(١) خطبة الجمعة (٣٤٣) ٣ رجب ١٤٣٠هـ - ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م.



ملحق:

تحليلات سياسية لأحداث

المنطقة وإيران

ملحق:

تحليلات سياسية لأحداث المنطقة وإيران

أمريكا وإيران

١. الكلام عن أمريكا، المنقذة، المعلمة للعالم، محور الخير، محور الهدى في الأرض، كما تقدم نفسها، وعن أمريكا الشيطان الأكبر كما وصفها الإمام الراحل الخميني عليه السلام. أمريكا المستكبرة الفرعونية. الكلام عن أمريكا بذاك الوصف كما ترى، وبهذا الوصف كما ترى كل الدنيا، وعن إيران الضلع في محور الشر كما ترى أمريكا، وعن إيران الإسلامية، إيران الصّحوة، إيران الديموقراطية، إيران التي لا تُشع إلا بالهدى والخير كما هو نظر غير أمريكا وغير الكفر وبهذا الوصف.

٢. إذا كانت إيران قوية بدرجة ما من الناحية العسكرية، وقوية في مبادئها ونظامها الإسلامي، وفي الكثير من شبابها المؤمن الرسالي المضحي، وفي مواقف النصرة لقضايا الأمة، وإذا كانت تصرُّ على حريتها واستقلاليتها فهي ضدُّ يفسد على فرعون ألوهيته الكاذبة بمقدار، ويقف أمام طموحاته الخيالية في القضاء على كلمة الإيمان الحق في الأرض، واستمساك أي أمة بانتماؤها، وتأييدها على بيعة العبودية الكاملة للشيطان الذي يدّعي الألوهية زوراً. وهذا الضد العنيد لا بدَّ أن يكسر القرار الأمريكي حسب المشتبه إرادته ومقاومته، ويقهره

على الاستسلام أو النهاية.

وإيران لا تكون المواجهة معها نزهة كما يعبرون وذلك لأكثر من جهة، وليس مثلها مثل العراق وأفغانستان، والفرق ليس فرق شعوب، وهي شعوب كلها رجولة، وكلها صمود، وكلها مواجهة، وإنما فرق أنظمة وعلاقة بين كل نظام وشعبه، وفرق تربية عامة للشعب والجيش وكل القوى المقاتلة، وفرق قدرة تسليحية جاهزة.

وعليه يكون المفضل -تجنباً للعواقب الوخيمة للمجازفة العسكرية الأمريكية المباشرة، والتي يمكن أن تلحق بالطرف الأمريكي الغازي، واستغناء عن التبريرات المتكلفة، والمكشوف زيفها- أن يعمل على إسقاط النظام الإسلامي في إيران من الداخل عن طريق العملاء، والمغرر بهم، ومن يناصبون الإسلام العداء.

وهذا الخيار لاشك أنه تواجهه صلابة إيمانية، ووعي شديد، وتمسك بالعزة والحرية، وذلك على مستوى القيادة والقاعدة في شرائحها العريضة الواسعة، وتعري أهدافه السيئة تجارب أمريكا في فلسطين وأفغانستان والعراق، ويصطدم بواقع مرجعية دينية متماسكة وعملقة تتحمل مسؤولية خاصة عالية في تبصير جماهير المؤمنين بما يخطط لها، وما يراد لها وللإسلام من أقسى الضربات المميتة القاضية.

وانتشار الوعي الفكري والموضوعي عند الجماهير المؤمنة



وبدرجات عالية وعلى مستوى واسع، وانتفاضُ الإرادة الإيمانية، وتيقُّظُ روح الغيرة على الإسلام من شأنه أن يسبب إحباطاً كبيراً لهذا الخيار على المدى القريب وإن كان العدو لا يكف أبداً عن إحداث الثغرات في حصن الأمة والتسلل إلى قلاعها المتينة من خلال كلِّ المحاولات المستمرة، والمكر الدائم، ووسائل التميع والتغريب والإثارة، والتشكيك وشراء الضمائر، والوعود المعسولة والأمنيات الكاذبة التي يُسوّقها هو وعملاؤه في أوساط المسلمين.

ومع ذلك لا ترفع أمريكا الغاشمة يدها عن استعمال السلاح الفتاك والغزو المدمر، ولكن قد تحتاج على طريق استخدام القوة الباطشة إلى عدد من التمهيدات التي تضعف الطرف الآخر مادياً ومعنوياً وإن استغرق ذلك بعض الوقت. ولا يتصور أن تتسرع أمريكا في الضربة العسكرية لإيران لكلِّ الحسابات المتقدمة وغيرها، وإن كنا في عالم ينهزم أمام الجبروت الأمريكي، ولم يبق إلا الصوت الإسلامي جاهراً بالمعارضة للشيطان، ومتمرداً على قراراته.

وإيران لن تهزم إذا استمسكت بإسلامها، وتماسكت جبهتها الداخلية المؤمنة، وصبرت في خندق المواجهة، وكان للحوزة العلمية المباركة حضورها المسؤول الذي يرتفع إلى مستوى الحدث وحجم التحدي والمحنة، وإذا أعطى النظام فيها عناية متميزة لحل مشكلات البلاد التي تساهم القوى الشيطانية المتآمرة في صنعها وتغذيتها في كلِّ

البلاد الإسلامية وخاصة مثل إيران بدرجة عالية ومكثفة^(١).

موقف الأمة حكومات وشعوباً من التهديد الظالم لإيران؟

لا زالت أمريكا تتهدد وتتوعد بحرب قاسية موجهة إلى بلد إسلامي وهو إيران.

وإنما تنتظر أمريكا بقرار الحرب ما تنتهي إليه معادلاتها المصلحية، وتقديراتها الموضوعية، وحساباتها السياسية التي لا تعتمد إلا على نظرية الربح والخسارة من ناحية مادية، وإيران بطبيعة الحال سترد بكل ما تستطيع كما يعطيها الدين والعقل، والعرف العالمي، والقوانين الدولية هذا الحق.

ما هو موقف الأمة حكومات وشعوباً من هذا التهديد الظالم؟

إذا عرضنا المسألة على الإسلام فالأمر واضح كلّ الوضوح، وأن الاعتداء على شبر واحد من أرض الإسلام هو اعتداء على الإسلام كله أرضاً وإنساناً، وقيماً وحضارة.

عملياً هناك صعيديان؛ الصعيد الرسمي، والصعيد الشعبي، على الصعيد الرسمي يأتي صراع التحالفات والمصالح السياسية الحكومية من جهة، والمقياس الشرعي ومصلحة الأمة من جهة أخرى، الأول يدفع في اتجاه أمريكا، والثاني يدفع في اتجاه إيران، أيهما يغلب؟ الواقع

(١) خطبة الجمعة (١١٦) ١٩ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ - ٢٠ يونيو ٢٠٠٣م.



سيحدث بلغة صارخة.

على الصعيد الشعبي تُمثّل المسألة واحداً من الامتحانات الصعبة التي يفرضها واقع المفارقة بين توجه الشعوب وتوجه الحكومات في العديد من المحطّات والمفترقات الخطيرة. وكذلك واقع الصراع بين ضغط الحكومات، وما عليه الوجوب من ناحية شرعية.

أي حكومة هي جزء من هذه الأمة إنما تحارب نفسها وتحارب الأمة حين تقف مع أمريكا.

نعم أن تحارب أي حكومة من الحكومات المسلمة إيران، وأن تتخندق مع أمريكا في حربها ضد أرض الإسلام، هذه فإنما تحارب نفسها، تحارب شعبها، تحارب أمتها، تحارب قرآنها، تحارب نبيها ﷺ، تحارب كل مقدساتها، تحرق أرضها.

هو كل ذلك -وبحق- حينما تمد حكومة مسلمة يدها إلى يد أمريكا لتوجه الضربة القاسية لأي شبر من أرض الإسلام^(١).

الهجوم على إيران لعب بالنار

بوش يلعب في أرض الله بالنار لعب الأطفال الطائشين. يوزع تصريحاته غير المسؤولة على هذه الدولة وتلك الدولة من دول هذه الأمة العريقة التي لم تعرف قدر نفسها بعد أن تنكّرت لقدر دينها

(١) خطبة الجمعة (٣٠١) ١٤ شوال ١٤٢٨هـ - ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٧م.

وقرآنها.

كلمات متعجرفة، وتهديد ووعيد لكل من لم يدخل في البيعة، تهديدات تصدر باسم امتلاك السلاح النووي، والتركيز على إيران الإسلامية في هذا الأمر في هذه الأيام، وهي تصريحات لو تمت، لو جدت وأخذت موقعها العملي فإنها ستحرق المنطقة، وتحرق إسرائيل، وتحرق أمريكا نفسها.

قد يكون الذي أطمع بوش في مثل هذه التصريحات موقف الفرقة والاستسلام من الكثيرين ولكن في الأمة بقية، والبقية من هذه الأمة ولو كانت قليلة إلا أنها بإيمانها وصمودها والمدد من الله ﷻ لن تلين ولن تستكين.

وهذه التصريحات تشجعها كلمات تطالعنا بها بعض الصحف في الساحة الإقليمية وللأسف الشديد^(١).

تحليل فوز أحمدى نجاد:

لقد فاز نجاد، وبعيداً عن التمييز بين المرشحين الكريمين في انتخابات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، أقول بأن وراء فوزه لغة جماهيرية عامة في صفوف أبناء الأمة المسلمة، تؤكد بلسان عملي صريح بأنها لا ترضى بدنيا بلا دين ولا بدین بلا دنيا، وذلك من

(١) خطبة الجمعة (١٨٤) ١٧ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ - ٢٨ يناير ٢٠٠٥ م.



منطلق إسلامها الذي يجمع بين الدنيا والدين. ثم أنها لا ترى لمطلبها غير الإسلام ومن يحمل رسالته بأمانة.

وتسجل هذه الانتخابات رفضاً قوياً للهيمنة الثقافية الأمريكية والغربية، وتسحب الثقة من الطرح الأجنبي، وتواجه الغزو الحضاري الزاحف على بلاد الإسلام.

وتثبت وعياً ونضجاً ورشداً وصلابةً أمام الدعاية الإعلامية الجاهلية، بكل ما تملك من خبرة وفن ومراوغة وتضليل وسحر، وبكل ما هي عليه من افتراء وزيف وافتئات.

وما أحوج كل شعوب الأمة إلى مثل هذا الوعي والنضج والرشد والنباهة^(١)!

دروس من حدث الانتخابات الرئاسية في إيران:

حدث الانتخابات، والاعتراض عليها والاحتجاجات المرافقة لهذا الاعتراض بما فيها من مواجهات، وما كان من موقف قوى الاستكبار في الأرض، والقوى والجماعات والمؤسسات والأفراد التابعين لها من داخل الأمة.

١. الحدث الداخلي في إيران يمكن أن يحدث في كل مكان ويأخذ حجمه الطبيعي وينتهي إلى ما ينتهي إليه من غير انخياز من قوى

(١) خطبة الجمعة (٢٠٦) ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - ١ يوليو ٢٠٠٥م.

الشر في الأرض لطرف معيّن على حساب آخر بهذه الصورة المبالغ فيها، ومن غير هذا الدفع والتحريض الشديدين على إلهاب الفتنة، وإشعال النار، وتعميق الصراع، وإيجاد محرقة شاملة في بلد آمن.

والبغضاء هنا بغضاء للإسلام، والصيغة الإسلامية للحكم، وفاعلية هذه الصيغة في تثبيت أصالة الأمة، وعزّتها وكرامتها، وتحقيق تقدّمها وتفوّقها، والحفاظ على استقلالها ومصالحها.

ووراء هذا الحقد خوف من عودة أوسع للإسلام الحق من قبل الأمة، وما تعنيه العودة للإسلام من انقلاب موازين القوى في الأرض، وتغيّر المعادلة الفعلية لصالح الأمة الإسلامية والمستضعفين.

٢. لا بدّ من العلم وتلقّي الدرس بأنّه كلما كان واقع دولة إسلامية أو جهة من جهات الإسلام، أو قيادة من قيادات المسلمين أصدق إسلاماً وأقوى وأنفع لحياة الإسلام والمسلمين كلما ازداد غيظ الطغاة والمستكبرين والظلمة العالميين وأذيالهم منها وحقدهم عليها، وشراستهم في عدائها، والأخذ بالموقف المتشددّ والمناهض لها، والاجتماع على محاربتها.

وكلما جاء الموقف لهذه القوى الطاغوتية الاستكبارية من أيّ وجود إسلاميٍّ لجهة إسلامية أشدّ عنفاً وضراوة دلّ على أهميته البالغة وصدقه وإخلاصه وكفاءته.



ويُستدلّ على عظمة الشخصية وخطرها على الكفر، ويستدل على عظمة الحزب وخطره على الكفر، ويستدل على عظمة الدولة وخطرها على الكفر، أن تتوجّه إليها سهام الكفار والمنافقين، والانتهازيين والنفعيين والساقطين بعنف وقوة واستمرار عداء لإسلامها.

في العادة لنا أن نكتشف عظمة الجهة في حرب العدو مع الأمة من استهداف الكفر وأتباعه لها لإسقاطها.

فالحملة التي واجه بها الاستكبار أعمدة النظام الإسلامي في إيران وفي مقدمتها مركز القيادة، وولاية الفقيه هي شهادة زكاة وصلاح وشموخ وعظمة يتمتع بها هذا النظام، وشهادة خطر منه على الباطل في الأرض.

٣. إن شباب الأمة محتاج إلى تحصين تربوي إسلامي بصورة دائمة وواسعة، وتزويده بالبصيرة الكافية على كل الصعد، ومنها الصعيد السياسي حماية له من استغلال الأعداء بما يؤدي به إلى أن يكون وقود معارك يخطط لها العدو، وتجري على أرض الإسلام بعناوين مختلفة، وهدفها الفتك بالإسلام والمسلمين، وقطع الطريق على عودة الأمة إلى إسلامها ووحدتها وهو أخوف ما تخاف منه قوى الشر والطغيان في العالم، لما في ذلك من تهديد لوجودها الظالم، وقطع يد النهب والغصب لثروات المسلمين، ويد السلب للكرامة والعزة

والاستقلال لأمتنا المجيدة.

ولأهمية تربية الشباب المسلم من الجنسين التربية الإسلامية الواعية الراقية وأثرها البالغ على حاضر الأمة ومستقبلها يحرص الكفر العالمي اليوم، وتستجيب له سياسات كثيرة في بلاد المسلمين على فرض الهيمنة الظالمة على مراكز الوعي والتربية والإمداد الروحي والفكري في وجود المسلمين حتى تأتي الأجيال الشبابية من صناعة التربية الكافرة في أرض المسلمين الطاهرة.

ويصر الكفر هذه الأيام، ويتعاقد مع حكومات في العالم العربي والإسلامي على أن تزوده بالعقول المتميزة لتصنع هناك على منأى من الإسلام، وفي أجواء جاهلية الكفر المظلمة.

ويأتي من هؤلاء الشباب والدارسين من يحارب فكر الأمة وهويتها، ويستهدف مصلحتها من أجل مصلحة الأجنبي.

هناك من ينجو من شبابنا العزيز وإن عاش في تلك الأجواء، ويعدّ من نفسه من خلال النصب والتعب والمجاهدة بطلاً من أبطال هذه الأمة، ومنقذاً من منقذوها، ولكن الكثيرين يسقطون تحت وطأة التخطيط والهندسة التربوية المضلّة.

٤. إن تبعية الغالبية العظمى من أنظمة الحكم في الأمة الإسلامية للاستكبار العالمي مزقت هذه الأمة شرّ ممزّق، وبلغت هذه التبعية



أقبح صورة وأمر واقع فصار اشتراك خندق وموقف، وأسلوب وهدف بين الكثير من البلدان الإسلامية وعمالقة الكفر والاستكبار العالمي ضد البلد المسلم الواحد وفي أكثر من تجربة وحالة.

وصار ما يُفرح الكفر من مصيبة بلد مسلم يفرح حكومات وأحزاباً ومؤسسات وكيانات وجماعات كثيرة من أهل الشهادتين، ويؤلمهم من خيره ما يؤلم رموز الشر في الأرض، والمريدين بالأمة كل سوء.

يجمع الخندق الواحد اليوم، والموقف الشامت والمعادي والمتآمر ضد إيران بلاداً من البلاد العربية، وأحزاباً عربية، ومؤسسات عربية، وصحافة عربية، وإسلامية مع أمريكا وإسرائيل ضد بلد مسلم جار. وأمس الخميس كان مسؤول خليجي كبير يبث شكواه في مقابلة أجرتها معه القناة الأخبارية للجزيرة ويعلن عن تألمه لسعاية بعض الأشقاء العرب ببلده عند أمريكا لتخريب العلاقة بها. بلد عربي له سعاية ببلد عربي آخر لتدمير وتخريب العلاقة بين البلد الثاني وأمريكا من منطلق التملق، وطلب الموقع، والإضرار بالآخر الشقيق. فهو سباق، وتهافت على العلاقة بأمريكا والله العالم بالثمن، وسعي من الشقيق بشقيقه لتفويت الخير والشرف المتوهم عليه، ومحاولة تسجيل موقف من الساعي بأخيه ليدلل على إخلاصه ووفائه عند السيد الأمريكي الكريم، ويعطيه تقدماً في مستوى العلاقة به.

هذا واقع الأمة المصيبة والكارثة.

٥. إن القضاء على الجمهورية الإسلامية هدف كبير للاستكبار العالمي ومن يدور في فلكه، ولكن ربما كان المنظور القريب للاستكبار في حملته الشرسة التي صاحبت الانتخابات وأعقبتها هو وضع الجمهورية في موقع حرج: إما أن تترك الأمور تتسبب كيفما شاء الغرب، وتتدهور كما يحلو للاستكبار فتفسد الأمور، ويحقق الغرب مأربه، وإما أن تلجأ حكومة الجمهورية الإسلامية إلجاءً وتضطر إلى مواجهة الموقف بالقوة، فينعكس ذلك على سمعتها في أوساط مختلف الجماهير، وتظهر وكأنها دولة دكتاتورية لا تعرف الحوار، وتسد أبواب الحرية، وتضرب الشعب بلا رحمة. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^{(١)(٢)}.

أعداء الإسلام لا يريدون الخير لإيران الإسلام

دشنت إيران مركزاً فضائياً خاصاً بها وأرسلت صاروخاً صمم بإطلاق أول قمر صناعي للأبحاث وهو إيراني الصنع، والإطلاق في العام المقبل. هذا هو الخبر.

وواشنطن وموسكو مستاءتان وطبعاً معهما أوروبا وكل من لا

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) خطبة الجمعة (٣٤٣) ٣ رجب ١٤٣٠هـ - ٢٦ يونيو ٢٠٠٩م.



يريد للإسلام والمسلمين خيراً. كان الإسلام أفيون الشعوب ورجعياً ومعطلاً قبل الثورة الإسلامية في إيران، قبل الدولة المباركة كانت الشيوعية تقول عن الإسلام بأنه أفيون الشعوب، فالدين عموماً والإسلام خصوصاً أفيون الشعوب، والغرب يرمي الإسلام بأنه رجعي ومعطل لحركة الإنسان، وهذا القول قد انساق وراءه خلق كثير من العرب والمسلمين بالإسم من مختلف الأجناس والأعراق.

حدثت الثورة، وأقام الإسلام نظاماً إسلامياً جمهورياً في إيران، فاجتمعوا على عداوته والكيد به، اجتمع الغرب والشرق والعملاء الداخليون في البلاد الإسلامية على عداوته والكيد به. قللوا من شأنه وشأن القائمين عليه فقالوا عنهم مجموعة ملالي لا تجيد التعامل والحياة، ولا تعرف سبيل التقدم، وسترجع بالشعب الإيراني إلى الوراء بمدة قرون، سخرؤا منه كثيراً ومن القائمين على ذلك النظام، شنوا عليه حرباً طاحنة عن طريق صدام فخابت الحرب وخاب مشعلوها.

مثل ذلك النظام النظام المستقل الوحيد على مستوى أنظمة الحكم في الأمة فجدوا في عزله وإضعافه، لو بحثت في إطار الأمة كلها عن نظام سياسي لا يرتبط بمحور الغرب ولا بمحور الشرق، ولا يسجدي على أعتاب الغرب ولا الشرق لما وجدت غير نظام واحد.

في زحمة الحروب والمؤامرات والحصار والمقاطعة والإعلام المكثف المضاد، وإثارة النعرات القومية والطائفية داخل الجمهورية، والعمل

على تفتيت الجبهة الداخلية والمتاعب من الداخل، وخلق الشكوك واستهداف علاقات الجوار بالتخريب يشق النظام الإسلامي الطريق بنجاح ليواصل رحلته الموفقة بإنجاز علمي إلى إنجاز أكبر، حتى دخول نادي الفضاء لتعلن كل من واشنطن وموسكو أسفهما واستياءهما من قوة الإسلام وتقدم الجمهورية الإسلامية والنظام الإسلامي، وربما أسف معهما كثير من جهلة هذه الأمة ومتغربيها.

ماذا يريدون لهذه الأمة؟

يريدونها ضعيفة ذليلة تعيش معتمدة عليهم حتى في المنجل والإبرة ليحكموا القبضة على عنقها، ويملكوا عليها أنفاسها ولتكون البقرة الحلوب فيما تغنى به أرضها من ثروات طبيعية، وسوقاً رابحة لبضائعهم المغشوشة، وبحراً مفتوحاً لأساطيلهم الظالمة والغازية، وأرضاً مستباحة على كل المستويات، وإنساناً مستعبداً لهم في كل الأبعاد.

ثماني سنوات معدودات لا تساوي شيئاً في عمر الزمن والدول وتقييم التجربة الإسلامية شاهدها الصارخ على الأرض على عظمة الإسلام وقدرته على الصنع الخلاق والتقدم بمستوى الأمة، وعن أي طريق؟ عن طريق حكومة الملالي كما قالوا وعن طريق ديكتاتورية ولاية الفقيه كما يزعمون، وزعمهم الكذب الصراح فإن ولاية الفقيه بعيدة كل البعد عن الديكتاتورية، إنها خاضعة في كل كبيرة وصغيرة



إلى حكم الشريعة، خاضعة لأمر الله ونهيه، فاعلية بالعبودية المندكة أمام الله، أمام عظمة الله ﷻ. وبهذا يكون التمهيد بقناعة الإنسان الحر في العالم الإسلامي والنموذج الجمهورية، وبهذا يكون التمهيد بقناعة الإنسان الحر في العالم الإسلامي وخارجه بعظمة يوم الظهور وقدرته على الإنقاذ الشامل. فدولة التمهيد صورة مصغرة من دولة الظهور. وإذا طلب طالب صلاحاً وإصلاحاً وطلب أن نخرج من شرقة الأزمات، وكان من المؤمنين فلا يطلبه إلا على طريق الإسلام والتقيّد بالحكم الشرعي^(١).

ينتصر الإسلام ولو بالديمقراطية:

الإسلاميون لا يخافون من الديمقراطية لا ابتداءً ولا استمراراً، والذين يوهمون يوهم الناس بأن الإسلاميين لو وصلوا إلى الحكم عن طريق الديمقراطية لانقلبوا عليها كاذبون، وهم يعرفون كذبهم. الإسلاميون إذا كانوا اليوم وهم محاربون ولم تعرف تجربتهم مؤهلين لاكتساح أصوات الشارع الإسلامي لصالحهم فهم إذا أقاموا تجربتهم على مستوى بلدية، أو على مستوى مجلس نيابي، أو على مستوى بعض الوزارات، أو على مستوى حكومة، وأُتيح لهم أن يعملوا بما يؤمنون به لصالح تجربتهم، فإن هذه التجربة ستكون أعلى صوت

(١) خطبة الجمعة (٣١١) ٣٠ محرم الحرام ١٤٢٩هـ - ٨ فبراير ٢٠٠٨م.

إعلامي دعائي للإسلاميين. الجمهورية الإسلامية الإيرانية ما أُعطيت فرصة البناء الداخلي، فلأول يوم نجحت فيه الثورة، ولأول يوم قامت فيه الدولة حاربها العالم، من أجل ماذا؟ من أجل أن لا تتحول منارة في الأرض تستقطب أفئدة المستضعفين في كل العالم. العالم الاستكباري خاف خوفاً شديداً ولا يزال يخاف من قيام تجربة إسلامية على الأرض؛ لأنها لن تبقي لكل التجارب الأخرى أي بريق، وستحول أصدقاء التجارب الأخرى والواثقين فيها إلى أعداء لتلك التجارب للفارق الكبير بين كفاءة وصدق التجربة الإسلامية الحقيقية وتصور وكذب تجارب الآخرين.

في إمكان التجربة الإسلامية إذا قامت على الأرض أن تسقط بنموذجيتها وصدقها وإنجازاتها وعدلها وإنسانيتها -وبدون حرب- التجارب الأخرى وتفشلها، وستملك من الإشعاع ومن قوة الإقناع بواقعها ما يكفي للاستقطاب والتهافت عليها، فكيف إذا انضم إليها - إلى صدق التجربة، وكفاءتها العالية - كلمة حق، ونداء صدق؟!

أقول: الإسلاميون لا يخافون من الديمقراطية، ولا يحتاجون إلى أن ينقلبوا عليها لو وصلوا من خلالها إلى أي موقع من المواقع، بل ستعينهم تجربتهم من خلال الديمقراطية على أن يتقدموا كل الصفوف، وأن يكونوا رائد هذه الأمة في أعين كل أبنائها.

فحفظوا الإسلاميين تتنامى دائماً مع التطبيق، ومن هذا المنطلق



يخاف كل الآخرين أن تقوم تجربة إسلامية صادقة على الأرض.

وبالنسبة لعبد الله -هذا المتكلم- فالنظر ومنذ السبعينات وإلى الآن وسيبقى فيما أرى ثابتاً في مسألة الديمقراطية: لا نرضى الإرهاب، نرفض العنف، نقدّم الكلمة على القوة، نختار الديمقراطية على المصادمات، نرى الديمقراطية في صالحنا، ونخاف جداً من أن تزوير الديمقراطية والاستغلال بشعار الديمقراطية والكذب على الديمقراطية ينتهي بالناس إلى العنف والمصادمة.

موقفنا مع الديمقراطية، ونتحدّى الآخرين في أن يأخذوا بالديموقراطية، وأن يصبروا على نتائجها. نعم نتحدّى كل الآخرين في القبول بنتائج ديموقراطية حقيقية في الشارع البحريني وفي أي شارع إسلامي آخر، والشارع في بلدان المسلمين -اليوم- إسلامي، وكفى بتركيا مثلاً في هذا المجال.

نعم، نقبل بالديموقراطية، ونبقى عليها، لا لأننا نقدسها، وإنما لأننا نجد أنفسنا دائماً في ربح من خلال أعمال الديمقراطية، وقبول كل الأطراف بها، لا اليوم فقط، وإنما على طول الخط.

فأي بلد إسلامي تقوم به تجربة إسلامية الإسلاميون فيه لن يخسروا حين يستمرون على خطّ الديمقراطية، حماس لا تخسر لو بقت المسيرة الفلسطينية على خطّ الديمقراطية، إيران لا تخسر الإسلام فيها إذا بقيت ديموقراطية حقيقية، أي بلد إسلامي شيعياً كان

أو سنياً لا يمكن أن يخسر الإسلام فيه من خلال الخيار الديمقراطي، فنحن مع الخيار الديمقراطي، ونتحدّى الآخرين في القبول به، والصدق معه، والصبر على نتائجه^(١).

المهدد إيران أو بلد من بلدان الإسلام؟

إيران مهددة أمريكياً بضربة عدوانية تتراجع بمستواها كما في بعض التقديرات عشرات السنوات، وتنشر الدمار في المنطقة بكاملها، وتحدث خلخلة كبيرة وخطيرة في العالم الإسلامي على مدى زمنيّ طويل، وقد تمثّل حالة استنزاف داخلي في إطار الأمة تجعلها فريسة مستسلمة لكل الأعداء الطامعين.

وهل تُضرب إيران بما هي إيران الفارسية؟ بما هي إيران القطعة الجغرافية الخاصة؟ بما هي التاريخ الفارسي؟

أو بما لها من الصفة الإسلامية، وبما هي جزء من هذه الأمة التي تستشعر أمريكا وأوروبا والآخرين خطر انبعاثها وتناميها وقفزتها؟ لا أظنّ أن أحداً يخطئ إلى هذا الحد فينظر إلى أن الاستهداف الأمريكي لإيران بما هي إيران مفصولة عن جسم هذه الأمة ودينها وروؤيتها وتوجهها ومنهجها. ليس المخوف من إيران أنها فارسية، المخوف من إيران أنها إسلامية.

(١) خطبة الجمعة (٢٩٦) ٢٦ رجب ١٤٢٨ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠٠٧ م.



ثم هل يحتمل أبناء المنطقة وأبناء الأمة جميعاً أن أمريكا تقدم الإسلام السنّي على الإسلام الشيعي وتنتصر له؟ أو الشيعي على السنّي فتحابيه؟ أمريكا معادية لأيّ إسلام لا يقدم مصالحها على مصالح الأمة، ولا يذوب في رؤيتها، ولا يلين لإرادتها، ولا يستكين. أمريكا تبحث عن إسلام ذليل مستكين يرتقي في أحضان سياستها، ويرعى بالدرجة الأولى المصالح الأمريكية.

ما هو موقف أمريكا من السودان السنّية؟ والصومال السنّية؟ وحماس السنّية؟ ومن التيار الأعظم للإخوان المسلمين السنّة؟ أليس هو الموقف من إيران؟ كيف يغفل المسلمون فيفرح السنّي لضربة الشيعي، ويفرح الشيعي لضرب السنّي؟!

أمريكا والإعلام المستأجر لها^(١) تريد أن تخلق هذه القناعة وترسخها في ذهن السنّة من أبناء الإسلام وهي أن إيران الشيعية أصبحت خطراً محدقاً على الفكر السنّي، والمصالح السنّية في العالم العربي والإسلامي بدرجة أكبر بكثير من الخطر الإسرائيلي، وهو الأمر الذي يستوجب تأجيل المواجهة مع إسرائيل على الأقل إن لم يستوجب إلغاء المواجهة نهائياً وعلى الإطلاق، والمبادرة إلى مواجهة

(١) وعندنا بعض إعلام في هذا البلد يقطع الإنسان بأنه مستأجر لأمريكا. «منه

حفظه الله»

الخطر الإيراني الهائل الزاحف قبل فوات الأوان.

هذا إلى جنب ما يمكن توفيره من مسكنات وقتية ولو إعلامية، وترضية شكلية في القضية الفلسطينية ولو على مستوى الوعود الكاذبة لتبريد ساحة المواجهة مع إسرائيل، واستغفال عقول أبناء الأمة.

سيكون برهان سقوط عقلي ذريع، وفقدان للذاكرة، وغباء عملي مستحكم لو صدقنا بمطروحات هذه اللعبة الأمريكية التي لا يُستبعد أن تشارك فيها بعض الأنظمة العربية وقسم من الإعلام العربي.

ودولة عربية تفعل هذا، وإعلام عربي يفعل هذا هو جهة تعادي الإسلام شيعيَّه وسنيَّه، وتعادي العرب، وكل مصالح الأمة.

إن على المسلمين الذين يستقبلون الضربة الأمريكية لإيران بالورود والرياحين -لأن إيران شيعيَّة وهي ضربة واحدة على طريق مسلسل من الضربات العدوانية على العالم الإسلامي تقدم بعضها ويأتي آخر- أن يعدوا أنفسهم لضربة أمريكية أخرى لبلد إسلامي سني أول وثان وثالث وهكذا، إلى الأخير، وذلك لأن أمريكا لا تنظر في تخطيطها البعيد إلى هذه الأمة من خلال الموقف الآتي لهذه الحكومة أو تلك الحكومة فحسب، وإنما يركّز نظرها على المكون العقيدي والفكري والنفسي وغيره من مكونات حضارة هذه الأمة، كما يركّز



على الاتجاه العام المبدئي لشعوبها وهو يرى في ذلك الضد المناهض،
والنقيض الذي يخاف منه أن يلغي حضارة المادة ذات القيم الطينية
الاستثنائية الاستبدادية الغاشمة، وأمريكا إنما تعادي أمةً بكاملها،
تعادي حضارة وتكيد بدين.

على الأمة بكل طوائفها وأطيافها وتلاوينها أن تتذكر الدرس
الذي كثيراً ما تلقاه تلاميذ الابتدائي، والقائل على لسان الثور
الأبيض: أكلتُ يوم أكل الثور الأسود.

وكم يرجو المسلم الغيور للدول الإسلامية أن تملك إرادتها في
قبال الإرادة الأمريكية فلا تكون تبعاً لها في إرادة الحرب والسلام،
والصداقة والعداوة، فلا تقيم ولا تسهل ولا تشارك في شن حرب لأن
أمريكا تريدها، ولا تهدم سلماً، ولا تتنازل عن صلح ولا هدنة لأن
أمريكا لا تريدها.

وكم يصعب على المسلم الغيور أن يحترب العرب والمسلمون في
داخلهم، وليحترق إنسان الأمة وثروتها لحساب الإرادة الأمريكية
وأطماعها^(١)؟!

التمرين العسكري المشترك

تعرفون أنه أُجري تمرين عسكري مشترك بين القوات الأمريكية

(١) خطبة الجمعة (٢٧٥) ١٩ صفر ١٤٢٨هـ - ٩ مارس ٢٠٠٧م.

في البحرين وبين قوات من البحرين من قوة الدفاع والداخلية، وقد شاركت [وزارة] الصحة في ذلك التمرين.

وقد تعلّقت به بعض التقارير والتصريحات الصحفية منها الرسمي وغيره. ونعرف أن هذا التمرين وكما صُرح به قد جاء استعداداً لطارئ يُحذر منه، وخطر مرتقب متّصل بمواجهات عسكرية متوقّعة. نسأل: وهل البحرين على أبواب حرب مرتقبة تشنها على أحد؟ أو يشنها عليها أحد؟

نحن نعرف أن أمريكا تهدد بحرب في المنطقة ضدّ جارة مسلمة لنا هي إيران، فهل سندخل شركاء في هذه الحرب مع أمريكا بأي درجة من الدرجات، أو مع إيران حتى نخاف؟ وحتى نأخذ الاستعداد والأهبة لأيام المواجهة؟

والثاني مقطوع بعدمه لأن التمرين ليس مع إيران، وإنما مع العدو الذي يتهدده.

الخطر الذي نتوقعه ونستعد لمواجهته هل يأتي في حساباتنا من ضربة هجومية ابتدائية ظالمة توجه إلينا؟ أو من ضربة جزائية دفاعية موجهة أساساً إلى غيرنا ولكن بسبب مشاركتنا؟

الأول: قطعاً لا، لأنه لا موجب له على الأرض -على الأقل- على الإطلاق، والثاني: ما الذي يجعلنا ديناً وعقلاً وخلقاً ومصلحة



وطنية نسعى إليه برجلنا ونتسبب فيه؟ وهل يفتينا به دين أو عقل
أو خلق أو مصلحة وطنية؟

وهل هو قرار نابع من ضمير الأمة والشعب ومتوافق مع انتمائهما
ومصلحتهما؟

وهل سيسرّ أحد على هذه الأرض ممن له شيء من إسلام لمثل
هذه المشاركة؟

كم سنعطي لهذه المشاركة المغضبة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، كم
سنعطي لها من ديننا ودنيانا وأرواحنا ومصالحنا واستقرارنا وسمعتنا
في هذه الأمة وحتى في غير هذه الأمة؟ ما سمعة من أعان عدواً على
صديق؟ من أعان بعيداً على جار؟ من أعان أجنبياً على قريب؟ وما
هي المكاسب على المدى القريب والبعيد لو كان في غضب الله سبحانه
ورسوله ﷺ، مكسب ولو هزيل ويستحيل ذلك؟

نسأل: ألنا خيار في القضية؟ فكان خيارنا أن ننتصر للكافر على
المسلم، وللبعيد على القريب، وللأجنبي على الجار؟ لئن كان ذلك
فهو شيء لا يعقله عاقل، أم ليس لنا من خيار وقد سلّيناه بالكامل
وبسوء الاختيار؟! لا تسلب أمريكا ولا غيرها أحداً إرادته إلا
باختياره.

نعم، قد تسلبك أمريكا أرضك، نعم، قد تسلبك أمريكا ثروتك، لكن

أن تسلبك إرادتك فذلك راجع إلى إرادتك نفسها، ولماذا فعلنا بأنفسنا كل ذلك وهو لا يمثل عذرا عند الله ولا عند خلق كريم من خلقه^(١)؟

لا مرحبا بك بوش

ما تقوله شعوب الأمة العربية والإسلامية كلها للضيف الثقيل لا مرحباً بك بوش، لا لأنه أمريكي، لا لأنه مسيحي، وإنما لأنه مجرم في حق هذه الأمة، وفي حق الإنسانية كلها، لأنه نهاب للثروة، قتال للأنفس، مثير للفتنة، مصاص للدماء، مجاهر بالعداوة لأمتنا، مناصر للكيان الصهيوني الغاصب، ولدولة الاحتلال الغاشم إسرائيل.

ولم جاء بوش؟

جاء ليعلن دعمه الكامل لإسرائيل، ووقفته الثابتة معها، وليؤكد على الهوية الدينية للدولة اليهودية على أرض فلسطين حتى لا تتسع فلسطين لمسلم واحد، وحتى تصرّ الدولة الإسرائيلية على التوسع أخذاً بالوعد الديني المكذوب عندهم.

وفي تأكيد الرئيس الأمريكي للصفة الدينية لدولة إسرائيل مفارقة كبيرة، فأمريكا فكرها المعلن يرفض الدولة الدينية، وديمقراطيتها ترفض الدولة الدينية، وهي لا ترضى للمسلمين أبداً أن ينشئوا دولة دينية، بينما ينادي رئيس هذه الدولة بأعلى صوته

(١) خطبة الجمعة (٢٨١) ٩ ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ - ٢٧ إبريل ٢٠٠٧ م.



بأن إسرائيل يجب أن تكون دولة يهودية، ذات طابع ديني يهودي. إنه جاء ليشير الفتنة بين الفلسطينيين إلى حدّ الحرب، ويمدّ طرفاً بكلّ ما يحتاجه في هذه الحرب ضدّ الطرف الآخر هو الأقرب إلى التمسك بفكر الأمة وأهدافها النبيلة، ومصالحها الضرورية.

جاء ليحرق البلاد الإسلامية بالحروب البينية، ويضع يده على مقدرات ومقدّرات الأمة، ويفرض الهيمنة الأمريكية الكاملة على أرض أمتنا وإنسانها وحضارتها.

جاء يبحث عن حكومات مناصرة لإسرائيل وأمريكا ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وضد سوريا، ضد دولة إسلامية وأخرى عربية.

جاء ليشير فتنة عمياء بين الشعوب العربية وحكوماتها التي يريد لها أن تخرج عن إرادات الشعوب فتتخذ العدو إسرائيل صديقة لها، وتقرّها على قضية الاحتلال ليكون أدياً وذا صفة شرعية ثابتة، الشرعية الدولية.

جاء ليشير شعوب الأمة على حكوماتها من خلال طلبه أن تكون إسرائيل العدو صديقة، وأن تكون إيران البلد المسلم الجار هي العدو^(١).

(١) هتاف جموع المصلين بـ "الموت لأمريكا، والموت لإسرائيل".

جاء يوحد حرباً بعد حرب، وفتنة تلو فتنة، ويحدث كارثة بعد كارثة لأمتنا، إنه عدو الأمة، والأمة هي عدو له^(١).

الخوف الإسرائيلي والأمريكي

إسرائيل خائفة وأمريكا خائفة من تواجد سلاح نووي في المنطقة، والسلاح النووي لا يرغب صاحب ضمير بانتشاره ولا وجوده أصلاً في يد أي دولة كانت؛ لأن هذا السلاح لا يعرف البريء من المجرم، ولا يفرق بين عادل وظالم.

وأهل الإسلام والإيمان في مقدمة من يرفض هذا السلاح ويكفر به، لكن هل وجوده بما يكفي لحرق الأرض وأهلها مرات بيد أمريكا وإسرائيل حق، ووجوده بيد دولة عربية أو إسلامية من الباطل؟! وهل هذا الفرق لعدالة أمريكا وإسرائيل وقيمهما الإنسانية العالية، وتقواهما الشديدة من الله؟! هل أمريكا عادلة وغيرها ظالم؟! تقية وغيرها فاسق؟! حريصة على الإنسان كل الحرص حتى يسوغ العقل والعقلاء أن تكون أمريكا مالكة لهذه القوة البطاشة ويحرم ذلك على غيرها؟! هل برهن تاريخ أمريكا على عدالة؟! على شفقة على الإنسان؟! على إنسانية في مواقفها من الأمم؟! وهل احتمال الوجود أخطر وأبعث للهلك من تحقق الوجود؟! هم

(١) خطبة الجمعة (٣٠٧) ٢ محرم الحرام ١٤٢٩هـ - ١١ يناير ٢٠٠٨م.



يتحدثون عن سلاح فعليٍّ في أمريكا وإسرائيل، وعن احتمال وجود سلاح مستقبلاً بيد هذه الدولة أو تلك الدولة العربية أو الإسلامية.

وهل ينبغي أن يفزع المسلمون من السلاح النووي الباكستاني مثلاً أكثر من فزعهم من السلاح النووي في يد إسرائيل؟

ثم من يصدّق بأن خوف إسرائيل وأمريكا من إمكان حصول السلاح النووي في يد دولة عربية أو إسلامية هو خوف من عدوان هذه الدولة عليهما مع ما يملكانه من سلاح نووي يُدمر العالم مرات ومرات؟ أي دولة إسلامية أو عربية تجرّأ أن تكون هي المهاجمة اتكأً على سلاح نووي محدود لو قدر أن حصل بيدها في وجه الترسانة الهائلة من هذا السلاح في يد إسرائيل وأمريكا؟ فأي دولة ستكون هي المهاجمة لهما على هذا الحال؟

قدر أن دولة إسلامية أو عربية يحصل لها سلاح نووي بكمية محدودة فهل تخاف أمريكا وإسرائيل في هذا الحال من مهاجمة هذه الدولة لهما؟! الاحتمال صفر.

واضح جداً أن المستهدف للدولتين العادلتين^(١) إسرائيل وأمريكا أن يبقى العالم العربي والإسلامي غير قادر على الردع، ولا الرد على العدوان، ليستجيب لكلّ الإملاءات الغاشمة، ويظل فريسة المطامع

(١) يصفهما بذلك تهكماً.

القدرة، ولتكون الأرض الإسلامية مستباحة وكما يشاء لها الأعداء، مأمونة الجانب عند استلابها وتمريغ عزّة أهلها في التراب.

وتتعدى رغبة الدولتين والدول الأوروبية الأخرى هذه الدرجة من الضعف لبلاد الإسلام، ويكون المطلوب الحقيقي حرمانها من الطاقة السلمية التي تتمتع بها في الأغراض المدنية استغناءً عن الغرب^(١).

معركة الكرامة لحزب الله:

معركة حزب الله ضد إسرائيل، هي معركة من أجل الإسلام والأمة والوطن والإنسان، ومن أجل موازين الحق والعدل في الأرض والعزة والكرامة، ولم تكن لبطر ولا أشر.

معركة إسلامية بما يعنيه الإسلام من عزّة ومن علم وحكمة وإنسانية وعدل وموازنين حق، ومن عزم وتصميم وقوة وإيمان. إنها معركة منتصرة على المستوى المعنوي يتمثل ذلك في أكثر من بعد وقضية:

أ- الثبات على الحق من القلة المؤمنة: عرفت الدنيا كلّ الدنيا أن القلة المؤمنة قادرة على الثبات والمضي بعزم لا يرتدّ ولا يتقهقر باتجاه الهدف الإلهي الكبير، وهذا نجاح معنوي هائل حيث تتلقّى

(١) خطبة الجمعة (٢٢٥) ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٦هـ - ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م.



القوى الجاهلية في الأرض كلّها درساً بأن المؤمن لا يُفلّ عزمه الإيماني بالحديد والنار. الثبات على الحق من القلّة المؤمنة، وفي أقصى درجات الشدة، مع ذلك الإخلاص الصادق للإسلام وأهل الإسلام نصر تحقق بوضوح لحزب الله في معركته الباسلة.

ب- روح التضحية والفداء بلا حدود في سبيل الله تبارك وتعالى: كان ذلك درساً آخر جسّدته المعركة على يد حزب الله واضحاً وجليّاً، وإنها لجرأة في ذات الله في وقت يسود فيه التخاذل والتكاسل والجبين والتجبن.

ج- جدارة القيادة العلمائية المؤمنة: كان ذلك معلماً واضحاً من معالم هذه المعركة الفاصلة بين الحق وبين الباطل.

وهنا وقفة: في فاصلة زمنية محدودة جداً التقى هذا العالم بقيادة السيّد موسى الصدر وكانت ناجحة، وبقيادة الشهيد الصدر الأول وكانت مثالية، وبقيادة الشهيد الصدر الثاني وكانت قيادة رشيدة وصبورة ومواجهة، والقيادة العملاقة للإمام الخميني ومثلت نقلة كبيرة في عالم اليوم، وأعطت هدى لهذا العالم، وأعطت عزّة وكرامة لهذه الأمّة وعلمت الدنيا دروساً لا تنساها، وقيادة الإمام الخامنائي وهو يقف طوداً عنيداً أمام إرادة الكفر العالمي كلّ، وقيادة البطل نصرالله وقد دوّخت إسرائيل واستقطبت أنظار العالم، وكل هذه القيادات علمائية مؤمنة ومن بيت الرسالة ولا ننسى أبداً القيادة

الرشيدة للسيد محمد باقر الحكيم، ولا المواقف الحكيمة والمخلصة من سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني، وهما متحدران من بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

إنجازات حزب الله في حربه مع الصهاينة:

اقتحام مواقع إسرائيلية متقدمة، وإيقاع خسائر في الأنفس والممتلكات في الطرف الإسرائيلي لم تكن متصورة لإسرائيل ولا لغير إسرائيل.

الربح الذي فرضه المجاهدون والقيادة الفولادية على صفوف العدو، تفهقهقر القرار الإسرائيلي عملياً، وانكسار الإرادة الإسرائيلية التي كانت تطمح وحسب المعلن في تصفية حزب الله وتجريده من السلاح وفرض السيطرة الغاشمة على لبنان.

إفشال المخطط الأمريكي الإسرائيلي في فرض تجربة الشرق الأوسط؛ الجديد لتحتاج أمريكا وإسرائيل إلى جولة جديدة في هذا الاتجاه وستكون فاشلة أيضاً إن شاء الله.

ونتائج أخرى: تعرية الفشل الكبير -ومع الأسف الشديد وهذا لا نسر به- الذي تعاني منه أنظمة الأمة وتقصيرها، وأن تأخر النصر، وتعملق إسرائيل، وخطورة إسرائيل لا لضعف في الأمة وإنما لوهن في



الأنظمة، والخيانة في الأنظمة، ولتبعية ذليلة من الأنظمة^(١).

(١) خطبة الجمعة رقم (٢٥٢) ٥ شهر رمضان ١٤٢٧هـ - ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٦م.